مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر

سلسلة التاريخ (9)

عبد الله السويسي

تاريخ رباط الفتح

الرباط - 1399 - 1979

رباط الفتح واقعة على شاطىء المحيط الاطلسي ، وعلى الضفة الجنوبية لنهر ابي رقراق ، شمالي خط العرض بدرجة 37.81 ، وغربي خط الطول بـ 10.19 ، في منحنى ينحدر بنسبة 16 مترا ويرتفع جهة الجنوب بعلو 100 مترا .

كانت ناحية الرباط آهلة بالسكان منذ فجر التاريخ ، وعرفت مرور الفينيقيين والقرطاجنيين والرومانيين ويتفق المؤرخون على ان تاسيس مدينة الرباط ابتدأ على يد يوسف بن عبد المومن الموحدي ، وتم على يد ولده يعقوب المنصور عام 593 هـ 1197 م .

وازدهرت الرباط يوم اصبحت عاصمة للدولة العلوية الشريفة في مطلع قرننا هذا .

تـاريخ ربــاط الفتـح

تاريخ رباط الفتح

مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر

سلسلة التاريخ (9)

عبد الله السويسي

تاريخ رباط الفتح

الرباط 1399 / 1979

تقديم

عناية المؤرخين المسلمين بحواضر الاسلام قديمة لم يشذ عنهـا المغاربة الذين كتبوا عبر العصور عن فاس وسجلماسة والبصرة ومراكش وغيرها مسجلين ما عرفته تلك المدن من أحداث سياسية وتطـورات عمرانيـة

واذا كان رباط الفتح عرف في البداية كمجرد رباط مضاف الى سلا من بين عشرات أو مئات الرباطات الجهادية الممتدة على طول الشواطيء المغربية من واد نون وماسة جنوبا الى تخوم تلمسان وما وراءها شرقا الى حدود مصر ، فان عناية الموحدين ـ في أوج عزهم ـ جعلت من الـرباط مدينة سوية وقصبة بحرية حصينة تكونان مع سلا العتيقة نقطة تجمع للمجاهدين الواردين من مناطق الجنوب يتهيؤون فيها لعبور المضيـق الى الاندلـس

ولئن أقفرت عرصات الرباط أو كادت بعد أفول نجم الموحدين وطوال عهد المرينيين والوطاسيين فان الحياة ما لبثت أن دبت اليهـا من جديد أيام السعديين مع من نزل بها من الاندلسيين المهاجرين الى هذه العدوة على اثر قرار الطرد النهائي للموريسكيين من قبل فيليب الثالث الكاثوليكي المتعصب عام 1018 / 1609 ثم لم تطل الفتـرة العصيبة لتأقلم هذه الجالية الطارئة مع العناصر القديمة في المنطقة فتم التجانس والتآلف خيرا وبركة على مدن أبي رقراق التي اصبح لها شأن أي شأن في أحداث القرون الاخيرة وتوالت التطورات السعيدة على هذه الناحية فانتهت باختيار مدينة الرباط عاصمة للمغرب في أيامنا هـذه

لقد تعددت الكتابات التاريخية عن رباط الفتح من مؤرخي العدوتين، كمحمد بن علي الدكالي السلوي في **الإتحاف الوجيز بأخبار العدوتيـن المهدى لمولانا عبد العزيز ، واتحاف أشراف الملأ ببعض أخبار الرباط وسلا** ومحمد بوجندار في **الاغتباط بتراجم اعلام الرباط** ، ومقدمته المطبوعة باسم

مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح وتعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط ومحمد بن علي دينية في **مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط** ومحمد السائح في **الغصن المهصور في تاريخ مدينة المنصور**

الا أن معظم ما كتب عن الرباط بقي مخطوطا لا يكاد يطلع عليه أحد وطالما حز ذلك في نفوس علماء هذه العدوة ورأوا الغضاضة كل الغضاضة في اهمال نشر تاريخ عاصمة قطر اسلامي عريق في الحضارة متوثب للتطور والنهوض وكثيرا ما سمعت شيخنا المرحوم سيدي المدني بن الحسني يلهج بذلك وينشد من نظمه في مجالسه العلمية بالجامع الكبير بالرباط

وأما رباط الفتح مسقط رأسنا
فشدي العلوم في رباه تسلسلا

بناه لنا المنصور يعقوب فازدهى
وزاد بهاء في عيون ذوي العلا

وهو يؤرخ بكلمة « فشدي » في الشطر الثاني من البيت الاول لتأسيس رباط الفتح اذ مجموع ما تدل عليه تلك الحروف الاربعة بحساب الجمل هو 594 وهي سنة تأسيس رباط الفتح على أصح الروايات

لذلك رحبت دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر بطبع كتاب **تاريخ رباط الفتح** للاستاذ عبد الله السويسي ورأت في ذلك سدا لفراغ ملحوظ واستجابة لضرورة ملحة فقد اطلع المؤلف على كثير مما كتب عن الرباط وأفاد منه ثم أضاف من معلوماته الخاصة الشيء الكثير مما عرفه كرباطي صميم من عادات اجتماعية تكاد تنقرض ومعالم عمرانية تتغير أو توشك أن تختفي وسجل بأمانة ما عاين في مسقط رأسه – كرجل سلطة – من تغييرات ادارية وأنظمة مستحدثة واحصاءات مدققة فجاء كتابه هذا موفيا بغرض الافادة عن تاريخ رباط الفتح في القديم والحديث

الرباط في رابع ربيع الثاني 1399/3 – 3 – 1979

محمد حجي

أستاذ التاريخ بكلية الآداب . بالرباط

شكر واعتراف بالجميل

لكـل الذين استفدت من أبحاثهم او نقلـت مـن مؤلفاتهـم ومعذرة لمـن فاتنـي ان اشيـر اليهـم

وامتنانـي لصديقي الحاج عبـد القادر المكناسـي صاحب مكتبـة الطالب الذي قـام بنشـر هـذا الكتاب مشاركة منه في خدمة بلده

عبد الله السويسي

نظرة اجمالية

تقع رباط الفتــح على شاطيء المحيط الاطلانتيكي ، وعلى الضفة الجنوبية لنهر أبي رقراق عند المصب شمال الخط العرضي بدرجة 37.81 وغرب الخط الطولي بــ 10.19

والمدينة الموحدية قائمة في منحنى ينحدر بنسبة 16 ميترا ويرتفع جهة الجنوب بعلــو 100 ميتــر

أما مدينة الرباط اليوم فتمتد في دائرتها الحضرية بعمرانها وشوارعها وميادينها وحدائقها على مساحة اثنى عشر ألف هكتار منها 418 تشغل المساحــة المحاطة بالاسوار الموحدية وتستمد حاجتها من المياه مــن ســد أبي رقراق ومنابع الفوارات وعين غبولة

وتنعم مدينة الرباط بجو معتدل نظرا لموقعها على الشاطيء ودرجة الحرارة تنزل في الشتاء الى 7 وفي الصيف ترتفع الى 29 والبحر هو العامل الجوهري في تلطيف المنــاخ

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخــل

ليس في نيتي أن أجعل من هذا الكتاب مرجعا للدارسين ، وانما هو مكتوب لعموم القراء جمعت فيه شتات النصوص بعد استنطاقها محاولا أجتناب التبعية في الاستنتاجات والتخمينات التي لا يقصد منها الا التنقيص من مؤهلاتنا وعبقريتنا الاصيلـة والنيل من كرامة أمجادنـا وحضارتنا باسم البحث النزيـه

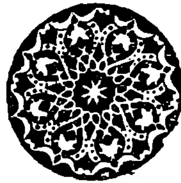
ولست منساقا وراء أيـة دوافع أجنبية عن الموضوع ، أو مـس بالواقع التاريخي وانما هو استجابة لالحاح الضمير على ارضاء الحاجة الى موجز يسـد الفراغ الذي يشعر به الباحث عن تاريخ الرباط

واذا كـان لكل حاضرة تقاليدهـا وعادتها ، فلمدينة الرباط عـادات وأحوال أصيلة الجذور ، وأخرى استحقت المطاردة وهذا خير دافـع لابراز بعض ما علق بأذهاننا من ذكريات وان ما سأورده منها ما هو الا عبارة عن عدة مواضيع مختلفة لا يربطها تسلسل أو تاريخ الغرض منها الاطلالة على الماضي وايصال صور منها للاجيال المقبلة ، لان الطفرة السريعة غيرت نظرتنا الى الاشياء ، وقضت على الكثير مــن عاداتنــا وتقاليدنا مع أن هناك ملامح خفية مـن صميم البيئة يراها بعضنا تافهة والحالة انها جزء لا يتجزأ من حياتنا .

واذا لم يكن لدي الالمام الكافي لبحثها بالاساليب المنهجية فعسى أن تكون منطلقا لمن له الاستعداد الكافي لمعالجتها بالطرق التي يراها اجدى واوفـــــى

وقد رايت أن افتتح عملي بتلخيص لحياة الخليفة العظيم يعقوب المنصور مخرج الرباط من حيز العدم الى عالم الوجود ، تحية من أحد ابناء مدينته واعترافا بالجميل على ما أسداه للمغرب والعروبة والاسلام

وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب



الفصل الأول



يعقوب المنصور الموحدي

يعقوب المنصور الموحدي

هو أمير المومنين عبد الله يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي الكومي

ولد بقصر جده عبد المومن بمدينة مراكش سنة 555 هـ/1160 م (1)

الروايات بأنه كان آدم معتدل القد أكحل الشعر ، واسع الاكتاف أقنى الانف ، عاري العنفقة مدور الوجه ، أفلج أعين لـه وفرة تنعقد على جبينه (2) مستدير اللحية ضخم الاعضاء ، جهوري الصوت جزل الالفاظ (3) وامه أم ولد (4) ولقبه المنصور بفضل الله ، نائه عن جدارة بما اسبغته عليه انتصاراته المتوالية

تسلم مقاليد الحكم وهو ابن خمس وعشرين سنة بعد استشهاد والده الخليفة يوسف بشنترين من أرض البرتغال بسبب طعنة نجلاء تحت سرته ، أصابته من يد المنقضين عليه من الاعداء في 10 ربيع الثاني سنة 580 هـ = 1184 م

ابن ابى زرع ط حجرية فاس ونقل المؤرخ الاستاذ عبد الله عنان انه ولد بمدينة قصر عبد الكريم ، القصر الكبير ، **عصر المرابطين** ج 2 ص 141

ابن ابي زرع

(3) **المعجب** ص 148 وابن خلكان ج 2 ص 428

احديث الى أبيه من سيد راى بن وزير من شيوخ الثوار بالاندلس صاحب شلب نقله المؤرخ عبد الله عنان في عصر المرابطين والموحدين

وكان الخليفة المنصور اداريا حازما يعكف على معالجة شــؤون الدولة بهمة لا تفتر وظهر النضج في سائر أعماله ، وحالفه التوفيق في جل ما أقدم عليه وكانت له عناية خاصة بشؤون الاندلس كما سنرى فيما بعد وكان حاد الذكاء لا تنال منه الحيل والاختلافات يطارد الولاة المقصرين ولا يتأخر عن محاسبتهم ومعاقبتهم واستصفاء أموالهم اذا اقتضى الحال وحصل ما يبرر ذلك ولا ينتدب لاعمال الجباية الا الثقات من ذوي النزاهة لان اهتمامه بشؤون مالية الدولة كان خاصا ومدققا

وكان مشاركا في كثير من العلوم ومحبا للعلماء يلتف حولــه دائما نخبة من المفكرين شغوفا بالجدل والمناقشات الفلسفية ، كما كــان أديبا فصيحا متقنا يحب الشعر ويصغى الى الشعراء ويغمرهم بصلاته ويحب طلبة علم الحديث والفقه ، كثير الصدقات وفعل المعروف

هذا هو الخليفة الشاب الذي أتم بناء رباط الفتح وهزم الاسبانيين في معركة الارك (5) تاسع شعبان 591 هـ = 19 يوليوز 1195 م وأدخل العرب الهلاليين الى المغرب ولمعت في عهده شخصيات بلغت القمة في التفكير والحديـث والتفسير ، وازدهرت فيــه الثقافة وانتشر الامــن والعمـــــران

وأقام امبراطورية امتدت حدودها من ساحل المحيط الاطلانتيكــي الــى طرابلس الغرب شرقــا ومن اسبانيا شمالا الــى نهري النيجــر والسينيغــــال جنوبــــا

وهو الذي قلد جيد الزمان بروائعه المعمارية ليقدمها التاريخ بعده هدية فريدة للاجيال المتلاحقـــة

وقد سجل التاريخ مراحل حياته خطوة خطوة وسنتابع السير في ركابه الى نهاية المطاف ابتداء من تاريخ اعتلائه عرش آبائه الاكابر

---

5) بالاسبانية *ALARCOS* في فحص قلعة رباح على مسافة 11 كيلوميترا من تيوداد ريال

فعندما تلقى البيعة الاولى باشبيلية من السادة بني عبد المومن والاشياخ من الموحدين ورؤساء الاندلس ، وقواد الجيش ورئيس الاسطول ورؤساء هنتاته وبقية الوزراء والأعيان ، خف الى المغرب لنقل جثمان والده، حيث دفن بجانب قبر أبيه في تينمـل (6)

وتمت بيعته الخاصة يوم الاحد 19 ربيع الثاني سنة 580 هـ عقـب مصرع أبيه بمحلة الجيش المنسحب من شنترين ، ثم تايدت بعد ذلك بيعته العامة يوم السبت ثاني جمادى الاولى سنة 580 هـ في اشبيلية ولما نزل بسلا خلال عودته استجاب لبيعة من كان قد تخلف من اخوته واعمامه من بني عبد المومن فغمرهم بالرفد الجزيل (7)

وقد تمت بيعة الخليفة في هدوء وعلى ما يرام لكون الخليفة الشهيد كان قد خصه بولاية العهد في حياته واستوزره أيضا لانه كان أكبـــر أولاده (8)

واستبشر الناس بالعهد الجديد ، وبما اظهره الخليفة في بداية حكمه من اسعاف الفقراء بمقادير كبيرة من أموال الدولة ، وباطلاق المساجين الذين اعتقلوا لاسباب تافهة وتعويض المظلومين أيام ابيه

وكان المنصور صديقا ونظيرا للعلماء ، أنشا لهم المعاهد وقسمهم الى طبقات وأجرى عليهم الارزاق ونقل صاحب الاستقصاء عن ابن أبي زرع انه لما تمت البيعة للخليفة كان أول شيء فعله ان اخرج مائة الف دينار ذهب من بيت المال ففرقها في الضعفاء من بيوتات المغرب ، وكتب الى جميع الولاة بتسريح السجون ورد المظالم التي ظلمها العمال فـي

---

6) توفي بالاندلس ثم نقل ودفن بقصبة الرباط ثم نقل ثانيا الى تينمل بجوار ابيه الذي مات بقصبة الرباط وبقي بها عامين ثم نقل الى تينمـل

7) المعجـب ص 150

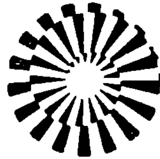
8) الحلـل الموشيـة ص 120 وروض القرطاس ط حجرية .

أيام أبيه ، وأكرم الفقهاء ، وراعى الصلحاء وأهل الفضل (9) وبادر الـى مطاردة مظاهر الفساد وأصدر أمره بانقضاء على سوق الخمور والقيان والغانيات والاستهتار وأنفذ كتبه الى سائر ولاة المملكة بمراعاة العدل وتانيس الرعية وكف الظلمـة

وامعانا في الاصلاح وتحقيق العدالة كان يجلس بنفسه للنظر فـي المظالم وذلك بالمسجد الجامع المجاور لقصر الحجر القديم ، وكانت هذه الجلسات تمتد من الضحى الى الزوال . وابتدئت في غرة رجب 580 هـ.

وفي سنة 581 اتخذ الخليفة خطوة رشيدة في ميدان الاصلاح المالي برفعه لوزن الدينار من 3.960 غراما ذهبيا في العهد المرابطي الى 4.729 غراما ذهبيا كما كان في عهد الخليفة سيدنا عمر بن الخطاب ، وبقي الدينار مربعا الى عهد المرينيين حيث استدار مع احتفاظه بوزنه (10) وكان لهذا الاجراء أثر بالغ في استقرار التعامل بين الناس

وفي مستهل رجـب 581 هـ = 28 سبتمبر 1185 م اختط ضاحيـة الصالحة في جنوبي مراكش ما بين باب أغمات شرقا وباب الشريعة غربا وانشأ بهـا عدة قصور ملوكية وجـدد جامعا يحمل اسم منشئه الـى الآن وانتهى العمل من بناء ضاحية الصالحة في شهر ربيع الاول سنة 584 هـ = 1188 م



9) الاستقصـا ج 2 ص 142

10) تاريخ المغرب للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ج 1 ص 126 .

وفي هذه الفترة التي خيم فيها الامن والاستبشار ، وشرع في أعمال الاصلاح والانشاء كان بداية الصراع المرير الذي نشب في افريقية بين الموحدين وبني غانية ، ومن انضم اليهم من القوى الناخرة من عصابات قراقوش أحد موالي الاكراد بمصر وقد كان لهذا الصراع أبلغ الاثر في انحلال الدولة الموحدية ، واستغراق جهودها ، وتبديد قواها ومواردها ، فلقد هاجم بنو غانية أصحاب ميورقة ومنورقة ثغر بجاية ، واستولوا عليه يوم الجمعة 6 شعبان سنة 580 هـ = 13 نونبر 1184 م وعلى كثير من ثغور الشواطيء ثم استولى على بن اسحاق بن غانية على الجزائر ومازونة ومليانة وقلعة بني حماد ثم حاصر قسنطينة فامتنعت عليـــه

وعلم يعقوب المنصور بتلـك الحوادث المؤسفة المحزنة ، وهو مـا يزال في بداية عهده فأدرك خطورتها ووطد العزم على قمعها ، وجهز لذلك حملة قوية قوامها عشرون ألف مقاتل ، وجعل قيادتها لابن عمه السيد أبي زيد بن أبي حفص وفي نفس الوقت تحرك أسطول موحدي مـــن سبتة تحت قيادة أبي محمد بن اسحاق بن جامع ، وأبي محمد بن عطوش الكومي وأبي العباس الصقلي فوصل السيد أبوزيد الى افريقيا وشرد ابن غانية عنها الى الصحراء في أخبار طويلة كما قال صاحب الاستقصاء

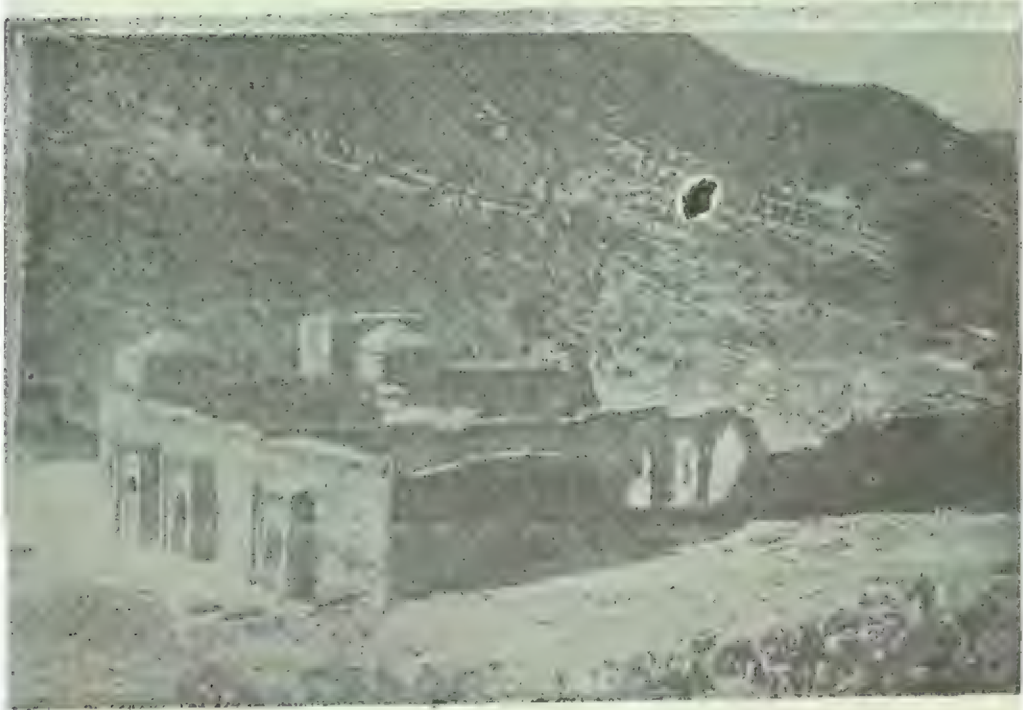
ثم عـاود ابن غانية الكرة على معظم افريقيـة ، وقطع بها خطبـة الموحدين ، وظاهره على ذلك قراقوش الغزى الارمني من موالي السلطان صلاح الدين الايوبي (11)

وسيطر ابن غانية على معظم افريقية ، ودعا لطاعة الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، واستمال الى جانبه كثيرا من طوائف العرب من بني هلال ، وسليم ، ورياح ، وجشم واثبـج

---

11) الاستقصا ج 2 ص 160

وبعد وصول كثير من الاخبار المزعجة ومنها سقوط قفصة في يد ابن غانية ، هب المنصور من مراكش سنة 582 ه الى تونس ثم الى « الحمة » حيث التقى الجمعان ، واندلعت المعارك . وكانت الهزيمة الساحقة في النهاية على ابن غانية واحزابه وحلفائه ، وانفلت مع قراقوش في فلول من عصاباتهما ، ثم افتتح المنصور مدينة قابس . وكانت في يد قراقوش ونقل من كان بها من حرم ابن غانية وذويه في البحر الى تونس ، وواصل المنصور زحفه واسترد ما ضاع ، ولما فرغ من ذلك نهض الى عرب افريقية وشردهم ، وانضمت الى الخليفة جموع الاكراد والاغزاز الذين كانوا في جيش قراقوش ، ونقل اهل الفتنة من العرب الى المغرب الاقصى ورجع الى مراكش فدخلها في محرم سنة 584 ه = مارس 1188 م



مسجد تينمل

وفي أوائل سنة 585 هـ = أوائل سنة 1189 م وصل أسطول صليبي ضخم من خمسين سفينة محملة بالجنود الالمان والفلامنك الى ميـاه اسبانيا الغربية في طريقه الى البحر المتوسط لنجدة الجيوش الصليبية التي ضعضعتها ضربات صلاح الدين بعد استرجاعه لبيت المقدس فـي رجب سنة 583 هـ = أكتوبر 1187 م ووصل في نفس الوقت الى هذه المياه أسطول صليبي آخر من انجلترا وبلاد الفلاندر ، وانضمت اليـه السفن القادمة من مياه جليقية فتلقاهم سانشو ملك البرتغال بترحاب والفى في مقدمهم فرصة فريدة للاستعانة بهم في غزو القواعد الاسلامية الجنوبية ، واتفق مع الصليبيين على تسيير حملة مشتركة الى مدينة شلب لانتزاعها من المسلمين وكانت شلب في ذلك الوقت من امنع قواعد الغرب الاندلسي ، وأوفرها ثراء تحيط بها البسايط الخضراء وغابات الزيتـون

واستولى النصارى على مدينة شلب بعد حصار دام ثلاثة أشهر وبعد نفاد المؤن وشدة العطش الناشيء عن قطع الماء وكان سقوط المدينة تهديدا لبقية ولاية الغرب في اتجاه اشبيلية (12)

وكان وقع هذه الحوادث أليما في نفس المنصور فما لبث ان وجه كتبه الى اشبيلية وغيرها من قواعد الاندلس بعد التأهب للعبور لنصـرة أهلهـــا

وفي الرابع عشر من شهر ذي الحجة 585 هـ = 23 يناير 1190 م خرج في قواته من مراكش قاصدا رباط الفتح فاقام بها أزيد من شهر حتى وصلت باقي الحشود وقوات القبائـــل

وفي أواخر المحرم 586 هـ = 1190 م غادر المنصور رباط الفتح الى

---

12) **عصر المرابطين والموحدين** للمؤرخ عبد الله عنان ج 2 ص 174 بتصرف واختصار

قصر مصمودة (13) ، ثم عبر البحر الى طريف قاصدا قرطبة ، وبعث الى السيد يعقوب بن أبي حفص والى اشبيلية بأن يجمع سائر الحشود من العرب والبربر فصدع بالامر وصار قاصدا الى شلب

ووصل المنصور بقواته الى قرطبة وبعد التجول بأطلال مدينة الزهراء أمر بانزال التمثال الذي كان منصوبا فوق بابها وكان تمثالا للعذراء على ما يقال ، ويحكي صاحب البيان المغرب أنه هب في عصر ذلك اليوم ريح عاصف أحدثت خللا في محلة الساقة وأذاع العوام من أهـل قرطبة أن سبب ذلك هو انزال تمثال العذراء ، وبلغ المنصور ذلك فسخر منه ، وأنحى بالائمة على جهل أهل قرطبة (14)

وقضى المنصور في هذه الغزوة ثلاثة وأربعين يوما وعاد الــى اشبيلية في الحادي عشر من شهر جمادى الثاني سنة 586 هـ = يوليوز 1190 م ومنها اتجه الموحدون الى فتح شلب ، فوصلوا اليها يوم الخميس الثاني من جمادى الاخيرة 587 هـ = 27 يونيه 1191 م

وفي يوم الاربعاء 15 جمادى الثاني اقتحم الموحدون المدينة وسيطروا عليها يثخنون فيها قتلا وجرحا ، فبادر أهلها بطلب التسليم والامان ، فضرب لهم المنصور أجلا قدره عشرة أيام ، وخرج النصارى من شلب يوم الخميس 25 جمادى الثانية = 23 يوليوز 1191 م وعادت شلب الى قبضـــة الاســـلام

وفي هذه الفترة أوفد السلطان يوسف صلاح الدين الايوبي سفارة هامـة الى الخليفة يعقوب المنصور ، نلخصها فيما يلي

---

13) قصر مصمودة هو قصر المجاز لا يبعد عن طنجة اسسه امير مصمودة أيام ولاية طارق بن زياد الليثي لطنجة ومنه كان الجيش يعبر الى الاندلس في الغالب وهو المسمى بالقصر الصغير المؤرخ ابو جندار **مقدمة الفتح** ص 22 والاستاذ عبد الهادي التازي تعليق تاريخ **المن بالامامة** ص 191

14) نقله المـؤرخ عنان فـي عصـر **المرابطيـن والموحدين** عـن البيان **المغـرب** **القسـم** الثالث ص 175

بين السلطان صلاح الدين الايوبي والخليفة يعقوب المنصور

فكر السلطان صلاح الدين في الاستنجاد بالخليفة يعقوب المنصور لما كان يصارع التكتل الصليبي الرهيب الذي يحاول ابتلاع مدن عكا ، وصور ، وطربلس الشام ، واعادة تأسيس المملكة الاتينية التي قضى عليها صلاح الدين بعد استرداد بيت المقـدس

وقد بعث اليه بالفعل وفدا يطلب منه أن يمده ببعض قطع أسطوله لمواجهة الزحف البحري الهائل المتوالي على الشرق من فرنسا وانكلترا والمانيا وغيرها من الدول الاروبية الصليبية ولتكون حائلا في البحر بين أساطيل الافرنج وبين امداد النصرانية بالشــام

وكانت هذه السفارة الاولى سنة 585 هـ = 1189 م برئاسة الوزير عبد الرحمن بن منقد ، وقد اتجه صلاح الدين ببصره الثاقب نحو المغرب يرجو منه العون والغوث خشية من استفحال التكتل الصليبي ، وكان يرى في الدولة الموحدية التي بلغت يومئذ ذروة عظمتها ملادا يجدر الالتجاء اليه (15) فكتب اليه رسالته الشهيرة ، مدبجة بقلم القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني يستصرخه وفيها يصفه بأمير المومنين ، وسيد العالمين ، وقسيم الدنيا والدين » ويصف له جهوده في محاربة الصليبيين وتحالف النصرانية عليه ، الى أن يقول في رسالته

وبذلك يذهب سيدنا وعقبه بشرف ذكر لا ترد به المحامد علـــى عقبها ، ويقيم على الكفر قيامة يطلع بها شمس النصر من مغربها » (16)

---

15) **عصر المرابطين والموحدين** ص 181 قسم 2 وجاء في **الموسوعة المغربية** للاعلام البشرية والحضارية (2) ان رسول صلاح الدين يسمى اسامة منقـذ

16) تراجع هذه الرسالة في **صبح الاعشى** ج 6 ص 526 ـ 530 والواقع ان يعقوب المنصور ما كاد يتولى الخلافة حتى شغل بثورة بني غانية وبحشد الجيوش لرد عدوان القشتاليين والبرتغاليين والظاهر انه لم يستجب لرغبة صلاح الدين بسبب تلـك الظـروف الدقيقـة .

وفي سنة 586 هـ = 1190 وجه صلاح الدين الى يعقوب المنصور سفارة أخرى على يد وزيره عبد الرحمن بن منقذ السابق الذكر ، واصفا في رسالته تقاطر الفرنج على الشام برا وبحرا الى أن يقول مستنجدا انه كان من المتوقع من « تلك الدولة العالية ، والعزمة الفادية ، مع القدرة الوافية ، والهمة المهدية الهادية ، ان يمد غرب الاسلام المسلمين ، بأكثر مما أمد غرب الكفار الكافرين ، فيملأها عليهم جوارى كالاعلام »

وجاء في رواية صاحب البيان المغرب أن السفير المصري في طريقه الى المغرب نزل بثغر تونس ، ثم بثغر بجاية ، واستقبل بمنتهى الحفاوة والاكرام من طرف والي افريقية ووالي بجاية اللذين كتبا الى الخليفة المنصور ، وهو يومئذ باشبيلية بمقدم السفير ووصلت كتبهما اليه في شهر رجب سنة 586 هـ فرد الخليفة طالبا منهما أن يستمرا في مجاملة السفير والاعتناء به وأن يطلب اليه كتمان رسالته حتى يستقبله الخليفة . وأن يستقر بفاس معززا مكرما حتى يتم هذا الاستقبال (17)

وانتظر السفير بفاس زهاء عام وكان المنصور أثناء ذلك مشغولا في غزوته الكبيرة لاراضي البرتغال ولما رجع المنصور استقبل ابن منقذ وقدمت اليه هدية السلطان وكان فيها مصحف كريم في ربعة مخيشة بالمسك ومائة درهم من دهن البلسان ، وعشرون رطلا من العود ، وستمائة مثقال من المسك والعنبر ، وعشر قلائد من الجوهر ، ومائة قوس باوتارها ، ونصول سيوف هندية وسروج عدة مثقلة

وكان اجتماع السفير في السادس من محرم سنة 588 هـ = يناير 1192 م وغادر الحضرة بعد ذلك بخمسة أيام (18) بعدما نال من الخليفة جائزة سخية ، قدرها أربعون الف دينار على قصيدة من نظمه في مدح الخليفة عدتها أربعون بيتا

---

17) البيان المغرب ـ القسم الثالث ـ ص 183

18) الاستبصار نشر للدكتور سعد زغلول ص 107

ولما بلغ ابن منقذ رسالته تلقى عنها جوابا مجملا يتلخص في الاعتذار عن اعارة الاسطول وأحيل السفير الى الوزراء لاستيفاء التفاصيل (19)

وفي العاشر من المحرم 588 رجع ابن منقذ حاملا الى السلطان هديه تضارع هديته في القيمة والفخامة فوصل الى الاسكندرية في آخر جمادى الثانية من هذا العام

قال صاحب الاستقصا ولما وقف المنصور على كتاب السلطان ورأى تجافيهم فيه عن خطابه بامير المومنين لم يعجبه ذلك ، وأسرها في نفسه ، وحمل الرسول على مناهج البر والكرامة . ولم يجبه الى حاجته ، ويقال انه جهز له بعد ذلك مائة وثمانين أسطولا ومنع النصارى من سواحل الشام (20)

والظاهر أنه لم يكن لهذه السفارة نتائج ايجابية كما أن الرواية التي ترجع عدم استجابة المنصور لصريخ صلاح الدين الى أنه لم يلقبه بألقاب الخلافة هي رواية واهية ، وان الاسباب الحقيقية ينبغي أن تفسر على ضوء الاحوال والظروف وان المسألة أهم من أن يقع فيها البت بسبب كيفية الخطاب (21)

بل ان هناك أسبابا سياسية وحربية منعت المنصور من مساعدة صلاح الدين فالخليفة لم ينس الدور الذي لعبه قراقوش غلام الايوبيين في افريقية عندما تحالف مع عدو الموحدين الالد ابن غانية ، وهو لا يزال يتذكر أن صلاح الدين نفسه كان صلة الوصل بين الخليفة العباسي وبني غانية ، وان على طريق مصر مرت خلع العباسي الى ابن غانية وان الخليفة

---

19) ابن خلدون العبر ج 6 ص 246

20) الاستقصاء ص 163 ج 2 - وابن خلدون العبر 6 - 246 وابن خلكان ج 2 ص 432

21) عصر المنصور الموحدي - الرشيد ملين ص 144

العباسـي أصـدر أمـره عـام 570 هـ. باسنـاد السلطـة الـى صـلاح الدين الايوبي بناء على طلبه ، لا على مصر والنوبة وغربي الجزيرة العربية وفلسطين وسوريا الوسطى فحسب ، بل على المغرب ايضا (22) ومعنى ذلك ان صلاح الدين كان طامحا ان يحل محل المنصور اذا ما كتب له الظفر في حرب الصليبيين ولم تكن شكوك المنصور مبنية على مجرد ما جاء في الارادة الملكية للخليفة العباسي فحسب ، بل مدعمة ايضا بوقائع عسكرية سبقتها خلال احتلال قراقوش مدينة طرابلس الغرب ، وكانت موحدية ، ثم مساندة قراقوش لبني غانية في حرب كادت في بدايتها ان تقضى على دولة الموحديـن .

وزيادة على هذا فالمنصور كان في حرب مستمرة مع ملوك اسبانيا وكان هو نفسه يواجه حربا صليبية اخرى تسعى لطرد الاسلام مـن الاندلس وافريقيـة

ولهذه الاسباب كلها فانه لم يكن هناك مجال لان يتقدم الخليفة الى غوث اخوانه المشارقة بقوات كان في اشد الحاجة اليها

ويناقش بعض الباحثين ما قيل عن اعتذار الخليفة بمقاييس العصر، فهم يعدونه تنصلا وتقاعسا عن التضامن والتكتل الاسلامي وبعضهم يجزم بخطا الخليفة المنصور ويعتقد أنه كان من الممكن تغيير مجرى التاريخ الاسلامي لو أن المنصور أقدم على اقفال البحر الابيض المتوسط . والبعض الآخر يعتبر جميع التعليلات غير كافية لتبرير موقف الخليفة ، وان الحرب العدوانية التوسعية التي شنتها الصليبية باسم الدين أخطر وأعظم من الاعتبارات الخاصة والخلافات التي لا يخلو منها عصر من العصور بين امبراطورتين مشتركتي الحـدود

وعلى أي حال فان الرواية القائلة بأن المنصور ساعد بمائة وثمانين أسطولا ستبقى حاجزا منيعا بين الحكم للخليفة المنصور او عليه والله أعلـم بالحقيقـة

---

22) المعجـزة المغربيـة ـ احمـد عسـه عنـد للكلام على الدولة الموحديـة .

ولنرجع الى موكب الخليفة المنصور حيث تقـرر

الرجـــوع الـــى المغـــرب

في فاتح رمضان 587 هـ جلس الخليفة بحدائق البحيرة خارج اشبيلية لوداع رعيته ميمما شطر العدوة للرجوع الى مراكش ، وما كاد يصلها حتى اصيب بمرض طالت مدته ، حتى خيف منه على حياته وأشـــار اطباؤه بالانتقال الى فاس فحمل اليها في محفة ، واستمر بها شهورا حتى تماثـــل للشفـــاء

وفي ابان مرضه عقد البيعة لابنه أبي عبد الله بولاية عهده وكان سنه لا يتعدى عشر سنوات ، وهو الذي تلقب بالناصر فيما بعد وكتب بذلك الى والــي افريقيا ووالي اشبيلية اللذين بادرا بالحضور لتاييد ولاية العهد، كما جاء وفد من اشبيلية يحمل تاييد أهل الاندلس

ولما استرجع الخليفة نشاطه رجع الى رباط الفتح مرة أخرى وكان يؤثر هذه المدينة بحبه ، ويميل الى سكناها والاستجمام بها وكان في تلك المرة قد وطد العزم على الانتقال اليها بصفة نهائية واتخاذها عاصمة لمملكته (22) فامر بتجديد قصبتها والقى بشأن تحصينها وتحسينها بقية أوامره ، ثم عاد الى مراكش في منتصف هذا العام 588 هـ .

وفي سنة 590 هـ ـ 1194 م جاءت الاخبار تترى منبئة عن استئناف مغامرات بني غانية واستفحال أمرهم ، وتفاقم غارات العرب والغـــز وعيثهم ، فقرر المنصور أن يستدرك الحالة بنفسه ، وغادر مراكش الى رباط الفتح لاعداد الحملة واستنفار الجيوش وكتب الى ولاة الاندلس يامرهم بالحـضـــــــور

---

22) عصر المرابطين والموحدين ـ محمد عبد الله عنان ـ ص 192 ـ للقسم الثاني

الجـواز الثانـي ومعركـة الارك (23)

ولما وفدوا عليه بالرباط تبين ان الهدنة المعقودة مع ملك قشتالة سنة 586 هـ = 1190 م عقب جوازه الاول الى الاندلس قد انتهى اجلها كما بلغ المنصور أن ملك قشتالة قد أنذر جميع الثغور الاسلامية المتاخمة له بذلك ، وانه بعث مطران طيطلة في حملة تخريبية عاثت فيها واستولت على كثير من الغنائم وان قادته يغيرون على الاندلس ويتوغلون الـى أحـواز اشبيليـة

وبسبب هذه الانباء المقلقة اعتزم المنصور أن يغير وجهته وأن تتخذ التدابير للعبور الى الاندلس للمرة الثانية وكانت الرغبة في السير الـى الاندلس أشد وأقوى لقربها ولتيسير المؤن بها (24)

وفيما يخص افريقية فقد أمر بارسال الامدادات الى ولاتها لمواجهة بني غانية وحلفائهم

هذه هي الاسباب التي وطدت عزم المنصور على السير الى الاندلس في نظر بعض المؤرخين وهناك رواية أخرى تقول ان ملك قشتالة بدأ يعد العدة لطرد المسلمين من جميع انحاء الاندلس وانه توغل في غاراته حتى الجزيرة الخضراء ومن هذه المدينة وجه الى المنصور كتابا من انشـاء وزيره اليهودي ابن الفخار (25) كله زهو واعجاب ، واحتقار لقوة الموحدين ويتحداه فيه بأسلوب يفيض غرورا ووقاحة (26)

ولما وصل كتابه الى الخليفة واطلع عليه مزقه وكتب على ظهر قطعة منه « ارجع اليهم فلنا تينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة

---

23) ALARCOS

24) ابـن خلـدون ج 6 ص 245

25) ذكر صاحب **الاستقصاء** ان هذا الوزير المعروف بابن الفخار من ضعفـاء المسلمين ص 186 ج 2

26) نقلـه ابن أبـي زرع بنصـه في **روض القرطاس** ص 156 ـ مطبعة حجرية فاس .

وهم صاغـــرون » ثم كتب الجواب ما ترى لا ما تسمع ، وانشد متمثلا :

ولا كتــب الا المشرفيــة والقنـــا

ولا رســل الا الخميس العرمـــرم »

ونقول الرواية ان المنصور وزع نسخا من هذا الكتاب على جميـع انحاء مملكته لتقرأ على الرعية. وقد بلغ حماس المغرب أشده فأقبل الناس سراعا على التطوع واجتمع للمنصور أعظم جيش قاده في حياته (27) يقال انه بلغ مائــة الف مقاتـــل

ولما اجتمعت الحشود من سائر اطراف المملكة ، وتمت اهبة الحملة خرج الخليفة يعقوب المنصور من مراكش قاصدا قصر المجاز (28) في يوم الخميس الثامن عشر من جمادى الاولى سنة 591 هـ وهناك اتخذت الاحتياطات لتنظيم تموين الجيوش واستكمال الاهبة

وكان اول من عبر البحر قبائل العرب ، ثم زناتة ، ثم المصامدة ، ثم غمارة فالجيوش المتطوعة ثم الموحدون واستقروا بساحـــل الخضـــــراء

وبعد ذلك جاز امير المومنين في جيش عظيم من اشياخ الموحدين ، ومعه فقهاء المغرب وصلحاؤه وكان وصوله بعد صلاة الجمعة 20 جمادى الثانية 591 هـ أول يونيه 1195 م فأقام بظاهر الخضراء يوما واحدا ثم استأنف سيره الى اشبيلية (29)

ولما وصلت أخبار العبور الى ملك قشتالة الفونسو الثامن (30) جمع الكورتيس في مدينة كريون (31) على عجل وأخذ يتاهب للحرب ، وتصفه

---

27) عصـر المنصور للرشيد مليـــن ص 148

28) قصـر للمجـاز هو القصـر الصغير كما تقدم

29) روض القرطاس ط. حجريــة ص 160

30) يسميـه المؤرخون الانيفونش والانفونس مـات سنــة 1214 م .

31) تقــع على بعد سبع كيلوميترات من حصن الارك

الاخبار بأنه كان واثقا بنفسه وفي حصن المحلة المعروفة بالارك مـــن أعمال قرية رباح اعتزم ملك قشتالة أن يلقي الموحدين وألا يسمح لهـم بتجاوز الحدود الى داخل مملكته   اما الخليفة المنصور فقد استمر فـــي سيره حتى بقي بينه وبين حصن الارك مرحلتان فنزل هناك يوم الخميس الثالث من شعبان 591 هـ حسب رواية صاحب القرطاس   وكان يجري مشاوراته مع أشياخ الموحدين ، وأشياخ مختلف القبائل   ولما استشار مع قواد الاندلس أحالوه على كبيرهم القائد الموفق الصالح أبي عبد الله أبن صناديد الذي أبدى رأيه للخليفة ، وهو عبارة عن الخطة الحربية التي ينبغي اتباعها وتنفيذها ، وقد أعجب الخليفة برأي ابن صناديد   وقرر اتبـــــاعـــــه (32)

وفي ضحى التاسع من شعبان 591 هـ يوليه 1194 نشبت المعركة وتركز هجوم القشتاليين على ميسرة الجيوش الموحدية ، وأسفر عن تقهقر جماعة من المتطوعة وأخلاط السوقة   ثم تركز على قوات القلب التـــي يقودها ابن أبي حفص الهنتاتي   القائد العام لقوات الموحدين   الذي استشهد في الحملاتالاولى لفرسان الاذفونش ، الفونس

ولما رأى المنصور ذلك نهض بنفسه وترك ساقته على حالها ، يحث الجند على الثبات   ــحم الجيشان واشتد القتال   وهلك الكثير مـن القشتاليين الذين اضطروا الى التقهقر ثم الفرار ، ودامت المعركة من وقت الضحى الى غروب الشمس ونجح الفونس في النجاة مع نفر قليل من فرســانـــــه (33)

ورغما عن الاستعدادات الهائلة التي هيأتها قشتالة من الجند والسلاح والارزاق فقد باءت بالفشل ، وسقط جل ذلك في يد الخليفة ، وكانت الهزيمة وبالاعلى قشتالة وانتصر المسلمون وضربوا أعداءهم ضربة قاسية   ودوى

---

32) روض القرطــاس ط. حجريـــة
33) البيــان المغــرب ص   194

صوت الجيش المغربي في بقاع اسبانيا المسيحية فارتعشت رعبا وتوغلت فيالى المنصور الى مدريد ووادي الحجارة وارباض طليطلة حيث لجأ الفونس المنهزم (34)

وقرر المنصور العودة بسرعة قبل أن يختل نظام التموين في الجيش، وحفظا لسلامة جيشه ، فارتد نحو الجنوب ووصل الى اشبيلية في غرة صفر 593 هـ بعد أن قضى في غزوته نحو ثلاثة أشهر (35)

ومما يذكر هنا بالثناء لزعيم الموحدين انه لم يشن صفحة نصره بالالتجاء الى قسوة لا مبرر لها في معاملة الاسرى والعزل ، فقد اسر المسلمون في موقعة الارك عشرين ألفا ولم يشأ المنصور جريا على سنن الحرب المتبعة يومئذ ان يقتلهم أو يرسلهم عبيدا الى افريقية ، بل آثران يمنحهم الحرية دون افتداء (36)

وقد أهتم المنصور أثناء اقامته باشبيلية باعادة النظر في الاعمال والنفقات ، ومحاسبة بعض العمال ممن لحقت بهم تهمة الاختلاس والتبذير. وفي هذه الاثناء قام الخليفة ببعض التعيينات كما عنى في نفس الوقت بالاستعداد لاستئناف الغزو في قشتالة

وفي 24 جمادى الاولى سنة 593 = 1196 غادر اشبيلية قاصدا قرطبة ، ومنتظرا الفترة التي تكثر فيها المؤن والاقوات باراضي العدو ولما أن الاوان غادر قرطبة في قواته مخترقا جبل الشارات (37) قاصدا طليطله مرة أخرى وحاصرها

وقد علم الخليفة أن ملك قشتالة اتفق مع ملك اراجون (38) وانهما

---

34) عصر المنصور الموحدي - محمد للرشيد ملين ص 155

35) روض القرطاس ص 163 ط. حجرية

36) تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ليوسف الشباخ - الجزء الثاني ص 88

37) سييرا مورينا

38 ARAGON

يرابطان عند قلعة مجريط (مدريد) في انتظار الموحدين ولما وصـــل الى مجريط حاصرها ، ولكن الملكين لم يكونا بها ، وكانا قد انسحبا الـى وادي الرملة (39) من دون قتال ، تاركين قوة منيعة للدفاع عن مجريط

وأثناء الفترة التي نزل فيها المنصور بقرطبة وقعت محنة الفيلسوف ابن رشد واستطاع أعداوه أن ينالوا منه ما سنقصه عليك



محنـــة الفيلسوف ابن رشـد وأسبابهـا

كان المنصور عالما بارعا يحب المعرفة ويجمع حوله صفوة العلماء والمفكرين ويعقد المجالس الخاصة للاستماع الى المناقشات الفلسفية وبالاخص الى آراء ابن رشد في علاقة الفلسفة بالدين ، وهو الموضوع الذي كتب فيه رسالته فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة مـــن الاتصـــال وكان المنصور يقدر الفيلسوف ، ويقربه اليه ، ويجلسه الى جانبـه مباشـــرة

وفي خلال سنة 593 هـ كان ذكر القاضي أبي الوليد ابن رشد قد ملأ الدنيا وذاعت شهرته الفلسفية والطبية والفقهية ذيوعا عظيما ، وبلغت تصانيفه في مختلف العلوم أكثر من سبعين كتابا ورسالة معظمها في تلخيص كتب أرسطو وشروحها وتلخيص وشروح كتـب جالينوس وكتب في الاصول والفقه والحكمة والمنطق والحساب وعلم الكلام ، وترجم الكثير من كتبه الى اللاتينية حيث اشتهرت مكانته في التفكير الغربي واقترن اسمـه بأرسطا طاليس أعظـم فلاسفة الاغريـق وتولى قضـاء اشبيلية وقرطبة ، وكان كثير التنقل مع بلاط المنصور بالاندلس والمغرب. وكـان الطبيـب الخـاص للخليفـة بعد وفـاة استاذه ابن طفيل سنـة 581 = 1185 م

(39 GUADARRAMA

وكان محسودا من بعض الفقهاء والطلبة الموحدين الذين كانوا يرمونه بالمروق والزيغ والخروج على أحكام الشريعة الاسلامية وهي الاسباب التي أتخذت ذريعة لاتهام الفيلسوف وكان على رأس هؤلاء الفقيه عبد الرحمان بن زكريا الرجراجي القرطبي المتوفي سنة 605 هـ .

وشمل الاتهام بالمروق والزندقة آخرين من زملائه وتلاميذه ، منهم أبو جعفر الذهبي ، والفقيه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المهري المشهور بالاصولي قاضي بجاية وأبو الربيع الكفيف وأبو العباس الشاعر القرائي

واختمرت الشائعات في أذهان جمهور العامة فصاروا يشيعونه بالشتم ، وألقوا على رأسه الاقذار في قرطبة وبلغ الامر أن جماعة من سفلتهم اخرجوه مرة من أحد مساجد قرطبة ، ولم يتركوه أن يؤدي صلاته لاعتقادهم مروقه من الدين . وكان هذا بعد عودته من منفاه الى قرطبة (40)

واضطرارا الى استرضاء الفقهاء والطلبة وجمهور العامة عقد المنصور مجلسا للمحاكمة وتولى توجيه الاتهام القاضي أبو عبد الله بن مروان والخطيب ابو علي بن الحجاج وانتهى الامر بادانة الفيلسوف بعد محاكمة شكلية (41) ورغما عما كان يتسم به البلاط الموحدي من رعاية العلم والعلماء (42)

وصدر الامر باحراق كتب ابن رشد علنا سوى ما كان منها في النظر والحساب والفقه ونفي الفيلسوف الى بلدة أليسانة (43) وكان معظم سكانها من اليهود وأكثر الشعراء في ذلك الحين من هجاء ابن رشد وكان يومئذ قد جاوز السبعين من عمره

---

40) تاريخ الفكر العربي للدكتور عمر فروخ ص 538 ط. بيروت

41) عصر المنصور الموحدي

42) **البيان المغرب** نقلا عن ابن عبد الملك في الذيل والتكملة بتصرف

43) LUCENA تقع في جنوب قرطبة على مقربة من نهر شنيل .

وتبريرا لهذا التصرف وجه المنصور كتابا الى مراكش وغيرها من قواعد المغرب والاندلس يحذر فيه الرعية من سموم هذه الشرذمة ـ حسب تعبير المنشور ـ ويأمرهم بحرق ما يعثرون عليه من كتبها (44)

ويستنتج الملاحظ أن الخليفة قد راعى الاقتصار على عقوبة الفيلسوف بالنفي نظرا لكبر سنه وحالته الصحية ومقامه العلمي الكبير كما أنه اضطر الى استرضاء مستشاريه من الفقهاء والطلبة الذين كانوا يتمتعون بعظيم النفوذ لديه ، درءا للفتنة حينما أمر بحرق كتبه علنا

ويضيف بعض المؤرخين أسبابا أخرى لغضب المنصور ، منها توثيق صلات الفيلسوف بالسيد أبي يحيى أخي المنصور ، ووالي قرطبة وقد كان بين الاخوين موجدة وجفاء ، واذا صح هذا فقد كان من الممكن بالنسبة للخليفة أن يتصرف بعيدا عن التهمة بالزندقة والمروق ويفصل هذه الصلة وله كل القدرة على ذلك

ومنها أنه كان يتجرأ على مخاطبة الخليفة بقوله « تسمع يا أخي » وهذا أيضا ان صح فان الخليفة هو الذي كان يقرب اليه الفيلسوف ويجلسه بجانبه مباشرة رغم ما ورد من كونه لا يعتني بالملبس والتجمل ، وهو الذي كان يعقد المجالس الخاصة للاستماع الى مناقشات ومجادلات ابن رشد التي كان يعشقها وقد صرح غير واحد أن الفيلسوف كان يقضي معظم أوقاته في البلاط مع الخليفة ، وارتفعت الكلفة بينهما الى الحد الذي يمكن فيه المخاطبة بيا اخي

ومنها قوله في شرحه لكتاب الحيوان لأرسطاطاليس « ورأيت الزرافة عند ملك البربر » مشيرا الى المنصور وهذا أيضا قد نفاه الفيلسوف ، وجعله من تحريف الناسخ وان صحته هي ملك البرين المغرب والاندلس

---

44) من انشاء كاتبه ابي عبد الله بن عياش محمد بن عبد الرحمان وهو اندلسي من اهل برشانة من اعمال المرية

ولبث ابن رشد في معتقله زهاء ثلاثة أعوام ، ثم أطلق سراحه هو وزملاؤه بعد تدخل جماعة من أكابر أهل اشبيلية شهدوا بسلامة عقيدته وعاد الفيلسوف الى قرطبة يعيش فيها على شيء من العزلة لعداء جمهور العامــة لــــه (45)

وكان لمحنة ابن رشد دوي عظيم داخل الاندلس وخارجه واختلفت في تفسيرها المشارب وعدها البعض دليلا على التزمت الديني والرجعية في عهــد الموحديــــن

ومن أراد أن يجعل من هذه الازمة وصمة في عهد الخليفة العظيم وأن يعتبرها صورة من الاضطهاد الفكري ، فقد وهم لان المنصور لم يكد يرجع الى مراكش حتى عفا عن المنفيين وأرجعهم الى بلادهم ، واسترد الفيلسوف حظوته ومكانته في البلاط الموحدي وعاد مكرما مبجلا الـــى مراكش ، وأعيد اليه سابق اعتباره وأرجع اليه منصبه في سلك القضاء

ولم يمتع ابن رشد بهذه الحظوة الجديدة ، فقد توفى وشيكا في تاسع صفر 595 هـ = ديسمبر 1198 م وهو في الخامسة والسبعين من عمره ، ودفن أولا في مقبرة باب تغروت ثم نقل منها بعد أشهر قلائل الـــى قرطبة مسقط رأسه ودفن في روضة آبائه بمقبرة ابن عباس ورجـع المنصور الى اشبيلية يوم عيد الفطر 593 هـ غشت 1197 بعد أن مــلأ اسبانيا المسيحية رعبا وحربا وبعد أن طوق العاصمة القشتالية ذاتها طليطلة ولاكن دون أن يستكمل استغلال سلسلة انتصاراته (46)

وأرسل صاحب قشتالة وخلفاؤه يرغبون في المهادنة فصرفهم دون استجابة ولاكن وصول أخبار علي بن اسحاق المسوفي ابن غانية وهجوماته على أطراف المملكة جعلته يفكر في الامر ، بعد رغبتهم فـــي

---

45) تاريــخ الفكــر العربي ص 538 ط. بيــروت

46) تاريخ المغرب للمؤرخ عبد العزيز بنعبد الله ص 124 ج 1

المهادنة للمرة الثانية ويعقد الهدنة مع خصومه لمدة خمس سنوات (47) لمجابهـة الثـورة المخربـــة

وفي أواسط جمادى الاولى 594 هـ أواخر مارس 1198 م عبر البحر قاصدا مدينة فاس فاستراح بها عشرين يوما ثم غادرها الى الحضـــرة المراكشية فدخلها في شعبان 594 هـ

ويظهر أن عبوره الى المغرب كان كافيا لاقناع بني غانية بالكف عن متابعة عيثهم في افريقية لان المنصور ظل ملازما لمراكش بقية حياته

وبعد الجهود المضنية والاعمال الجبارة التي اضطلع بها الخليفـة مدى أربعة أعوام متتابعة ، شعر بالتعب الشديد ، وأحس بالمرض يدب في جسده واصطبغت تصرفاته بالورع والزهد والعدل والتقوى أضعـاف ما كان يعرف عنه ولعله أحس بدنو أجله ، فاعتنى بأخذ البيعة لولده أبي عبد الله الملقب بالناصر وقد كان اختاره سنة 587 هـ حينما أصيب بمرض شديد وأمر بتختين اليتامى وكسوتهم وتخفيف المهم بمنح كـل واحد منهم دينار ذهب ودرهم فضة وشيئا من الفاكهة ، وكان يقام هـذا الموســم سنـويــا (48)

وكان اليهود يتمتعون في عهده بالحريات العامة في الدين والملبس ويتشبهون بالمسلمين في سائر المظاهر وأساليب الحياة ويختلطون بهم في سائر الاماكن ويغشون المساجد وكانوا يعيشون في جو من التسامح والاعتـــدال .

غير أن الشكوك بدأت تساور المنصور الذي لم تكن تؤثر فيه الحيل فيما يقومون به من أعمال ، وما يظهرونه من تعلق بالاسلام ، فأصدر قراره بتمييز اليهود بلباس خاص في أوائل سنة 595 هـ وكان هذا الزي عبارة عن قميص أزرق وبرنس أزرق ذي أكمام طويلة واسعة ، وقلنسوة زرقاء مكان

---

47) يقول صاحب **المعجب** ان الهدنة عقدت لمدة عشر سنيـن .

48) **المعجـــب** ص 162

العمامة ، واستبدل هذا الزي بثياب صفر وعمائم صفر في خلافة الناصر واستمروا على ذلك طيلة عهـد الموحديـــن (49)

ولما اشتدت وطاة المرض على الخليفة استدعى شيوخ الموحديـن والعلماء ، وأهل الحل والعقد وأعيان القوم ، وأوصاهم ـ والدموع تغالبه ـ بتقوى الله وبالايتام واليتيمة وساله الشيخ أبو محمد عبد الواحد بـن أبي حفص الهنتاتي ، من الايتام واليتيمة ؟ فأجاب اليتيمة جزيـــرة الاندلس والايتام سكانها المسلمون (50) وأوصى بالاغزاز ومنحهـــم البركة ، وبالاحسان الى العرب وبقبائل الموحدين كما أوصاهم باجراء الشرائع على سننها ، واجتناب الباطل ثم دعا للجميع وانصرم الجلس، وكان هذا آخر العهـد به (51)

وذكر صاحب القرطاس أنه لما حضرت المنصور الوفاة قال ما ندمت على شيء فعلته في خلافتي الا على ثلاث وددت لم أفعلها ، الاولى ادخال العرب من افريقيا الى المغرب مع أني أعلم أنهم أهل فساد ، والثانية بناء رباط الفتح انفقت فيه من بيت المال وهو بعد لا يعمر والثالثة اطلاق أسارى الارك ، ولابد لهم أن يطلبوا بثارهم

وعقب العلامة أبو العباس الناصري في الاستقصاء على رواية ابن أبي زرع بقوله قلت ما ذكره رحمه الله في رباط الفتح من أنه لا يعمر قد تخلف ظنه فيه فهو اليوم من أعمر أمصار المغرب وأحضرها حرسه الله وحرس سائـر امصار المسلميـن مـن آفـات النقصان ، وطـــوارق الحدثـــــان (52)

ويجدر أن نعقب كذلك على رواية القرطاس بما دبجه يراع صاحب

---

(49) المعجــــب ص 172

(50) الحلـل الموشيـــــة

(51) البيـان المغـرب ـ القسـم 3 ص 206 ـ و ـ 209 .

(52) الاستقصا ج 2 ص 183

الجيش العرمرم عند ذكر الدار التي شيدها سيدي محمد بن عبد الرحمن بأكدال بثغر الرباط قال

« ولو حيي يعقوب المنصور الذي أسسه ، ورأى ما صونه مولانـــا المظفر وحرسه لقال الآن صار الرباط رباطا وازدان دون غيره من ثغور الاسلام اغتباطا ، لما أصبح للاسد الهصور عرينا ، واضحى لمدينة السلام قرينا ، وأظهرت فيه الدولة المحمدية آثارها ، ونثرت عليه الابهة الهمامية نثارهـــا فصارت تحاكي المباني المحمدية المراكشية والاسماعيليـــة المكناسية ، الا أنها تفوقها بأنها في نحور العدو عناد ، ولسرادق العـــز الاثيل أوتاد وعندها للبر والبحر صدور واعجاز ومنها الى الشـــرق او الغرب مجاز »

وختم صاحب عصر المنصور كتابه بهذه الفقرات ذات النفس العالي والبيان المؤثر قال رحمـك الله يا منصور ، وأسكنك فسيح جناتـه وجزاك عن الاسلام والمسلمين أحسن الجـزاء

لقد كنت الرجل الموفق في كل أعمالك ، فلترتع في بحبوحة الفردوس مطمئنا على مصير منشئاتك فلو ان روحك الطاهرة حلقت اليوم فـوق سماء مدينتك ، مدينة الفتح التي أردتها عظيمة لرفرفت فرحا وحبورا

فمدينتك اليوم عاصمة أمة مستيقظة تسعى للحياة بعزم وجـد يقودها ملك عبقري يطوى لها المراحل طيا ، ويقيها بحكمته ورشده كـــل العثرات وهذا شاب من أبناء مدينتك نشأ معجبا بك فتجرأ بالرغم عـن عجـزه على تخصيص أول مجهوداته في ميـدان التاليف لاحياء ذكـراك ، وانهاض الهمم للقيام بالواجب نحوك ، فلتطمئن أيها البطل العظيم علـى رباطك ، فليست بالصعيد المجـــذب » هـ

ومهما قيل عن ندم المنصور على ادخال العرب من افريقيا الـــــى

المغرب (53) فاننا نلاحظ أنه عند اشتداد مرضه ، وشعوره بدنو اجله يجعل من بين وصاياه الاحسان الى العرب وشغلهم بالحركات كما ذكره صاحب البيـــان المعـــــرب (54)

واما اطلاق سراح أساري الارك فان بعض المؤرخين جعل من هـــذا العمل احدى حسنات المنصور التي سجلهـا التاريخ باعجاب وتقديـر وأستدل منها على أن فكرة الاخوة البشرية ليست حديثة العهد (55) وصرح يوسف أشباخ (56) بأن المنصور لم يلطخ صفحة نصره بالالتجاء الــى قسوة لا مبرر لها في معاملة الاسرى والعزل ، وان المنصور أعرض عـــن سنن الحرب المتبعة يومئذ المتمثلة في سفك الدماء واستعباد البشر

ويؤكد صاحب القرطاس أن هـذا التصرف قد عز على الموحديــن وكافة المسلمين واعتبروه سقطة من سقطات الملوك (57)

وقد أثبت التاريخ ان المنصور كان بطلا مجاهدا عادلا حازما ، مقيما للحـدود ، يلزم الرعيــة باقامة الصلوات ، ويعاقـب على شرب الخمـر ، ويناهض الولاة الجائرين ، كما أثبت أنه كان متقنا للحديث والفقه واللغة، ومشاركا في كثير من العلوم ، ولم يكن من الغلاة في اعتقاد امامة المهدي، ولا من المومنيــن بعصمتـــــــه (58)

---

53) كان الخليفة عبد المومن اول من عمل على جلب العرب من افريقيا واقتفى اثره ولده يوسف ثم يعقوب المنصور وهناك فرق بين تصرف عبد المومن وولده يوسف وتصرف يعقوب المنصور فالاولان كان جلبهما للعرب تقربا وتألفا بينما كان عمل الثالث سنة 584 بدافع ارادة تغريبهم وعقابهم وذلك لما ضربوه من الخلف وناصروا عليا ابن غانيه انتهى من تعليق الدكتور عبد الهادي التازي على تاريخ المن بالامامة ص 172 نقلا عن جماعة من المؤرخين

54) القســم الثالث ص 206 ـ 209

55) عصر المنصور الموحدي ـ محمد الرشيد ملين

56) تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ليوسف اشباخ ج الثاني صحيفة 88

57) روض القرطاس ص 151

58) **المعجـــب** ص 157

وكانت له أفكار ومواقف خاصة من الناحية الدينية في ميدان المذهب والعقيدة فهو الذي طارد علم الفروع ودراسة تفاصيل العبادات والمعاملات، وأحرق كتب المذهب المالكي ، ومنع الناس من الاشتغال بعلم الـــــرأي والقياس واستبدل المذهب المالكي بالمذهب الظاهري وكان من أشد دعـــــاتـــــه

وكان واليا لاشبيلية في صباه ، ثم وزيرا لابيه (59) ، ثم رئيـــس دولة من الطراز الاول وجعلت مؤهلاته واختياراته لرجال الدولة في طليعة العباقرة ، وجعلت دولته أقوى دولة عرفتها افريقية والاندلس ، وجعلـــت عصره فترة ذهبية في تاريخ الاســلام



منشـــــآتــــــه

ومن منشآته العمرانية العظيمة ضاحية الصالحة الملوكية بمراكـش « قصبة مراكش » ، والجامع الاعظم المنسوب اليه ، وتشييد مناره الماثل به الى اليوم ومن آثارها الباقية بابها المعروف بباب أكناو الشهير ومنار جامع الكتبيين البالغ الروعة والفخامة ، ومنار المسجد الاعظـــــم باشبيلية الذي عمت شهرته الآفاق وسيأتي الكلام على سبب تسميتــه بالخيرالدة وبناء المسجد الاعظم بطالعة سلا وبناء مدينة رباط الفتـــح ، وجامع حسان ومناره المضروب به المثل في الضخامة وحسن الصنعة (60).

وأهم منشآت المنصور الاحسانية بمراكش هو المستشفى الكبير ، الذي وصف بأنه لم يكن في الدنيا مثله كان أهم صرح حظيت بـــــه مراكش ، أقامه في مساحة شاسعة وغرست حوله الحدائق ، وأجريت المياه الى سائر أجنحته ، وزود بنفيس الاثاث ، ومختلف الادوية ، ومهـــــرة الصيادلة . وكان المريض الفقير اذا تم شفاؤه ، يمنح عند خروجه قدرا من المال يتعيش منه مدة النقاهـــة

---

59) الحلـل الموشة ص 120 روض القرطاس ص 140 ط. حجرية .

60) الاستقصاء ج 2 ص 195

وكان المنصور يركب اليه في كل جمعة بعد الصلاة لعيادة المرضى والسؤال عن أحوالهم ، وكان هذا العمل من أعظم مآثر المنصور (61)

ومن منشآته مقصورة الجامع بمراكش التي وصفها شاعره أبو بكر يحيى بن مجبر (62)

طورا تكون بمن حوته محيطة
فكانها سور من الاسوار
وتكون حينا عنهم مخبوءة
فكانها سر من الاسرار
وكانها علمت مقادير الورى
فتصرفت لهم على مقدار
فاذا احست بالامام يزورها
في قومه قامت الى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعد
كتكون الهالات للاقمار



---

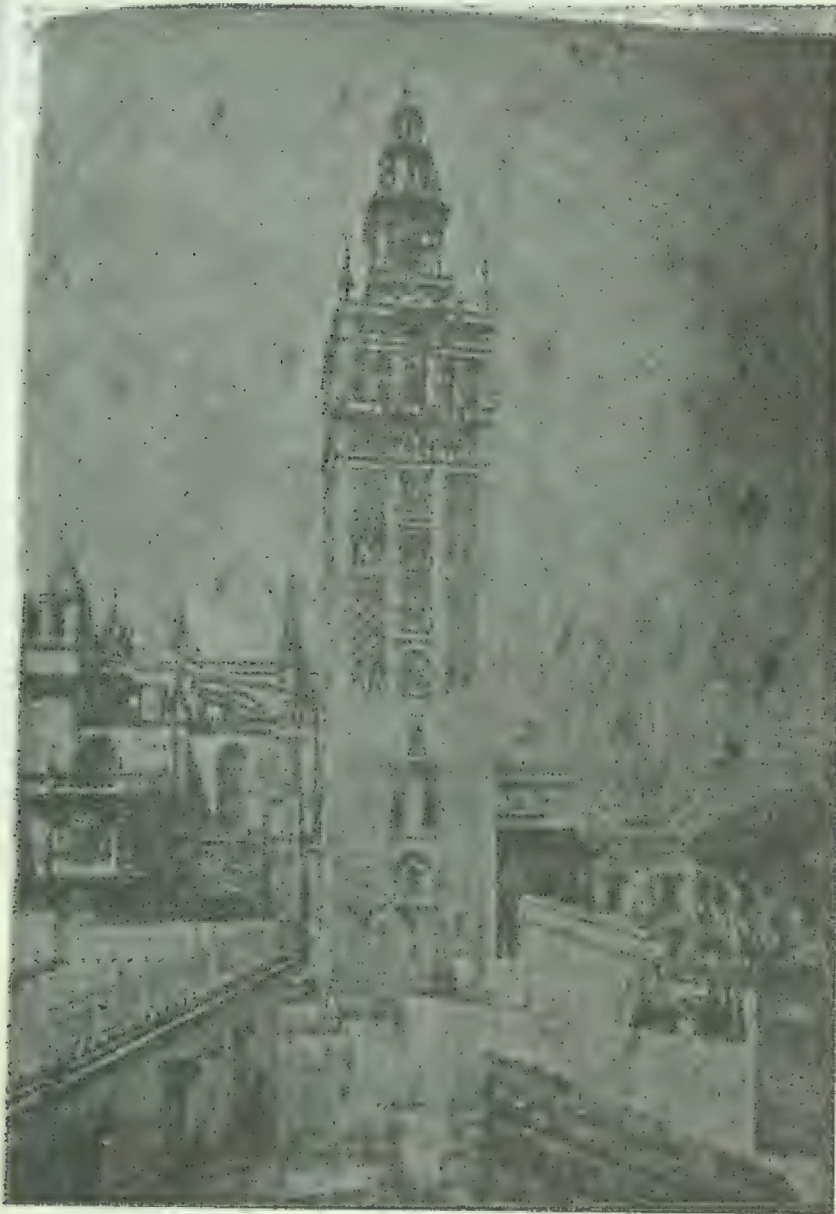
61) **المعجب** ص 162

62) اندلسي من مرسية ذكر ابن خلكان ان مدائحه للمنصور جمعت في ديوان ومقصورة قصبة مراكش هذه كانت تدار بحيل هندسية تظهر اذا استقر المنصور في المصلى وتختفي اذا انفصل

وذكر صاحب **نفح الطيب** ، ج 2 ص 804 ، انه زار مراكش عام 1010 هـ فلاحظ ان حركات المقصورة بطلت وبقيت آثارها

منـار الخيرالدة وسبب تسميته بذلـك

أثناء اقامة المنصور باشبيلية بعد غزوة الارك اهتم باكمال منـار الجامع الاعظم . وكان أبوه قد شرع في بنائه قبل غزوته لشنترين سنة 580 هـ (63) .



وهي من وضع شيخ العرفاء أحمد بن باسة ، والعرفاء البنائين مـن

---

63) تاريخ المن بالامامة . تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي ص : 481 .

أهل اشبيلية وسائر عرفاء أهل الاندلس وأهل مراكش وفاس وأهل العدوة (64)

ويصف البتنوني صاحب رحلة الاندلس منار اشبيلية بما نصه

« وفي زاوية الصحن الشرقية مما يتصل بالكنيسة (65) تلك المنارة العظيمة التي يسمونها الآن *LA TOUR DE GIRALDA* **وترجمتها منارة لعبه الهواء وهذه المنارة بنيت على شكل منارة مسجد الكتبية بمراكش وأمر ببنائها السلطان المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المومن من الموحدين في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي وكان في اعلاها أربع تفافيح كبيرة من النحاس غلفت بطبقة من الذهب ، بلغت نفقاتها وحدها أكثر من مائة ألف دينار ، فأزال القوم ـ يعني الاسبان ـ هذه التفافيح بعد استيلائهم على المدينة ، وبنوا مكانها على الدائرة التي كان يدور عليها المؤذن أبراجا للنواقيس ، وضعوا فوقها تمثالا ارتفاعه أربعة أمتار وزنته 1288 كيلو جرام بحال يتحرك فيها مع الرياح حيث سارت ، ومنها سبب تسميتها بلفظ خيرالدا « لعبة الهواء (66)**

وجاء في دراسة الدكتور عبد العزيز سالم المصري تحت عنوان العمارة الاسلامية في الاندلس وتطورها عن منار الخيالدا ما نصه

وظلت صومعة جامع اشبيلية بجمالها وسموقها ودقة زخارفها وتناسق بنيانها تثير اعجاب المسلمين والمسيحيين على السواء الى أن سقطت اشبيليا في يد فرناندو الثالث ملك قشتالة فتحول المسجد الجامع الى

64) نفس المصدر 474 ويستفاد من استنفار خبراء مدينتي مراكش وفاس أن الفن الاندلسي كان لا يستغنى عن الفنانين من أهل العدوة انظر التعليق من نفس الصحيفة

65) بنيت هذه الكنيسة على انقاض للجامع الاعظم

66) **رحلة الاندلس** لمحمد لبيب البتنوني ص 61 ـ مطبعة الكشكول بالقاهرة .

كنيسة سانتا ماريا ، وتحولت المئذنة الى برج للنواقيس . ومع ذلك فقد ظلت المئذنة في نفس حالتها التي تركها عليها المسلمون دون أن تصاب بأي تغيير في نظام بناءها سوى انها لم تعد تقوم بوظيفتها كمئذنة وتحولت الى برج للنواقس ، ثم فقدت الى الابد تفافيحها الاربع على اثر زلزال حدث سنة 1355 م . وفي سنة 1494 تهاوى القسم الاعلى من الصومعة على اثر صاعقة كما سقط جانب كبير منه على اثر زلزال سنة 1504 م وعندئذ قام المهندس هرنان رويث بتنفيذ مشروعه ببناء برج علوي سنة 1558 فتم بعد عشر سنوات ، ونصب في أعلاه تمثال من البرنز يرمز للمسيحية صنعه برتولومي موريل سنة 1567 بحيث يدور مع الرياح يبلغ ارتفاعه اربعة أمتار . ولذلك أطلق عليه اسم خرالديو *GIRALDILLO* أو دوراة الرياح ومنها جاءت تسمية المئذنة بالخيرالدا منها 69،65 مترا ارتفاع الجزء الاسلامي منه ويكفي لاظهار روعة هذا الجزء الاسلامي أن يلمس الزائر للجيرالدا بنفسه عمارته الصاعدة في ارتفاع ، وزخارفه المحفورة في الآجر كالمخرمات والموزعة في تعادل واتزان مع رقة وبساطة تنطقان بهذا التفضيل الخ (66) مكرر

وينقل الامير شكيب أرسلان (67) عن دليل بديكر أن منار الجامع الاعظم بني بين سنة 1184 للمسيح وسنة 1196 وأن ما توجوها به في العهد المسيحي قد أفسد المنظر البديع الذي كان لها ، فان قسيس الكنيسة العظمى قد أزال القمة المخرمة التي كانت تنتهي بها المنارة ، وجعل مكانها أبنية مربعة تنتهي بقبة عليها كتابة وصورة امراة تمثل « الايمان » وكان هذا البناء الذي شوهوا به هذه المنارة سنة 1568 م وعلو الخيرالدا عن الارض 93 ميترا هـ.

---

66 م) مجلة عالم الفكر ، ابريل 1977 ، وزارة الاعلام الكويت ، صحيفة 126 .

67) الحلل السندسية للامير ارسلان ص 248 ج 1

وذكر الامير شكيب أنه لم يعلم من أين جاء اسمها هذا « الخيرالدا » الا ان كان محرفا عن الخالدة ولا زالت أعجوبة من الاعاجيب ، ومن أعظم الآثار الاندلسية ، كما أنها لا زالت تحتفظ بروعتها الاسلامية بالرغم من تحولها الى برج للنواقيس ولا تزال ماثلة تشهد بعلو همة المنصور ،



حاشية المنصور

وزراء المنصور

ووزر للمنصور أخوه السيد أبو عبد الله

ثم أبو حفص عمر بن أبي زيد الهنتاتي الى أن مات

ثم أبو يحيى أبو بكر بن أبي عبد الله بن أبي حفص عمر الكبير استشهد في موقعة الارك وهو يقود الجيوش

ثم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن الشيخ أبي حفص ـ ترك الوزارة مختارا وتزهد

ثم أبو زيد عبد الرحمان بن موسى بن يوجان الهنتاتي الى أن توفي المنصور

ومن وزرائه الرئيس الوزير أبو بكر بن زهر (68)



كتابه

ومن كتابه أبو الفضل جعفر ابن محشرة من أهل بجاية ، وكان مجيدا بارعا جيد الاسلوب وبعد وفاته كتب للمنصور أبو عبد الله محمد ابن عبد الرحمان بن عياش ، أندلسي من أهل المرية وهو كاتب الرسالة في اتهام ابن رشد وزملائه بالزيغ وكان ذا بلاغة وبيان وحصافة في الرأي .

---

68) جاء في الاستقصاء ص 201 ج 2 ط. البيضاء انه وزر للمنصور ولابيه من قبله .

أطبــــــاؤه

ومن أطبائه الوزير الشهير الطبيب أبو بكر بن طفيل من اهل وادي آش.
والفيلسوف الطبيب البارع ابن رشــد الحفيــد

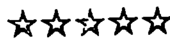


قـــضـــــاتــــه

وتولى القضاء في عهده أبو جعفر أحمد بن مضاء من أهل قرطبة الــى الى ان توفــى

ثم ابو عبد الله محمد بن مروان من أهل وهران الى أن عزل .

ثم أبو القاسم احمد بن محمد من ولد بقي بن مخلد ، فقيه الاندلـس الاشهر طيلة عهد المنصور



قــــواد الاســطـــول

ابو محمد ابن اسحاق بن جامع . وابو محمد بن عطوش الكومي ، وابو العباس احمــد الصقلــــي



قـــواد الجـيــوش

ابو يحيى ابو بكر بن ابي عبد الله بن ابي حفص . قائد الجيوش في معركـــه الأرك (69)

ابن عمه السيد ابو زيد عبد الرحمان بن ابي حفص قائد الحملـــه لاستنفاد بجاية ومطاردة بني غانية

السيد ابو الحسن بن ابي حفص والي تلمسان

السيد ابو الربيع والي بجايــــه

---

(69) هو حفيد الشيخ ابي حفص عمر بن يحيى للهنتاتي من ابرز خاصة المهدي بن تومرت وهو بطل البسطاط سنة 568 وجد للملوك الحنصيين أصحاب تونس توفي برباط الفتح سنة 571 هـ وبها دفن ـ شالــة ـ

عثمان بن عبد العزيز الكومي قائد قصبة رباط الفتح (70)

ابن صناديد قائد جنود الاندلس في معركة الارك

☆☆☆☆☆

ومن الفقهاء الذين كانوا يجالسونه

الفقيه الحافظ ابو بكر بن الجد

والفقيه القاضي ابو عبد الله بن الصقر

☆☆☆☆☆

ومن شعراء دولته

ابو العباس احمد بن عبد السلام الجراوي الذي وضع له كتاب صفوة الادب وديوان العرب » في مختار الشعر ، فانتشر بين المغاربة وكان لديهم ككتاب الحماسة لابي تمام عند المشارقة

وأبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبر المرسي الاندلسي

وعلي بن حزمون المرسي الاندلسي ، وغيرهم من شعراء العدوتين

وترك المنصور من الابناء ستة عشر

محمد الخليفة من بعد ، وابراهيم ، وعبد الله الخليفة من بعد أخيه ، الملقب بالعادل ، وعبد العزيز ، وأبو بكر ، وزكرياء ، وادريس عرف بابي العلاء ادريس المامون الخليفة فيما بعد وعيسى ، وموسى ، وصالح وعثمان ،، ويونس ، وسعد ، ومساعد ، والحسن ، والحسين

وكان له من الاخوان سبعة عشر

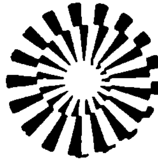
شقيقه اسحاق ، ويحيى ، وابراهيم ، وعبد العزيز ، وادريس ، وابو بكر ، وعبد الله ، وأحمد ، ويحيى الصغير ، ومحمد ، وعمر ، وعبد الواحد، وعبد الحق ، وطلحة ، وعبد الرحمان ، وموسى ، وعثمان .

---

70) هذا القائد هو الذي نفذ حكم الاعدام في عمه السيد أبي الربيع والي اقليم تادلا واثنين من اخوته لشقهما عصا الطاعة وخرقهما لاجماع الامة .

وفـــاة المنصـــور

وفي الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول سنة خمس وتسعيـــن وخمسمائة ـ ينـاير 1199 أسلم المنصور روحه الى بارئها بقصره بالصالحة من مراكش ودفن بمجلسه بالقصر ، ثم نقل رفاته الى تينمل بجـــوار آبائه رحم الله الجميـع (71)



---

71) تناقل المؤرخون ما راج من الاساطير حول عزوـه عن الملك وسياحته بالشرق الى أن مات خاملا كما تناقلوا تصريحاته وهو على فراش الموت حول نقل العرب الـى المغرب وتسريح أساري الارك وبناء الرباط وهو زعم لم يتأكد ووصـــف الغرناطي شارح المقصورة تلك الاساطير بانها كلها تخرص واباطيل هـ الاستقصاء ص 204 ج 2 تعليق على كلام المؤلف

وتينمل هو الجبل الذي كان مهد للدولة الموحدية وبه بنى الامام المهدي داره ومسجـــده .

الفصل الثاني



رباط الفتح عبر القرون

رباط الفتح عبر القرون

اذا كانت المدينة هي الخلية الاولى في بناء المجتمع ، فانه لا يخفى أن البواعث الرئيسية لنشأة المدن ما هي الا نتيجة لعوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية وجغرافية وهي بواعث تتكامل فيما بينها لابراز المدينة الى عالم الوجود وكثيرا ما اقترن تأسيس المدن بقيام الدول ، أو ببلوغها سن الرشد ، ولا غنى لها حينئذ عن اتخاذ مركز للحكم والنفوذ لاعطاء الدولة الناشئة أو ما في حكمها ما يجدر بها من العزة والمهابة ، وبمرور الزمن وتعاقب الايام تصير المدينة رمزا للدولة ، ومقرا للزعامة السياسية ، وقاعدة للاجهزة الادارية مدنية وعسكرية ، ومعقلا للمعاهد العلمية والمنشآت العمرانية

وهذا ما ادخرته الاقدار لرباط الفتح فعندما شملت عناية الله هذا الوطن الحبيب ، اسس المولى ادريس مدينة فاس حاضرة المغرب الاولى ، وتلاه بطل المرابطين يوسف بن تاشفين بتأسيس مدينة مراكش الحمراء وكان الموحدون بدورهم يبحثون عن المكان الصالح لتأسيس مدينة يتخذونها قاعدة ومنطلقا لجيوشهم الى الاندلس شمالا والى افريقية شرقا ، وقد اختاروا بقعة الرباط لكونها واسطة العقد ولاهمية موقعها الجغرافي بين مراكش وفاس والاندلس ، ولسابقتها في جهاد البرغواطيين المضللين دفاعا عن الحنيفية السمحة فأسسوا مدينة رباط الفتح .

تقع الرباط على شاطيء المحيط الاطلسي ، وعلى الضفة الجنوبية لنهر أبي رقراق (72) شمال الخط العرضي بدرجة 37.81 . وغرب الخط الطولي بـ 10.19 درجة . وهي قائمة في منحنى ينحدر بنسبة 16 مترا . ويرتفع جهـة الجنوب بعلو 100 متـرا

وكانت هذه الناحية آهلة منذ فجر التاريخ القديم ، وعرفت مـــرور الفينيقيين والقرطاجنيين والرومانيين وتتوافر فيها مخلفات عصر مـا قبل التاريخ ، كالمغارة المعروفة بمغارة دار السلطان والواقعة جنوبي غرب المدينة وقد عثر فيها على مجموعـة أدوات توجد معروضة في متحـــف العاديات بالرباط يرجع تاريخها الى مختلف الادوار الجيولوجية . وكذلك في هضبة شالة ، وحي المطار ، وأجمة أكدال ، وخاصة في منجم القبيبات وقد اكتشف الباحث الفرنسي ـ مارسي ـ في الحث التلي للشاطـــيء الرباطي سنة 1934 ما يعرف بانسان الرباط ، الا أنه لم يبق منه الا الفك السفلي وشظية من الحنك أما بقية عظامه فقد تلاشت وضاعت ، وعثـر الباحث ـ روش ـ سنة 1956 على فك سفلي قرب قرية تمارة يظهر انـه يقارب النـــوع « النياندير تالي » (73)

ووقع العثور حديثا سنة 1977 بشاطيء الهرهورة قريبا من الرباط على مغارة ومقابر ومساكن يرجع عهدها الى عصور ما قبل التاريخ حوالـــي عشرة آلاف سنة وهذه الاكتشافات مشمولة في الوقت الحاضر برعايـــة وزارة الشؤون الثقافية حيث صدر الامر بمتابعة التنقيب وحماية الآثـــار المكتشفــــة (74)

---

72) ينحدر من الاطلس المتوسط ويصب في المحيط بين للرباط وسلا وطوله 250 كيلوميترا ويقال ان اصل للتسمية من رقرقة للماء وصفائه وبهذا الاسم يعرف عند المؤرخ للناصري والحسن الوزان ويسميه الادريسي بوادي اسمير وعند للمراكشي اسم وادي للرمان وعند ابن حوقل اسـم وادي سـلا

73) مستفاد من بحث عن اصل البشرية للاستاذ اميل انوشي بكلية العلوم بجامعة محمد الخامس نشر بدعوة الحق ص 87 عدد دجنبر 1965

74) جريـــدة للعلـم عدد : 9759 ـ 16 مـارس 1977

وتشهد هذه الكشوف الاثرية على ان مكان الرباط وناحيته كـــان مسكونا منذ العصور الموغلة في القـــدم

ويتفق المؤرخون على ابتداء تاسيس المدينة في عهد الخليفة يوســف بن عبــد المومن ابن علــي الموحدي ، ويجمعــون على اكتمال تخطيطهــا وتشييدها في عهد ولده الخليفة يعقوب المنصور عام 593 ﻫ الموافق لسنة 1197 ميلاديـــة

ولا يفهم من هذا أن الرباط لم يكن موجودا مطلقا قبل تشييده في عهد الموحدين ، لانه من المرجح تاريخيا أن عمران مدينة شالة ـ سلاكولونيا ـ كان يمتد منذ العصور الرومانية الى قصبة الموحدين (75)

ومنذ الف سنة والتاريخ يشير الى وجود رباط حصين فوق المرتفعات الصخرية الممتدة في البحر أمام سلا يسكنها رهط من صنهاجة ، ويجتمع فيه الانقياء قصد التعبد والجهــاد (76)

وفي أواخر القرن الثاني عشر الميلادي كان الحصن الموجود في هــذا المكان يعرف بقصر بني تارجــا ، او قصبة تاشفين الذي اقام اول ربــاط فــي هذا الموقـــع (77)

وعندما فتح عبد المومن مدينة سلا سنة 541 ﻫ وجد الحصن قائـــم العيان فنزل فيه وجاء في الحلل الموشية انه لما وصل الى سلا تغلب عليها وفتحها وطاعت له قصبتها التي كان بناها الامير تاشفين فـــي الربـــــاط (78)

---

75) جاء في جغرافية تيسو ص 233 ان ما وجد من قديم الآثار بموضع للرباط يدل على ان بناءات شالة كانت تمتد الى قصبة الاداية وفــم للوادي

76) تويرخ للرباط لجــاك كايي ص 10

77) تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين قيل انه اسسه لاغراض جهادية وقيـــل لمقاومة للمهدي بن تومرت

78) ص 102 ط. تونـس

وكان للرباطات دائما دورها الحضاري الفعال في حماية الاوطــان والمقدسات ، وتنشئة الاجيال المجاهدة واعدادها لحماية الذمار وتقويــه العزائم . كما كانت الرباطات في حقيقتها مؤسسات دينية تعليمية عسكرية اقتصادية وهي الحصون التي تعد للدفاع والمحافظة على سلامة البلاد من المغيرين الاجانب ، ولا سيما عند الشواطيء البحرية التي كانت هدفا للغزاة ، فيها تدرب الجيوش ، ويدرس القرآن والعلوم ، وفي مساجدهــا تؤدى الصلوات ومن ورائها البساتين والحقول التي يعمل فيها المتطوعة لتوفير المؤن للجيش والغذاء الذي يحتاج اليه الرباط ولم يكن الرجــال الذين يلتحقون بهذه الحصون من الجنود المرتزقة ولم يكونوا يحترفون الجندية ، وانما هم من المتطوعة الذين يندفعون للقيام بمهمة الدفاع عــن الدين والوطن بتأثير من ايمانهم ، يقومون بواجبهم ابتغاء مرضاة الله وتزلفـا اليــــه (79)

وكان رباط الخليفة عبد المومن بن علي هو النواة الاولى لمدينة رباط الفتح وكان أوفق محل لتدبير الحركة العسكرية والسياسية لقربها مــن الثغور البحرية التي يمر منها الغزاة الى الاندلس ولتوسطها بين الغرب والحوز ولهذه الغاية اسس عبد المومن قصبة تحتوي على قصور ومسجد جامع ، ومـد اليها أنابيب الماء من عين غبولة (80) لامداد المحلة الموحدية ، وجرى الماء ، وأذن الخليفة للناس في التعمير والسكنى

---

79) الرباط في الاصل اسم من رابط مرابطة اذا لازم الثغر والموضع الذي يخشى منه هجوم العدو ومنه المرابط

80) سنة 545 هـ على بعد نحو 20 كيلوميترا من الرباط

ولما مهدها وعمرها أعطاها اسم المهدية تيمنا باسم المهدي بـــن نومرت وقد تنوسي بعد ذلك هذا الاسم التاريخي لفائدة رباط الفتح ، حيث عرفت كمدينة مستقلة عند نهاية القرن السادس الهجري

وقبل هذه التسمية الرسمية كان لرباط مهدية مكانة هامة مرموقة في تاريخ دولة الموحدين ، حيث كانت تجتمع الجيوش الجهادية المساعـدة لمسلمي الاندلس ومن ثم أخذت ناحية أبي رقراق صبغة القداسة

✡✡✡✡✡

« اهميـــة المهديـــة »

ولكي نعرف أهمية المهدية والمقام الذي كانت تحتله عند الموحدين ، وكيف كانوا يستعدون لزيارتها ، أرى من المفيد أن أذكر في هذا المجال ما يرويه لنا المؤرخ الموحدي عبد الملك ابن صاحب الصلاة في تاريخه المن بالامامة (81) متحدثا عن حركة الخليفة أبي يعقوب الى جزيرة الاندلس الى أن وصل للمهدية . قـال

« حتى قرب من المهدية المجاورة لمدينة سـلا فنزل في موضـــع فسيح من الارض مع من تقدم ذكره من الوزراء والاشياخ من الموحدين والطلبة الكبراء وأمر باحضار أربع رايات صغار في أربعة رماح صغار وفي أعلى كل رمح تفاحة من ذهب تتلألأ ضياء وشعاعا والرايات ملونات بالخلدي الاحمر والاصفر والابيض وجعل تلك الرايات الاربع في أركان تابوت المصحف المكرم ، مصحف عثمان رضي الله عنه (82) ثم استوى على صهوة فرسه ومشى على الهيئة المتقدمة والعساكر وراءه من الموحدين

---

81) نشـر وتحقيق الدكتور عبد الهادي التازي ص 444 ط. بيروت

82) كان هذا المصحف الكريم بمسجد قرطبة ونقله الخليفة عبد المومن الى مراكش في سنة 552 واحتفل بدخوله الى المغرب أيما احتفال وما زال هذا المصحف بخزائن ملوك المغرب في مراكز جلال واعظام وكانوا يستصحبونه في غزواتهم حتى ذهب ابو الحسن المريني الى تونس وبينما كان عائدا في سنة 750 هـ عن طريق البحر غرقت مراكبه ومن جملة ما غرق هذا المصحف الشريف وهذا آخر العهد به .

والعرب ، قد ملؤوا بسيط الارض ، واتسعوا فيها بالطول والعرض فلما قرب من المدينة امر بتقديم الطبول والرايات الكبار امامه مع المصحف المذكور مع الساقة على خلاف العادة في المشي ، تنويها وتعظيما للتبريز والترتيب ، وهو رضي الله عنه متقدم ، والاشياخ من الموحدين والوزراء والكتاب والطلبة وراءه ، حتى وصل باب مدينة المهدية فرد وجهه الـــى النـاس واستقبلهم ، وهو راكب على فرسه ، ودعا لهم ، وأمرهم بالنزول في تلك الارض العريضة ، ودخل الى داره بالمهدية المذكورة وكان هـــــذا التبريز للنظارة من احدى العجائب ، وأفخـم الظهور والوفور للعساكـــر والكتائب . وكان دخوله المهدية المذكورة يوم الاثنين الموفي عشرين مـن رجب الفرد من سنة ست وستين المؤرخـــة »

☆☆☆☆☆

« صفحة جديدة من تاريخ الرباط »

ويستطرد ابن صاحب الصلاة مبينا لنا صفحة جديدة من تاريخ الرباط كانت مجهولة الى الآن من طرف الذين أرخوا لمدينة الرباط فيقول

« وموضع هذه المدينة المسماة الآن بالمهدية وبرباط الفتح كان فــي أيام السيرات فيه برج للسكنى ، وما حواليه أرض محرث براح ومسرح ، متملك للمخزن ولاهل سلا (83) ولابن وجاد من أهل اشبيلية فاشتراه الخلفاء من اربابه وخلص لهم وكان أهل الاثر يقولون في ذلك التاريخ سيكون في هذا الموضع مدينة عظيمة لخليفة فلما وصل أمير المومنين الخليفة رضي الله عنه الى ســلا في عام خمسة وأربعين وخمسمائــــة لاستطلاع احوال جزيرة الاندلس واستدعاء شيوخها وطلبتها من الموحدين وثوارها الاندلسيين على ما تقدم الذكر به في هذا التاريخ امر ببنـاء قصبة حصينة في ذلك الموضع على فم البحر الداخل الى سلا وأقام بمحلاته المؤدية على عين غبولة والفعلة معه والمهندسون فاجروا لها الماء

---

83) كــان ملكــا لبني القاسم المعروفين ببني عشــرة

من عين غبولة المذكورة في سرب تحت الارض حتى الى قصبة المهدية المذكورة ودام اشتغال الامر بذلك شهورا وهو مقيم بعسكره حتى وصل الماء المذكور اليها ، فصنع له سقاية (84) لشرب الناس والخيل وسقي الارض حواليها فصارت فيها البحائر والجنات والمغروسات ، ثم اتصل الامر العزيز بسكناها بالناس وببناء الديار حواليها والاسواق ولم يزل الخلفاء يخصونها بالاهتمام ، واذا خرجوا في الغزوات يلمون بها غاية الالمام ، ويجعلون لها حظا وافرا من التشريف لها بالاختصاص فيها والمقام ، حتى غدت عراقا (85) وتلاحق الناس بها لحاقا واشرقت الآمال فيها اشراقا ، وأمير المومنين بن أمير المومنين هذا هو الذي مصرها ومهدها ، وابتدأ بناء أسوارها من جهة الجوف والغرب » انتهى

ويحدثنا ابن صاحب الصلاة عن الاصلاحات والترميمات بالمهدية وابدال قنطرة أبي رقراق بجسر اعظم وامتن بناء فيقول

« وعند احتلاله بها ألفى الماء الجاري المسرب الذي جلبه ابوه رضي الله عنه في عام خمسة وأربعين المؤرخ فسد جريه ، وأسن ماؤوه ، وتعطل في البطاح والبحائر سقيه فأمر باعادته الى حالته الاولى ، وزاد فيه بناء صهريج عظيم متسع يجتمع فيه الماء ، ثم يجري من ذلك الصهريج الى السقاية المذكورة ، حيث شرب خيل العساكر ومواشيهم ومواشي

---

84) ما تزال ماثلة للى اليوم وهي داخل سور القصبة وهناك سقاية اخرى خارج السور في الساحة للكبيرة القريبة من الباب الاثري ولعلها هي المقصورة بقوله وسقى الارض حواليها ولا زالت ماثلة الى وقتنا وهي من الاماكن المصنفة في جملة آثار الرباط ولا زالت تحتفظ بزخارفها والماء منقطع عنها وتعرف بسقاية الاودية

85) شبهها بالعراق لما كان للعراق من مكانة وحضارة

الناس وشربهم ، وكذلك ألفى الجسر الذي كان نصبه أبوه رضي الله عنه ما بين سلا وبين المهدية المذكورة على البحر لاجازة الناس عليه قد خرقته البحور ، وهدمته الدهور ، فأمر بنصب جسر (86) آخر الى جانبه أعظم منه بناء ، وأساسا واعتلاء ، من الحجر العادي والجيار ، الثابت لامواج البحار ، فصنع في أقرب مدة ، بأعظم آلة وعدة ، ووصله بالقوارب والخشب ، حتى جاء في أمن من الازمان والحقب » انتهى

وهذه النصوص الواضحة تؤكد لنا بما لا يدع مجالا للشك اهتمام الموحدين بحاضرتهم التي تغنى بعظمتها الكتاب والشعراء ، وأصبحت منطقة مكتظة السكان في مساحة تزيد عن 418 هكتارا ، وكانت تمتد طولا على أكثر من خمس كيلوميترات

وان أسوارها الهائلة ، وأبوابها الرائعة ، وضخامة مسجدها الكبير ، ومناره الشاهق ونزويدها بالماء العذب المنبثق عن عين غبولة على بعد عشرين كيلوميترا ، ووجود الجسر الثابت لامواج البحار كل ذلك يؤكد أنها كانت من أشرف وأبهى حواضر افريقية (87)

---

86) علق الدكتور عبد الهادي التازي على هذا بقوله لعل هذا الجسر هو الذي كان يبتديء عند منحدر سيدي مخلوف وقد ادرك القاضي السائح طرفا منه ضاربا في الوادي قبل ان يقوض لتوسعة ساحل النهر نقلا عن الخصن المهصور مخطوط ورقة 16 والتعليق بصفحة 450 من كتاب **المن بالامامة**

87) لاحظ الاستاذ مارسي ان بناء الرباط الفتح بما فيه من الروائع الاثرية يعتبر انتاجا نادرا المثال لا مجال للشك في جدواه نقله الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله **اللسان العربي** ـ المجلد 9 ج 1 ص 247

وبعد عودة الخليفة المنصور من وقعة الارك التي هزم فيها جيوش الفونس الثامن (88) أسس مدينة الرباط عام 593 هـ = 1197 م بعد أن خطط لها تصميما رائعا يقال بأنه مستوحى من تصميم مدينة الاسكندرية واختار أن تمد رقعة المدينة نحو الجنوب الشرقي

ونظرا لاهمية موقعها الجغرافي ربط بينها وبين مدينة سلا بقنطرة معلقة كان أسسها أبوه من قبل وكان يعبرها أحيانا ما يزيد على ألف بعير وآلاف البغال والخيل وآلاف الراجلين وفقا لما تقتضيه أسباب الحركة وضغوط النشاط الحربي والاقتصادي

وبعدما أذعنت مدينة الرباط للمرينيين بعد حروب قاسية ما بين 1249 الى 1253 م انت على الاخضر واليابس (89) بنوا على الضفة اليسارية لابي رقراق وعند أبواب مدينة الرباط قلعة شلا قصد اظهار

---

88) كان المؤرخون العرب يتحدثون عن الاذفونش – الفونس حتى يخيل القارىء انه اذفونش واحد في حين ان الافرنج يقولون الفونس الاول والثاني والثالث وهكذا وعليه فالفونس السادس ملك قشتالة وليون واسوريا هو الذي استولى على طليطلة سنة 1085 م وهو الذي انكسرت جيوشه في واقعة امام يوسف بن تاشفين سنة 1086 ومات بجراحه سنة 1109 والفونش الثامن هو ملك اراجون وهو الذي كان له شان مع ملوك الطوائف وجيوش الموحدين وانهزم امام يعقوب المنصور في موقعة الارك سنة 1195 ومات سنة 1214 بعد سنتين من انتصاره على محمد الناصر في واقعة العقاب
اما الفونس امير البرتغال الذي انتهى امره بانتخابه ملكا فهو الذي اخذ من العرب لشبونة وشنترين واما فرديناند الثالث ملك قشتالة فهو الذي اخذ قرطبة من العرب سنة 1236 واشبيلية 1249 وفرديناند الثاني ملك نافاريا واراجون الذي تزوج بابزابلا ملكة قشتالة هو الذي اخذ غرناطة 1492 واخرج العرب من ارض اسبانيا عن رحلة الاندلس بتصرف واختصار

89) نقل الاستاذ كابي عن ليون الافريقي ان ما بقي سالما من التخريب لا يتعدى عشر المدينة وانه لم يبق بها الا نحو المائة دار تويرغ الرباط ص 52
ويستفاد من هذه النقول ان الركود الذي جثم على المدينة لم يكن ناشئا عن وقف حركات الغزو للاندلس فقط ولاكنه متسبب أيضا من عواقب الحروب وفتن تعاقب الدول .

صبغتها الدينية ، وأعادوا تزويد المدينة بمياه الشرب من عين غبولة التي سبق للخليفة عبد المومن أن اجراه اليها وكان ذلك في أيام السلطان يعقوب المريني سنة 683 بصفة أعـم وبنوا فيها المسجد الاعظم ، والمارستان العزيزي أمامه ، والسقاية بجواره ، والحمام الكبير المعروف بحمام العلـو ، وقفا على المسجد المذكور (90)

وهكذا ظلت مدينتنا على هذه الحالة المتواضعة أيام المرينيين والسعديين بعد أن فقدت كثيرا من سحرها وعظمتها تنعى من بناها الى غاية السنوات الاولى للقرن الحادي عشر لبعدها عن مراكش عاصمة السعديين الذين كانت علاقات ملوكهم مع أوروبا تتم بواسطة مدينة آسفي .

ولما وصل الاندلسيون المبعدون من اسبانيا في مستهل هذا القـرن حولوا جذريا اوضـاع المدينة ونقلوا معهم نماذج رفيعة من الحضارة الاندلسية طبعت الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية بطابع الرقة وامتزج كثير من العادات والمظاهر امتزاجا عميقا ، واستفادت مدينتنا من هذا التلاقح ، وعظم صيتها ، وصار لها شان يذكر

وبعد ركود دام اكثر من ثلاثة قرون عرفت المدينة حركة جديـدة ، وحصلت على بعض الامتيازات الذاتية وعززت المداخيل الهامة للجمارك بصفة خاصة بنيتها وبذلك عاشت الرباط حقبة اصطبغت بالحركة الدائبة المستمدة من تاريخها (91)

---

90) يظهر ان بني مرين لم يهتموا بعمران للرباط مثل ما فعلوا في غيرها ـ فقد كانوا دولة تعمير وبناء ـ رغم للرغبة التي كانت لهم في للتجديد واحياء الرباط من جديد كما قال للمؤرخ ابو جندار والمارستان المذكور هو من اثر ابي عنان المريني على قوله وكذلك للحمام حبسه ابو عنان على ضريح والده ابي للحسن وعلى اطعام للطعام للمساكين بشالة كما جاء ذلك في رخامة التحبيس الموجودة في الجامع المذكور

91) اجمع للمؤرخون المحدثون على أن القرصنة التي مارسها أهل الاندلس لم تكن سوى رد فعل ديني ووطني ضد من اخرجهم من ارضهم وسامهم للخسف والهوان وللواقع ان المورسكييس كانوا ذوى مهارة في الاعمال للبحرية وللزراعة وللصناعة وبفضلهم عرف للمغرب ازدهارا مطردا في للنشاط الاقتصادي خلال للقرن الحادي عشر للهجرة .



وعند بزوغ شمس الدولة العلوية عرفت الرباط السلام ، وانتهى كل ما كان يفصلها عن شقيقتها بالضفة الشمالية ، وأصبحت الحاضرتان مدينتين متشابهتين مع باقي مدن المملكة تنعمان بالطمانينة والازدهار ، وتخضعان لحكم المخزن الشريف .

وأولى السلطان سيدي محمد بن عبد الله عناية خاصة بالرباط ، حيث شيد القصور والمساجد والمباني بالقصبة ، وأجرى المياه وأنشأ الاوراش البحرية بجوار جامع حسان ، وعزز الجند ، وعمل على نشر العلم ، الشيء الذي يقصر عن وصفه الباحثون وكانت الرباط في عهده من بين المدن التي ساهمت في تطوير العلاقات مع الخارج

وقد اتخذت الرباط مكانتها كقاعدة ملكية في أواسط القرن الماضي حيث شيد بها السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان قصره الملكي وصارت تعتبر العاصمة الثالثة للمملكة بعد فاس ومراكش سكانها يعيشون في رغد من العيش ، ويبذلون قصارى جهودهم في جعل المدينة من أهم المراكز النشيطة في ميدان التجارة والصناعة (92) وتأنق الناس في البنيان ، ولاحت عليهم سمات الحضارة الاعجمية (93)

وفي مستهل هذا القرن أصبحت الرباط العاصمة الرسمية للمغرب عند تتويج جلالة السلطان مولاي يوسف ابن السلطان المقدس الحسن الاول

وتزدان الرباط بأبهج الحدائق وأفخم القصور وأجمل العمارات وقد شيدت مكاتب الوزارات في أعلى موقع من المدينة وسط حي جميل وأنجزت في بنائها كل معالم الزخرفة والاتقان ، وبراعة الرسم والتصميم

وعرفت الرباط عدة تحولات في مختلف الميادين منذ الاحراز على الاستقلال ، سواء في ميدان البناء والهندسة المعمارية أو المعالم الدينية وعلى رأسها ضريح جلالة محمد الخامس ، وهو من أعظم الآثار وأروعها

---

92) في أواخر عهد السلطان مولاي عبد الرحمان انتجت مصانع الرباط وسلا في ع.م.احد 840 زريبة صدر ثلثها الى الخارج و 63000 وثلاث وستون الف حائط و 460.800 منديل وآلاف للمياتر من المنسوجات وكان في مصب ابي رقراق 150 معملا للاحذية و 40 دار للدباغة وعشرة مراكز للصباغة وثلاث دور لضرب السكة تقوم بتدويب تسعة قناطر من المادة الاولية يوميا معطيات الحضارة المربية للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ص 63 - جزء 2

93) الاستقصا : ص 124 ج 9 طبع دار الكتاب بالبيضاء .

وأخلدها ، ويقع في مرتفع جنوب جامع حسان الاثري (94) ، وقد جمع من ضروب الزخرفة والفسيفساء وروائع الهندسة المعمارية ما لا يصفه الواصفون ويشتمل على مسجد عظيم آية في الابداع ، ومتحف الآثار محرر المغرب محمد الخامس ومخلفاته ، وقبة فريدة من نوعها في العالم (95) وهو قبلة الزوار من ملوك ورؤساء وعظماء وزعماء العالم وكذلك اعادة تخطيط المشور وتجديد جامع السنة الخالد

والمدينة الجديدة جميلة نظرا لاتساع طرقها وشوارعها ودورها وميادينها وحدائقها العمومية وملاعبها الرياضية وميادين سباق الخيل ومصائد الاسماك

ولا زالت المدينة العتيقة على حالتها القديمة بأزقتها الضيقة ، ودورها وحماماتها وسقاياتها وحوانيتها المبنية على الطراز القديم تحيط بها الاسوار ، وينفذ اليها من أبوابها القديمة التي لا زالت ماثلة للعيان

وكعاصمة ومقر الحكومة والادارات المركزية فانها تتوفر على المباني التي تشكل شتى الانواع الهندسية ذات المكانة المرموقة

وهي أيضا مقر الجامعة المغربية والعاصمة الثقافية الحديثة للمملكة حيث أنشئت عدة وحدات للبحث العلمي والكليات المختصة ، ومعاهد التكوين ، الشيء الذي لا غنى عنه لتطوير التعليم العالي والارتقاء في معارج العلوم والعرفان

---

94) كان المغفور له يحب هذا المكان وفيه ادى صلاة أول جمعة بعد رجوعه من المنفى

95) سجل الدكتور عثمان عثمان اسماعيل المصري في احدى مقالاته وابحاثه بمجلة دعوة الحق ان حركة احياء التراث الحضاري الاثري قد قامت بالمغرب الاقصى على نحو من العزم والوعي والتصميم عندما شيد ضريح المقدس المرحوم محمد الخامس ليكون أثرا فنيا نموذجيا يشرح فلسفة العمارة الاسلامية وفنون الزخرفة العربية وصفحة خالدة تحكي قصة الحضارة المغربية في ارق وأدق عباراتها واحلى واعذب معانيها .

وبأرباضها توجد الشواطئ الاطلسية الجميلة التي شاهدت مؤخرا التعمير الاصطيافي على أحدث طراز (96) وبأحوازها تنتشر الغابات الخضراء ويتمتع هواة صيد الطيور والوحوش - حتى الضارية منها - بأحسن رياضة وتسلية

وتنقسم الرباط حاليا الى سبع مقاطعات دوائر » حضرية ، على رأس كل منها خليفة يمثل العامل في أحياء المدينة ، ويبث في القضايا الجارية ويشتغل بالحالة المدنية وهم جميعا متصلون بالسكان مباشرة في الاحياء الواقعة تحت نفوذهم ، يسهرون على تنفيذ القوانين ، ويفصلون في المشاكل التي يعرضها عليهم السكان وهم مكلفون أيضا بالسهر على سير المصالح الادارية وتنفيذ القرارات البلدية ورعاية الامن في دوائرهم



الموقع الجغرافي والطقس

وكانت عبارة عن ميناء تدخلها السفن ذات الحمولة الخفيفة ، كما كانت السفن الكبيرة ترسو بعيدا عن المصب ، وتفرغ حمولاتها بواسطة القوارب التي كان يعمل بها بحارون مهرة بارعون في معرفة الطبيعة للمصب وتياراته

وتنعم الرباط بجو معتدل نظرا لموقعها على شاطئ المحيط ودرجة الحرارة تنزل في الشتاء أحيانا الى 7 وفي الصيف ترتفع الى 29 والبحر هو العامل الجوهري في تلطيف المناخ حيث يهب تيار هوائي منتظم يقابله نسيم عليل وهذا التوازن جعل من العاصمة موطنا مرموقا للسكن الصالح بالرغم عن الرطوبة النسبية الموجودة في كل مدينة تقع على البحر (97) وأيام الخريف تعادل أيام الربيع جمالا وصفاء واعتدالا وبالاخص في شهري شتنبر وأكتوبر وتقع العاصمة على بعد 93 كيلومترا من الدار البيضاء و 140 كيلومترا من مكناس ، و 173 كيلومتر من وادي زم ، و 40 كيلومترا من القنيطرة

---

96) نشرة عمالة الرباط بتصرف وقد استفدنا منها كثيرا .

97) نشرة المجلس البلدي رقم 1 / 1974 بالرباط

الفصل الثالث



قصبة الوداية

قصبة الودايـــة

كانت في عهدها الاول عبارة عن حصن بناه الرومان لغرض الدفاع عن مدينة شالة العتيقة ، ولحماية مراكبهم التي كانت تمخر عباب وادي أبي رقراق محملة بالبضائع والرجال ، وغاية ما جاء عن مؤرخي الاسلام انها كانت عبارة عن رباط يرابط فيه المسلمون بقصد الجهاد والغزو ضد البرغواطيين



وفـــي عهـــد المرابطيـــن

كانت قصبة صغيرة يسكنها رهط من صنهاجة بناها تاشفين بن علي آخر ملوك المرابطين وذلك عند قيام المهدي بن تومرت الهرغي السوسي على دولة المرابطين ، وصار هو وخليفته عبد المومن الكومي يغـــزوان مراكش بجموع المصامـــدة



وفـــي عهـــد الموحديـــن

وهو العهد الذي اتخذت فيه شكلها الحاضر ، وأدركت من العز والمجد ما لا مزيد عليه في ابانه واتخذها عبد المومن دارا ومعسكرا ، وأذن للناس في عمارتها ، وبنى مسجدها الجامع وأجرى اليها الماء .

قال المؤرخ أبو جندار « وأول ما بناه فيها قصره الفخيم ثـــم ساباطه العظيم جعله ديوانا يجتمع فيه الوزراء الاعلام ، وايوانا يأوى اليه حملة السيوف والاقلام ثم ندب خاصته للبناء حول قصره الفاره ، فتسابقوا لاقامة المنازل وتشييد المنازه وهي التي تسمى بقصـــور السادات في كلام بعض المؤرخين ، وكان منها ما بني في الموضع المعروف باسم القصور في الرباط ، « بقى هذا الاسم عالقا من عهد الدولة الموحدية، حسبما يوجد في الرسوم الاصليـــة »

ولم يزل عبد المومن صارفا وجه العناية نحو بناء القصبة الى أن تمت وصارت في حكم المدينة فسماها المهدية ، كان ينزلها كلما قـــدم الى ســلا وأراد ابرام أمر أو تجهيز جيش » انتهى

وقال صاحب المعجب ان المهدي بن تومرت هو الذي أمر الموحدين بالبناء على ساحل البحر المحيط ، وأشار لهم بأنه بذلك يفتح الله عليهم ويجمع كلمتهم فلما أحدثوا القصبة سموها المهدية تذكارا لاسم المهدي ابن تومرت ، ولما أتموا بعد ذلك بناء الرباط سموه رباط الفتح ، تحقيقا لما أشار اليه المهدي ، وتذكارا للفتح الاندلسي الذي بني الرباط مـــن غنـــائمـــه

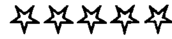
وجاء في معجم البلدان لياقوت الحمري أثناء الكلام على نهر ســلا « وفي غربي النهر المذكــور اختط عبد المومن قصبة وسماها المهديــة ينزلها اذا أراد ابرام أمر أو تجهيز جيش » انتهى . وقال أيضا في كتابه المشترك وضعا المفترق صقعا والمهدية أيضا مدينة قرب سلا في أقصى المغرب اختطها عبد المومن بن علي ، ونسبها الى المهدي بن تومرت صاحبه القائم بالامر هنـــاك (97)

ولم يكن لبنائها شكل مستقيم ، فهي ليست مثلثة ولا مربعة ، وانما بنيت على الصخور بحسب هندستها الطبيعية وهي محاطة بسور مــن جهة أبي رقراق وتجاه البحر والبـــر ولم يبق من جهة الوادي ســوي قطعة جدار قرب صقالة » طولها يزيد على ثلاثين ميترا وارتفاعها يقرب من ثمانية أمتار أما من ناحية البر والبحر فان السور ما يزال قائما ، ولا زال بعض الابراج التي تعلو الاسوار ماثلا للعيان في روعة بالغــة

---

97) ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس الحموي البغداي الدار الملقب بشهاب الدين ولما اشتهر سمي نفسه يعقوب ولد سنة اربع وسبعين وخمسمائة ببلاد الروم كما قال ابن خلكان وتوفي يوم الاحد لعشرين من رمضان سنة 626 .

وفـي عهـد المرينييـــن



بقيت القصبة في نظر ملوكهم خير عدة للطواريء ، وخصوصا في عهد المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق ، فقد كانت في أيامه أعظم نقطة حربية ، واستمرت مدة عشر سنين من سنة 674 الى سنة 684 هـ تمد قصر المجاز والجزيرة الخضراء بعددها وعددها الى أن أتم المنصور بالله مهمته من بلاد الاندلس برد الاعتبـــار



وفـي عهـد السعدييـــن



فقدت القصبة أهميتها التي كانت لها أيام الموحدين والمرينيين ولكنها ما لبثت أن استرجعت أهميتها بفضل موقعها لما قدمت جاليات الاندلس على السلطان زيدان بن المنصور الذهبي الذي اتخذ منهم جيشا لتحصين القصبة والرباط ، وحماية العدوتين من القائم عليه عبد الله بن الشيخ السعدي وبعد تلاشي دولة السلطان زيدان وعبد الله بن الشيخ قام المجاهد أبو عبد الله العياشي بأمر ســلا وأعمالها ، ما عدا الربـــاط والقصبة اللتين كانتا تحت حكم الاندلسيين الذين تم لهم بفضل استعدادهم المحافظة على استقلالهم ثلاثين سنة ، رغم الاحداث المختلفة ، ورغم طموح المجاهد العياشي للاستيلاء عليهم الى أن استشهد بقبيلة الخلط عندما تغلب عليه الدلائيون ، وأصبح الحكم في العدوتين معا جمهوريا وكانت تبعيتهما للحكم رمزية



وفي عهد الدلائيين

كانت الفترة قائمة ، وكان على رأس الدولة الدلائية محمد الحاج الذي استقامت له جهات تادلا والرباط وفاس ومكناس ، واستقر أمره بها وكانت له علاقات مع انجلترا مبنية على تبادل المنافع ، فكانت مراكبهم تتردد على العدوتين فترسو بوادي أبي رقراق

وكان الخليفة بالقصبة هو الامير عبد الله الدلائي نيابة عن والده ، وكان على اتصال بالانجليز والبرتغاليين والاسبانيين ، يمدونه بالسلاح والاقوات وفي هذه الظروف اشتد حصار أهل الرباط للامير عبد الله فتخابر مع رئيس سفينة انجليزية رست أمام القصبة ، ووعده بتسليم القصبة مقابل ألف قنطار من البارود مع ألف بندقية ، فقبل الرئيس الانجليزي ونزل الى القصبة مع 200 من بحارته وتسبب هذا العمل في هياج الاندلسيين وايغار صدورهم على الامير الدلائي ولما لم يجد الانجليز ما يقتاتون به في القصبة رجعوا الى سفينتهم في انتظار ما ستقرره حكومتهم في شأن هذا العرض ، وضيق الاندلسيون على الامير وألزموه التخلي عن القصبة ، وان لم يرحل عنها أوقدوا لغما كانوا قد حفروا له تحت القصبة وهدموها عليه وكان المشير بوضع اللغم رجلا من هولاندا، والصانع له أسير ايطالي (97م). ولما بلغ الامير عبد الله تحذير أهل الرباط وجه رجلين من خاصته للتفاوض والاستطلاع ، فأعلماه بعد المعاينة بأنه اذا لم يبادر بالتسليم هلك هو ومن معه ، فتخابر حينئذ مع المحاصرين وانعقد الصلح بين الطرفين وغادر الامير القصبة ناجيا بنفسه في مركب الى طنجة وبقيت الحكومة الجمهورية الى أوائل خلافة مولاي الرشيد .





جاء السلطان المظفر مولاي الرشيد بن الشريف العلوي فشمل المتصبه برشده . وطاعت له سنة 1079 بعدما وحد كلمتها مع الرباط وسلا . وأعاد

الامن والسكينة الى نصابهما تحت ظل رايته ، وقيادة عامله السيد عبد القادر مريزق الاندلسي بالرباط ، والقائد الحاج محمد فنيش بسلا وفي عهده أمر بتوسيع القصبة والزيادة في سورها الذي كان يبلغ امتداده مائة وثمانين ميترا وهذا السور هو الذي يحيط بالمحل المعروف بالمدرسة جوار القصبة ، جعل في حده برجين ما زالا قائمين الى الآن (98)

وفي عهد السلطان مولاي اسماعيل بنيت الدار الشهيرة والمسجد والحمام وجعلت مقرا للامير المولى أحمد الذهبي خليفته ونائبه بالعدوتين

وفي عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله امتدت يد العمران والازدهار لرباط الفتح وكان اهتمامه بالقضية ملحوظا ، فقد اصلح ما تهدم منها ، وبنى فيها بستيونا يقابل سلا وآخر يقابل البحر وجعل في السآباط بيت المال أحكم بناءه وتحصينه (99) وتناول بالاصلاح والتجديد كل ما هي في حاجة الى الترميم

وكان الخليفة المولى يزيد ينزل في القصبة كلما قدم الى الرباط ليتعهد بنفسه حصونها وأبراجها ، وكان خبيرا بالرماية يعلم القائمين على الحراسة ما يفيدهم ، ويكمل لهم ما ينقصهم من صناعة الرمي بالمهراس

وفي عهد السلطان مولاي عبد الرحمان ، نقل أهل السوس من جيش الاودايا الى الرباط وأنزل قوادهم بالقصبة الرباطية التي صارت من ذلك الوقت تنسب اليهم وقد فعل ذلك تقليما لاظفارهم ، وعقابا لهم لما خرجوا عليه

---

98) ابو جندار نقلا عن دوكاسترى

99) قدر الدانماركي هوست في رحلته المدخول السنوي للسلطان سيدي محمد بن عبد الله بثلاثين مليون دينار وكان بيت ماله ـ خزينته ـ بباب القصبة لمنعتها .

السـابـاط



وأعظم ما يواجه زائر القصبة هو الباب الكبير ، وهو في منتهى الروعة وجمال الفن الرائق ، طوله 38.60 وعرضه 16 ميترا ، وعلـوه 13 ميترا ، ويعرف بالساباط . وله باب آخر نافذ الى القصبة يشابه كثيرا

باب الرواح وتمتاز نقوش وزخارف بابي القصبة بكثير من البراعة وحسن التنسيـــق

ويدل على الغرض المقصود للموحدين من تاسيس القصبة ما هـــو منقوش على بابي القصبة من الآيات القرآنية الموذنة بالفتح والجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا ـ الى قوله تعالى وكان الله عليما حكيما » على واجهة الباب الكبير بالخط الكوفي ، وعلى البـــاب الشرقـــي

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليـم تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله ـ الى قوله تعالى ـ وبشر المـومنيـــــن

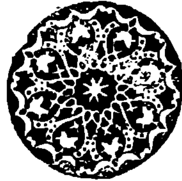
وفي أوائل العشرينات من هذا القرن الميلادي وقع ضم القصبـــــة والمدرسة الى جملة المآثر التاريخية القديمة بالرباط بعدما مدت اليهـا يـد الاصلاح ، فرممت الاسوار والدار والمسجد والحمام الى أن أعـــادت لشكلها القديم في العهدين الرشيدي والاسماعيلي ، وأضيفت القصبة فيما بعد الى عمالة الرباط واعتمر بها كثير من المواطنين وحتى الاجانب وأحدثت فيها ديار وقصور على الطراز المغربي والاندلسي مع المحافظة على المظهر الخارجي الذي يمثل العصور التاريخية التي مرت بها القصبة ، ولا زالت تحتفظ بدار « بركة الموحدية ، والسقاية ، وأسس الجدران لدار ملاوي اليزيد ، وبرج الحجرة المدورة »

وأهم ما يلفت الانظار على الدوام زيادة على الساباط ، مسجدهـــا العتيق وصومعته الشامخة التي تشاهد عن بعد من سائر الجهات ، وتضفى على المكان جوا من السمو الديني والروعة المعمارية المتلفعة بالبساطـة التي ما زالت رمز الابداع المغربي .

✡✡✡✡✡

مسجـــد القصبــة العتيــق

هو أقدم جامع في رباط الفتح ، وهو ثالث مسجد موحدي بعد جامعي الكتبية وتازا . يقع في قمة القصبة ، وقد بناه عبد المومن بن علي ، ثـم جدد بناؤه وأدخلت عليه تعديلات خاصة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، كما أشار الى ذلك الضعيف مؤرخ الرباط (100) ومساحته مربعة الشكل 25 ـ 2 ـ 25.6 ويحتوي على سبعة صحون وله أربعة أبواب وكانت الصومعه معزولة عن المسجد ولكنها صارت منـــد عام 1940 موصولة بالممر المكشوف المحاذي لجدار القبلة ويظن بعض المؤرخيـن الاجانب أن الصومعة من بناء السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، وليس هناك ما يؤكد هذا الظن * (1) . وقد كان مسجد القصبة مهبط الملوك الامجاد يؤدون فيه صلاة الجمعة كلما امتد مقامهم في الرباط وحتى بعدما أصبح الرباط عاصمــة المملكة كـان مقصد ملوكنا لهـذه الغاية في فترات متباعـــدة (*) 2



---

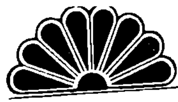
100) مخطوط المكتبـة العامة بالربـاط رقـم 660

1 *) الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله اللسان العربي مجلد 9 ص 251

2 *) نفــس المصـــدر .



الفصل الرابع



شالة

شــالة

شالة مدينة أزلية كانت موجودة قبل العهد المسيحي بمئات السنين، وصارت زاويتها فيما بعد أقدس أثر تاريخي بالرباط

وتعرف في التاريخ القرطاجني باسم سلفيس ، وفي التاريخ الروماني باسم سلاكولونيا وجاء في مسالك ابن حوقل تسمية شالة بسلا القديمة كما جاء في كتاب الاستبصار ما نصه سلا اسمها بالعجمي شالة وهي مدينة أزلية فيها آثار للاوائل وهي معروفة بضفة الوادي متصلة بالعمارة التي أحدثها الخليفة الامام امير المومنين وآباؤه الاكرمون وجاءفي جغرافية الشريف الادريسي ان مدينة شالة على ميلين من البحر وموضعها على ضفة نهر أسمير الذي يتصل الآن بمدينة سلا الحديثة وهناك مصبه في البحر

ولا يعرف شكلها القديم لاندثار الآثار التي يمكن الاستدلال بها على حقيقة الاصل ، غير أنه يمكن التخمين والقول بان مدينة شالة القديمة كانت أوسع نطاقا مما هي عليه الآن حيث توالى على حكمها البربر ثـم الفينيقيون ، ثم صارت عاصمة القرطاجنيين ، وبلغت شاوا بعيدا من الازدهار أيام الرومان ، وتضاءلت أهميتها عند ظهور الوندال ثم استعادت مجدها على طول العهد البيزنطي ثم الكوط

وبعد الفتح الاسلامي تداولها الادارسة الى ظهور المرابطين والظاهر أن عمرانها كان يمتد بين الوادي والربى الى الناظور المعروف بالمنزه وينحدر متسعا الى الولجة وما يحيط بها حيث كانت توجد أعمدة ومساقط أحجار عظيمة مبعثرة في تلك المساحة الكبرى من الارض التي تحولت كلها الى اجنة وبساتين

واعتمد المؤرخ بوجندار ما صرح به « تيسو » في جغرافية بان موقع سلا القديمة يمتد من شالة الى قصبة الاودية وفم الوادي بدليل ما وجد من قديم الاثار تحت الردم بموضع رباط الفتح كما نقل تصريح الباحث برينو في تاليفه المسمى بالبحر بأن آثار شالة تمتد على مسافات معلومة الى قرب قصبة تمـارة (160)

وهذه المعلومات كلها مبنية على الافتراض والتخمين ولا يوجد مـا يؤكدها نظرا لاندثار الآثار كما سبق ذكره ومن الجائز أن يقع اكتشاف جديد يؤكد هذه الافتراضات بفضل التنقيب والحفريات

وأول من افتتحها بالاسلام هو سيدنا عقبة بن نافع الفهري أيـــام خلافة يزيد بن معاوية سنة أثنين وستين من الهجرة ، وعلى يده أسلـم أهلها ، ولاكنهم بعد رجوعه ارتدوا الى المسيحية

وافتتحها ثانيا موسى بن نصير سنة تسعين من الهجرة في عهـد الخليفة عبد الملك بن مروان ، ودانوا في عهده بدين الاسلام ، ثم ما لبثوا ان ارتدوا مرة أخرى الى أن طهرها من الشرك الفاتح الاكبر المولى ادريس ابن عبد الله الكامل ، ففتح شالة وما والاها من بلاد تامسنا فكان لها بذلك مزية السبق على غيرها من مدن المغرب اذ كانت ثانية مدنه في اعتناق الاسلام (161) وتناولها بنوه من بعده الى أيام موسى بن أبي العافية المكناسي الزناتي سنة 317 ه ثم صارت شالة عاصمة ملك الافرانيين في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس ، وتمكن المرابطون من تخريبها مرارا اثناء الحروب التي تجددت بينهم وبين البرغواطيين الى أن تمكن المجاهد الامير أبو بكر اللمثوني من القضاء عليهم واستئصال نحلتهـــم الاباحية التي شرعها لهم زعيمهم المتنبي صالح بن طريف البرغواطي منذ سنة 125 ه وذلك في حدود الخمسين من القرن الخامس

---

160) فية مبالغة ولعله اراد ان يقول قصبة الاوداية

161) شالة وآثارها للمؤرخ ابي جنـــدار ص 27 طبع للرباط .

وفي العهد زارها الادريسي ووصفها بأنها خراب ويتصل بخرابها عمارات متصلة وزروع ومواشي لاهل سلا الحديثة ، وكذلك وصفها صاحب الاستبصار بما تقدم ذكـــــره

وعندمـا بنى الموحدون رباط الفتــح أثر ذلــك على ازدهار شالــة وضعفت عمارتها بانتقال أهلها اليه لجدته ، وتدارك ذلك الخليفة يعقوب المنصور فأمر ببناء مسجد آخر ومستشفى للمرضى والزمنى ، وبتشييد حصن حصين يكون مقرا لجيوشه في هذا المكان (162)

وفي عهد المرينيين أداروا أسوارها وجددوا كثيرا من بناءاتها وصارت لديهم حرما مقدسا ومدفنا لاعيانهم وبنو فيها القبب الرفيعة على أضرحة ملوكهم ووقفوا عليها الاوقاف الحبسية وهي في شكلها الحاضر مربعـــة متساوية الاضلاع ، وتشتمل على الباب الغربي الكبير الماثل للعيان ، وباب عين الجنة الذي اندثر ولم يبق له أثر وباب البساتين الذي يتمثل في اطلال بالية وبقايا جدران المسجد وزاوية الخلوة والقباب والاضرحة ومدرسة وحمام ومساكن اسلاميــة

والزاوية الماثلة الى يومنا هي من بناء السلطان أبي الحسن المريني أحد الملوك الذين دفنوا بها حسبما ذلك مكتوب على بابها الغربي الكبير العجيب البناء البديع المثال بخط كوفي رائع بعد الافتتاح بالتعوذ والبسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تسليما أمر بهذا مولانـــــا السلطان الاجل العادل المقدس المجاهد أمير المسلمين ناصر الدين أبـــو الحسن ابن السلطان الاجل الصالح العادل المجاهد المقدس أمير المسلمين ناصر الدين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق خلد الله ملكهم وكـــان الفراغ منه في آخر ذي الحجة عام تسعة وثلاثين وسبعمائة »

ولما صارت مدفنا لاسلافه اهتم بها وأدار عليها السور المربــع السامي الارتفاع ، تتخلل مسافاته أبراج مربعة على هيئة أسوار المــدن الكبار ، وبنى على قبر والده أبي سعيد ضريحا بديع المثال مربع الشكل ،

---

162) لـم تترك يـد الحدثان اثـرا لمـا ذكـر

وهو يجاور ضريح جده يوسف المجاور للمسجد العتيق الذي دفن بـــه السلطان يعقوب بن عبد الحق ، وبنى لنفسه قبة عجيبة المثال بازاء ضريح أبيه ، جعلها ضريحا لمدفنه اذا انتهت أيامه ، فكان الامر كذلك .

وشيد أبو الحسن داخل السور بالركن الغربي زاوية حسنة التخطيط والهيئة ، لها بابان ، أحدهما يفضي الى خارج سور شالة وقببها الكبرى عشـــر واقتصر في بنائها على الحجر والآجر ، وليس في بنائها خشب أصلا ، سقفا ومعارج وأسوارا ثم أحدث مسجدا مسامتا لضريح أبيــه وجده ينكون من ثلاث بلاطات ى وبجانبه مطهرة جارية الماء ، وفيما وراءها جوفا أنشأ حماما ضخما ذا أقواس متينة وأقبية محكمة وبنى في مسجـد جده يعقوب مئذنة طريفة الشكل مزخرفة بالزليج الملون لا تزال سليمة الى عصرنا ، وما فتيء رحمه الله يبني ويبدع ويزخرف ويحبس الى أن وافته المنية بجبل درن من أعمال مراكش ، ونقل الى جامع المنصور منها فدفن بقبلته ، الى أن نقله ولده أبو عنان الى الضريح الذي أعده لنفسه بشالة ، حسبما هو مكتوب على قبره ، وكانت وفاته ليلة الثلاثاء 27 ربيع الاول عام اثنين وخمسين وسبعمائة

وكان أول من دفن بشالة من سلاطين بني مرين يعقوب بن عبد الحق سيق اليها من الاندلس بعد وفاته ، ودفن بمسجدها العتيق .

وبعده ابنه السلطان يوسف ، سيق اليها من تلمسان ، وقد توفــى هـنـــــــاك

وبعده ابنه السلطان أبو سعيد ، توفى بفاس ودفن بشالة

وبعده ابنه أبو الحسن توفي بجبل درن « هنتاتة » واقبر بجامـــع المنصور في مراكش ، ثم نقل الى ضريحه في شالة

واحمد بن ابي سالم بن أبي الحسن المريني كذلك ، كما دفن بشالة كثير من الاعيان والشهداء وفضليات النساء كشمس الضحى زوجة أبــي الحسن المريني وأم السلطان أبي عنان المتوفاة في رابع رجب عام 750 .

وقد استطاع البحث على ضوء الحنائز الاثرية اكتشاف قبر أم العز بنت محمد بن حازم زوجة السلطان يعقوب المريني المتوفاة في 6 رمضان 683 (163) وقبر السلطان أبي سعيد عثمان الاكبر ، وشهداء موقعة طريف، وقبر الامير ابي الكمال تميم بن زيري اليفرني صاحب مملكة شالـــة وغيرهم من الامراء والوزراء والعلماء .



---

163) ابن ابـي زرع ط. حجرية فـاس .

وقد دفن بشالة السيد أبو الربيع عم الخليفة يعقوب المنصور الموحدي ، وكذلك السيد أبو حفص عمر الرشيد ، والسيد أبو يحيى أخوا الخليفة المنصور الموحدي ، وقد كان هؤلاء تخلفوا عن مبايعته وحاولوا الخروج والثورة وهو ما يستوجب اعدامهما واقتضى الحال تنفيذ القرار ، وقام عثمان بن عبد العزيز الكومي قائد قصبة رباط الفتح بالمهمة (164) حيث صدر أمر الخليفة من مراكش ببعثهم مقيدين الى رباط الفتح للعقاب

واشتهرت شالة بكونها مزارا محترما لكونها روضة كثير من الشهداء والمجاهدين ، ولكثرة من أقبر فيها من العلماء والزهاد وملوك المسلمين

☆☆☆☆☆

ابن الخطيب يصف معالم شالة

التجأ ابن الخطيب الى شالة واتخذها دارا مدة تنيف على السنتين، كما التجأ اليها الشيخ ابو عبد الله اليابوري دفين الرباط ، ولم يطب له القرار الابها ، فجعل من زاويتها الغربية مسجدا له برسم الارشاد والتربية وكذلك أبو العباس أحمد بن عاشر اختارها موطنا ونزل بزاويتها أمدا طويلا متتلمذا فيها للشيخ اليابوري ، قائما بتعليم كتاب الله الى أن توفى شيخه اليابوري ، فانتقل الى سلا وبها كانت وفاته كما هو مشهور وقد وصفها ابن الخطيب بانها « مرعى الذمم ، ونتيجة الهمم ، ومشمخ الانوف ذوات الشمم ، وعنوان الرمم ، حيث الحسنات المكتتبة ، والاوقاف المرتبة ، والقباب كالازهار ، زاهرة بذكر الله آناء الليل واطراف النهار » .

ووصف ضريحها بـ الضريح الذي تعددت على المسلمين حقوقه ، وسطع نوره وتلألأ شروقه ، وبلغ مجده السماء لما بسقت فروعه ورسخت عروقه ، وعظم فخره فما فوق البسيطة فخر يروقه ، حيث الجلال قد رسخت هضابه والملك قد كسيت بأستار الكعبة الشريفة قبابه والقرآن العزيز ترتب أحزابه ، والعمل الصالح يرتفع الى الله ثوابه » .

---

164) ابن ابي زرع ط. حجرية فاس

وعندما أثار أحمد اللحياني الورتاجني المريني على عبد الحق آخر ملوك بني مرين عمد الى شالة ، ونهب خزائن كتبها واستولى على ما فيها من المصاحف المحلاة والتحف المحبسة على أضرحتها ، وفرق جمـــوع الطلبة والسدنة والقومة والاخيار الذين كانوا مجتمعين لتلاوة القـــرآن والذكر قياما بوظيفة الحبس وكانت هذه الافاعيل الشنيعة من أهـــم الاسباب التي قضت على محاسن شالـــة

وبقي الحال على هذا المنوال الى أوائل القرن الثاني عشر على مـا يظهر ، فقد جاء في مسالك الحسن الوزان الغرناطي والفهرس لابي الحسن العكاري الحفيد الرباطي ما يفيد أن شالة كانت عامرة في هذا العهد ، وصرح الضعيف الرباطي في تاريخه بان بعض العمارة بشالة استمر الى صـــدر القرن الثالث عشر أيام المولى يزيد بن محمد بن عبد الله عندما شق عليه الطاعة عرب الصباح الذين كانوا نازلين بأحواز الرباط ، فوجه اليهم عامله أبا يعزى القسطالي مع قبيلة بني حسن وعبيد البخاري والودايا والبرابر فاستأصلهم ، ثم مكن العبيد من شالة فوجدوها مملوءة بالماشية والاثاث والخدم ، فغنموا ذلك كله وهدموا الديار ، وأخذوا الاموال واهانـــــوا الاضرحة . وكان ذلك يوم الجمعة 18 ربيع عام 1205 (165)

وبداخل السور عدة قبات وأضرحة كضريح سيدي يحيى بن يونس ، ولا نعرف له ترجمة ، وضريح سيدي عمرو المسناوي ، وضريح سيـــدي الحسن الامام وفي غربي قبة سيدي يحيى المذكور قبة أخرى صغيرة في داخلها بعض القبور ظاهرة يقال لهم رجراجة (166) وبالقرب منهم موضع آخـر يعرف بصنهاجـــة

---

165) شالة وآثارها ص 13 بتصرف واختصار

166) في تاريخ المغرب قصة مشهورة يقال لها رجال رجراجة يثبتها بعض الرواة وينفيها الآخرون ولا يوجد لها سند في المصادر القديمة وتتلخص في ان سبعة من رجال قبيلة رجراجة المجاورة لمدينة أسفي هاجروا الى المشرق ووفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليهم وكلمهم بلسانهم فاسلموا وحجوا ثم رجعوا الى وطنهم لنشر الاسلام به ولهؤلاء الرجال السبعة اضرحة شهيرة علـى الضفة الجنوبية لنهر تانسيفت

ولا نعلم سندا صحيحا لهذه القبور الموجودة بشالة والتي تحمل اسم رجراجة الا ما يقال عن جهاد قبيلة رجراجة المعروفة بمتانة ديانتها للبرغواطيين اتباع صالح ابن طريف المشعوذ الضال الذين كانوا يعتصمون ببلاد تامسنا ولا يبعد ان يكون اصحاب هذه القبور من شهداء هذه الحروب .

وقد كتب عن شالة كثير من الباحثين ، مزجوا أحداث التاريـــخ بأساطير الجن وخرافات العجائز الى حد التسفل الغير اللائق ، وغالبا ما كانوا يستقونها من أحد العوام الذي كان يستغل شراهتهم في الارتواء من الاكاذيب التي لا تمت الى التاريخ بصلة

وشالة تحتفظ ببقايا تشهد على توقف القرطاجنيين بها في طريقهم بين ليكسوس والصويرة   وقد وفق الباحثون المتخصصون أخيرا فـــي العثور على بعض الآثار الرومانية ، كاكتشاف قلعة وفسيفساء ومسكـن روماني قديم ، وأوان فخارية ونقود ، والكل من العهد الروماني ، كما أدى البحث عـن المقابر العتيقـة الى العثور على عشرين اناء سالمـا وأوان وقناديل من خزف واباريق زجاجية

وفي منتصف كدية شالة عند تسلقها نحو أبي رقراق وقع التعرف على كثير من الآثار القديمة ، من بينها حائط يبلغ طوله أربعين ميترا وحنية قوية يبلغ قطرها خمسة عشر ميترا   وفي الحدائق المجاورة توجد نباتات سميكة كان يغطيها بعض بقايا الرخام وقاعدة لتمثال ، وبناية متهدمة بلاطها فسيفساء زرقاء وبيضاء مـن العهد المسيحي   كما عثر على تمثال ليوبا الثاني من المرمر الابيض أضيف الى التمثالين المماثليـــن المكتشفين سنـــة 1960

ومن دواعي الاسف الشديد ما آلت اليه الاحوال في هذه الزاويـــــة المباركة في مطلع قرننا الرابع عشر   حيث امتدت اليها يد الطامعيـن واللصوص ، فمآثرها تنقل ، وأحجار قبورها تباع ، ورخامها يسرق ومقابرها تنبش . كل ذلك أو جله باسم البحث العلمي والتنقيب عن الآثار. وقد أشار المؤرخ أبو جندار الى ما يوجد في بعض متاحف أروبا من الرخامات والاحجار الاثرية المنقولة من شالة الى تلك المتاحف والى الجزائر كرخامة السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني الموجودة هناك .

« الحفريـات السبريـة »

والحفريات السبرية التي أجريت خارج الاسوار المرينية كشفت عـن حيطان سابقة للرومان ، وعدد كبير من السقوف الخزفية

وفي سنة 1966 توبعت الحفريات فيما يخص الآثار الفينيقيـــة والبونيقية والموريطانية بصفة متسلسلة ، نظرا لكون الحضارات التـــي استوطنت المغرب تعاقبت على نفس الامكنة ومن بين الاشياء التي وقع العثور عليها بالقاعات والدكاكين السفلى رأس الهة الجمال « كما يقولون » من مرمر ، وعدد وافر من الخزف المطبوع المنتمي للقرنين الرابع والخامس حيث هجرت المدينـة

وبرز للعيان بين الفوروم وحمامات قوس النصر مبنى كبير مستطيل طوله 30 ميترا وسماكة حيطانه 1.50 ، وهي من أحجار ضخمة ، ويرجع تاريخه الى أوائل عهد الاحتلال الروماني

وقد وضعت المصالح المختصة مخططات جديدة للحفريات من أجـل استكشاف الآثار المغربية المعاصرة للفينيقيين والقرطاجنيين التي كانت كثيرا ما تغطيها الآثار الرومانية الهامة . والى جانب ذلك فقد أولت كثيرا من الاهتمام لفترة ما قبل التاريخ وللعهود الاسلامية مع مواصلة الحفريـات الرومـانيـــة

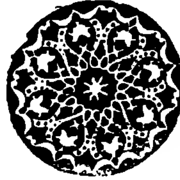
ومن غريب الصدف أن يكون ضمن المكتشفين والباحثين أحد رؤساء الرباط المشاهير وهو الرئيس عبد الله بن عائشة (167) ، فقد أشـــار المؤرخ بوجندار الى عثور الرئيس المذكور سنة 1699 م على دار أثرية بشالة يرجع أصلها الى تاريخ مجهول ، وصرح المؤرخ المذكور انه لا

---

167) هو أحد سفراء المولى اسماعيل ويعرف في تواريخ الاجانب بأميرال سلا وهو الذي ينسب اليه فندق ابن عائشة القيسارية المعروفه بالرباط ودار ابن عائشة المتصلة بالزاوية المختارية ومقبرة ابن عائشة التي بها مدفنة بمقبرة العلو بالرباط وستاتي ترجمته فيما بعـد

يوجد ذكر لهذا الاكتشاف في كتب التاريخ المغربي ، وانما علم من كتاب كتبه ابن عائشة المذكور (168)

وقد اهتمت مصالح الآثار « مفتشية المباني » بعد الاستقلال بقلعـة شالة ، ورممت الاسوار المرينية ، والباب الكبير والطريق المؤدية الى المسجد ، وصانت الاماكن والاضرحة والقبور المرينية ، وأصلحت الادراج المؤدية الى المدافن المرينية ، مع اصلاح الصهريج والمنارة وترميم باب المسجد ، وتركيب باب خشبي لصيانة المكان ، وقننت الدخول الى داخل الاسوار وجعلت للزيارة أوقاتا معلومة ، ومنعتها على العابثين والمستهترين والمشعوذين ، وهي في وقتنا كما كانت نزهة للناظرين وعبرة للمعتبرين تلوح عليها شارات الجلال وعلائم النقصان بعد الكمال »



168) ذكر الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله في المعجم التاريخي للملحق بتاريخ المغرب ان عبد الله بن عائشة أشار في احدى رسائله للمسؤولين في فرنسا الى الكشف عـن دار تحت الارض في هيئة كنيسة مع ثلاثة تماثيل من الرخام والظاهر ان المدينة المقصودة هي شالة « السلسلة الثانية ـ العلويون ج 5 ص 4 »
وقد ورد في رسالة لجان استيل ـ 1699 ـ انه وقع العثور في شالة على ثلاثة تماثيل اثنان من المرمى والثالث من الفضة السلسلة الثانية ـ فرنسا ج 5 ص 418 . انتهى

الفصل الخامس



الهجرات الأندلسية إلى الرباط

كان رباط الفتح في أول أمره مركزا حربيا ومربطا لجيوش الاسلام ، خصوصا جيوش المرابطين المجاهدين ضد البرغواطيين وكان فيه بر للسكنى بناه الرومان بقصد الدفاع عن مدينة شالة ولحماية مراكبهم الـ كانت تمر بفم وادي أبي رقراق وترسو على مقربة من شالة وما حواليه أرض محرث براح ومسرح كما جاء في تاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة (101) وكانت العمارة لا تعرف الا في شالة وسلا

قال ابن الاثير (102) « بنى يعقوب المنصور مدينة محادية لسلا من أحسن البلاد وأنزهها »

وقال ابن خلكان (103) انه بنى بالقرب من مدينة سلا مدينة عظيمة سماها رباط الفتح على هيئة الاسكندرية في الاتساع وحسن التقويم وانقان البناء وتحسينه وتحصينه

وجاء في المعجب (104) في ترجمة يعقوب المنصور « ثم شرع في بنيان المدينة العظمى التي على ساحل البحر والنهر من العدوة التي تلي مراكش وكان أبو يعقوب ـ رحمه الله ـ هو الذي اختطها ورسم حدودها وابتدأ في بنيانها فعاقة الموت المحتوم عن اتمامها ، فشرع أبو يوسف كما ذكرنا في بنيانها الى أن أتم سورها »

وقال في آخر ترجمة صفة الموحدين في اقامة الجمعة

---

101) عبد الملك بن صاحب الصلاة 594 هـ = 1198 م نشر وتحقيق الدكتور عبد الهادي التازي ط. دار الاندلس بيروت ص 446

102) الشيخ عز الدين أبو الحسن علي ابن الاثير صاحب التاريخ الكبير ـ الكامل ـ

103) ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان ولد سنة 608 ومات سنة 681 من الهجرة وهو اشهر من ان يعرف

104) المعجب في تلخيص أخبار المغرب لابي محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي ط. القاهرة 1332 هـ ولد بمراكش 581

« وقد بنى المصامدة ـ يعني بهم الموحدين ـ على ساحل هذا البحر مدينة عظيمة سموها رباط الفتح الى أن قال « وقيل انما بنوها بأمر ابن تومرت (105) اياهم بذلك ، وتم بناء المدينة في حياة أبي يوسف ، وكملت أسوارها وعمر كثير منها »

وقال مؤلف الاستبصار في عجائب الامصار (106) « وأمر الخليفة أبو يعقوب ـ رضي الله عنه ـ ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التــي احدثها الامام أمير المومنين ـ يعني المهدي ـ وفي هذه المدينة قيسارية عظيمة وحمام وفنادق وديار كثيرة ، ومياه مطردة وسقايات ومنافع أعدت لورود المحلات عليها ، اذ وضعها على المجاز والمعبر الى حضرة مراكش كلأها الله وعلى هذا المعبر قنطرة مركبة على ثلاث وعشرين معدية مدت عليها أوصال الخشب ، وصلبت عليها الالواح والفرش الوثيق الذي لا يؤثر فيه الحافر ، تجوز عليها العساكر والمسافرون ، وحولها يتصيد أنواع السمك والشابل ، ويمد البحر فترتفع القنطرة فتغطي الجسر فتعوم عليه المراكب وترسي دونها الاجفان الكبار وقل ما تسلم عند دخولها وخروجها لصعوبــة المدخــل » (107)

---

105) ابو عبد الله محمد بن تومرت الملقب بالمهدي ولد سنة 485 في بلاد السوس الادنى جنوبي مراكش في قبيلة هرغة احدى بطون مصمودة ومات في رمضان سنة 524 ـ 1092 ـ 1129 ودفن في تينمل مهـد دولتـه

106) مؤلف الاستبصار مجهول وعسى اﷲ توفق للبحوث للكشف عنه وكان ناضجا ابان العصر للذهبي للموحدي ويظهر انه كان يتمتع بمكانة مرموقة في بــلاط المنصور وذلك ما يفسر احتباله بالموحدين ومدحه لهم

107) ملاحظة دقيقة تتعلق بطبيعة المصب ومعرفة تياراته وكان مدخل الوادي يحتاج للبحارة المهرة للذين تدربوا عليه وعرفوا التواءاته وقد استغنى عنه بعد الحــرب العالمية الثانية بسبب هذه الصعوبة التي لم يمكن للتغلب عليها رغم الامكانيــات والتقنيات المصريـــة .

وقال عند ذكر مدينة سلا ما نصه اسمها بالاعجمي شالة ، وهي مدينة أزلية فيها آثار للاول ، وهي معروفة بضفة الوادي متصلة بالعمارة التي احدثها الخليفة أمير المومنين وآباؤه المكرمون

وقد كان اتخذ أرباب البلد العشريون وأولياؤهم مدينة بالعدوة الشرقية ، وهي المعروفة الآن بسلا وأمر الخليفة أبو يعقوب رضي الله عنه ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التي أحدثها الامام أمير المومنين وفي هذه القصبة جامع وقصور وصهاريج الماء أمام الجامع ، وهو مجلوب من نحو عشرين ميلا »

ويستفاد من هذا النص الصريح أن العمارة كانت متصلة من شالة الى القصبة ، كما يدلنا على أن بناء مدينة رباط الفتح قد شرع فيه قبل الخليفة يعقوب المنصور ، أي منذ عهد عبد المومن ، وبذلك يزول الاشكال الذي كان يشوش على الباحثين عندما يجدون عبد المومن يراسل عماله من مدينة الرباط (108)

وفي المسالك والممالك لابن حوقل لما أجرى ذكر وادي سبو (109) ومصبه في المحيط

« ومن ورائه الى ناحية بلد برغواطة على نحو بريد وادي سلا ، واليه تنتهي سكنى المسلمين ، وهو رباط يرابط فيه المسلمون ، وعليه المدينة الازلية المعروفة بسلا القديمة ـ يعني شالة ـ وقد خربت ، والناس يسكنون ويرابطون برباط يحف بها وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف انسان يزيدون وينقصون »

---

108) انظر سائل موحدية ص 44 / 56 / 62 / 128 نشر ليفي بروفنسال رباط الفتح

109) ينبع من الاطلس المتوسط ويصب في المحيط بالمعمورة حاليا المهدية وطوله 600 كيلوميترا ويتراوح عرضه بحسب الاماكن من 150 الى 300 ميترا

110) نقله المؤرخ المرحوم محمد بن علي دنيا في تاريخه للرباط ـ مخطوط في حوزة ولده السيد احمد .

وأبــو القاسم بــن حوقل الصقلــي كان بالمغــرب سنــة ثلاثمائــة وستين (110) وكان قد بدأ رحلته من بغداد سنة 331 هـ = 943 م ويمتاز بالمعلومات القيمة التي سجلها عن المغرب في ذلك العهد الغامض مـــن تاريخنــــا الوطنـــــي

وينفرد ابن حوقل بالتتبع الدقيق لاسماء المدن والقرى ، وحينما يذكر أسماء أغمات وسجلماسة وفاس وسبتة وغيرها يذكر عن رباط سلا أنه كان رباطا لجهاد كفار برغواطة وعلى هذا تكون مدينة الرباط موجودة قبل التاريخ الذي حدده المؤرخـــــون

ويؤكد لنا ابن حوقل أن شالة كانت قد خربت في ذلك الوقت ، وأن العمارة كانت برباط يحف بها ، وهو يقصد ولا شك الموضع الذي بنيت به المدينة بالعدوة الغربية وباعتبار كلام ابن حوقل وكلام صاحـــب الاستبصار تكون مدينتنا قد تجاوزت الالف من عمرها المديد الحافـــل بالامجــــــاد

ولا ينافي هذا ما ذكره صاحب المعجب وصاحب روض القرطاس من كون الخليفة يوسف بن عبد المومن هو الذي اختطها ورسم حدودها لاحتمال أن يكون الخليفة المتمهدي هو صاحب فكرة الانتقال من مجـــرد رباط للمجاهدين الى مدينة محصنة صالحة لان تكون قاعدة لكرسيه ، ومركزا لدولة الموحدين من بعده وأطلق عليها رسميا اسم رباط الفتح ، خصوصا وقد تواتر أن بناءها كان بامر المهدي

وكيفما كان الامر فان الذي اتمها ومصرها وعمرها وصارت تنسب اليه باتفاق المؤرخين هو الخليفة يعقوب المنصور الذي كان يحبها وينوي اتخاذها عاصمة لــه وكان انفاقه على هذه المدينة من بيت المال ومن أخماس غنائم الروم ، وبعد وفاته انتقل اليها كثير من أهل شالة ، وفقدت

---

110 م) مخطوط الاسكوريال رقم 520 فهرس الغريزي ورقة 115 و 116 والمنشور سنة 1851

أهميتها وسحرها ، وأصابها ركود تركها من غير تاريخ نحوا من ثلاثة قرون حسبما ذكره المؤرخون ، ولم تنتعش عمارتها الا بعد استيطان المهاجرين الاندلسيين الذين وفدوا اليها في موجات متتابعة ، كان ابتداؤها في عهد الخليفة أبي محمد عبد الواحد الرشيد الموحدي الذي منح المهاجرين الاولين من بلاد شرق الاندلس بموجب ظهير حق الاستيطان برباط الفتح ، وهذا الظهير الذي أنعم به على اللاجئين بعد سقوط بلدانهم في يد المسيحيين يخولهم سكنى رباط الفتح وتعميرها ، ويعتبر وثيقة هامة جدا في تاريخ المغرب وتاريخ الرباط بصفة خاصة ، فبمقتضاه استطعنا معرفة أقدم جالية اندلسية استوطنت الربـاط

ومما يثير الاستغراب سكوت المؤرخين أو عدم اطلاعهم ـ وهـــو الارجح ـ على الظهير المثبت في كتاب زواهر الفكر لابن المرابط (110 م) واقتصارهم على ذكر الجاليات النازحة اليها سنة 1018 هـ 1609 بعـد قرار فيليب الثاني المتعصب بطرد الموريسكيين من اسبانيا

وقبل أن نذكر نص الظهير كاملا نقتطف بعض الفقرات التي تنير لنا السبيل في بعض الاستنتاجات والافتراضات فهو من انشاء الكاتب القدير قاضي الرباط في هذا الظرف بالذات أبي المطرف أحمد بن عبد الله ابن الحسين ابن عميرة المخزومي ومؤرخ بالحادي والعشرين لشعبان المكرم سنة سبع وثلاثين وستمائة يأذن لهؤلاء اللاجئين من أهـــل بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة وغيرهم من بلاد شرق الاندلس في الانتقال الى رباط الفتح بقضيضهم وقضهم ، وأن يتخذوا مساكنه وأرضه بدلا من مساكنهم وأرضهم ويصف مدينة الرباط بانها مناخ التاجـــر والفلاح ، وملتقى الحادى والملاح والمرافق من بره وبحره موجودة في فصول السنة ، مؤذنة لقاطنه بالعيشة الهنية والحال الحسنة » .

ويستفاد من هذه الفقرات أن الرباط في هذه الآونة لم يكن بالحالة التي وصفوه بها من قلة الساكن ، وفتر المساكن ولكنه بالعكس كان « مناخ التاجر والفلاح ومرافقه مؤذنة لقاطنه بالعيشة الهنية والحال الحسنة » وهنا يبرز سؤال الباحث عن أوضاع الرباط قبل قدوم المهاجرين ، وبعد أستيطانهم وهل انعكست علومهم وفنونهم وتجاربهم على الحالـــة الاجتماعية والاقتصادية فغيرتها جذريا كما كان يحدثنا المؤرخون عـن تاثير المهاجرين بعد سقوط غرناطة ؟

وسؤال آخر يفرض نفسه ، وهو أن منشيء الظهير أحمد بن عميرة المخزومي كان شيخ الكتاب في عصره بالغرب الاسلامي ، واشتغل كاتبا مع الموحدين في المغرب والاندلس كما شغل منصب القضاء في المغرب والاندلس ، وفي الرباط وسلا على الخصوص وكان قضاء العدوتين من الوظائف المهمة في عهد الموحدين فقد سبق أن شغله أندلسيون قبـل ابن أبي عميرة ، كشيخه أبي محمد بن حوط الله المالقي (111) وأبي العباس أحمد بن محمد الشريشي (112) وأبي جعفر أحمد بن فرقـــد الاشبيلي (113) وكان أبو المطرف يفضل سكنى الرباط ليكون بجوار مواطنيه من جالية شرق الاندلس وكثيرا ما عبر عن سروره واغتباطـــه بوجوده في مدينة الرباط ، ويؤكد هذا ما جاء في رسالة كتبها الى صديقه أبي الحسين بن مفوز في شاطبة اذ يقول

ولعمرى ما زاد الثواء الا غبطة في المثوى ، ورغبة في أشياء اتت على مـا أهـــوى »

---

111) التكملة ج 2 ص 885

112) التكملـة ج 1 ص 105

113) التكملـــة ج 1 ص 114

عن الدكتور بنشريفة في رسالته عن ابى المطرف احمد بن عميرة المخزومي .

وكان يرغب اخوانه وأصدقائه في القدوم عليه واصفا لهم الاحوال وحقائقها ، والبلدة ومرافقها ويذكر « ما فيها من تجارة وفلاحة وما حولها من غارة مجتاحة » (114)

أفلا يساورنا الشك في أسباب الغموض التي تكتنف هذه الفترة وان مدينة هذه حالتها يتولى قضاءها كاتب الخليفة وشيخ الكتاب في عصره ، ويطيب له العيش في كنفها ويرغب أصدقاءه في القدوم اليها للاستيطان بها ويخصصها الخليفة لايواء المهاجرين الفارين بدينهم وحضارتهم من الخسف والمكر والنكال ليصعب تصورها غير آهلة طوال مدة مديدة ، مع افتراض أنها كانت في حدودها الموحدية فسيحة الارجاء لان التاريخ يروي لنا أخبارا عن قصور السادة كانت مقامة بالمنزه أو ما يعرف بدار سعيد بن صالح ، وهو المكان الذي كان يسمى بالقصور كما تقدم ذكره (115)

وقد ترك لنا صاحب الاستبصار في عجائب الامصار وصفا شاعريا وان لم يحدد فيه المكان حيث يقول « ان هذه المدينة قد شرفها الامر العزيز وكرمها بما أحدثه فيها من المباني الرفيعة ، والمنازه البديعة ، وما هي وقت مرور المحلات عليها الا من عجائب منتزهات الدنيا ، لا سيما في الاعوام الخصيبة والفصول المعتدلة وناهيك من ساحل طوله نحو الميلين مملوء بالبشر والزوارق في الوادي بركابها والمنارة مطلة وعلقات الثمار وجذر الكرمات ، وقبب الجلوس للسادات ـ أيدهم الله ـ ظاهرة ، وقبلة الجامع وأكثر منارة ذلك الحصن المشرف ظاهرة من المدينة ، وما هي في

---

114) غارات بني مرين على الرباط والفقرات بين قوسين نقلها الدكتور بنشريفة عن وسائل مخطوطة بالاسكوريال في رسالته عن ابي المطرف بن عميرة المخزومي

115) هو المكان الذي تشغله السفارة الفرنسية في الوقت الحاضر .

أوقاتها الا أحسن من ديار مصر وما يحكى عن دجلة والفرات ، فانا لله في المحيا والممات والله در القائل

النــــاس مــثــل حبـــــاب

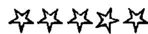
والدهـــر بركـــــة مـــــــاء

فـعـــالـــم فـــي طـفـــو

وعـــالـــم فـــي انطفـــــاء

وأكد المؤرخ الاستاذ عبد الله الجراري الرباطي في بحث له بمجلة دعوة الحق ان البناء الاول كان يتصل بأبنية شالة ، اذ كانت الـــــدور والاسواق والمرافق وما اليها مارة على ما يعرف اليوم بشارع القناصل ووقاصة (116) أو قصيبة النحاس خارقة المرتفع المتصل بالمنـــــزه والمشرف على شالـة الاثريـة انتهى

ونحن نتصور أن البناء كان في أول الامر متفرقا وغير متراص كما هو الشان في بناء المدن القديمة وكانت المساحة كلها بساتين وارفة الظلال يسكنها الخواص ، وصرح أبو جندار في مقدمته بأن كثرة الاجنة بالرباط بلغت مبلغا كاد يساوي ما فيه من الديار سيما أيام الدولتين المرينية والسعدية ويؤكد هذه التصورات وضع مسجد حسان الـذي روعي فيه على ما يظهر القرب من الاماكن الآهلة ؟ أو على الاقل الواقعة في حيز التخطيط المحتمل جعله عامرا بالسكان



« مدى تاثير المهاجرين من شرق الاندلس »

ونعود الى قصة المهاجرين الاولين من شرق الاندلس لوضع السؤال مرة أخرى عن مدى تأثير هذه الموجة التي اختص بها الرباط ؟ وهل أثروا فيه ، مثلما أثر المهاجرون المتأخرون ؟ مع العلم أنهم لم يكونوا أصيبوا في لغتهم وعقائدهم وعزتهم النفسية بمثل ما نكب به المطرودون بعـد سقوط غرناطة ، فقد كانوا فقدوا الكثير ، ومر على نكبتهم واستعجامهم ما يجاوز القرن ومع ذلك يتفق المؤرخون على أنهم حولوا جذريا حالة

مدينة الرباط علميا وحضاريا عندما استوطنوه وشاركوا في الجندية وأنشأوا الاساطيل وشيدوا الاسوار والابراج وغيروا الاوضـــاع الاجتماعية ، وأقاموا العلاقات السياسية والتجارية مع الخارج فكيف نفسر جمود المهاجرين الاولين وسكوت المؤرخين السابقين عن تاريخ هـــذه الحقبـــة ؟

هل هو من قلتهم يومئذ ، بحيث لم يتركوا أثرا ولم يحركوا ساكنا ؟

أم هو من باب اهمال المؤرخين لتاريخ المهاجرين في هذه الفترة المضطربـــة ؟

أم هو ناشيء عن هجمات المرينيين حيث توالى السطو والتخريب علـى المدينـة ؟

أم هو ركود عام أصاب حواضر المملكة عند غروب شمس الدولـة الموحديـــة ؟

واذا علمنا أن الظهير الرشيدي صدر في حق جميع الفارين بدينهم من شرق الاندلس فانهم على ما يظهر لم يكونوا قليلي العدد ، لانهم خرجوا من بلنسية ، وجزيرة شقر ، وشاطبة ، ومن كل أطراف شرق الاندلس حيــن اشتد الكرب وعراهم من عبر الايام ما عراهم ، ودهاهم من أمر الاعداء مــا دهاهم ـ حسب تعبير الظهير ـ وهرب فيه أكثر أهل البلاد بسبب ما أصاب العدوتين ـ الاندلس والمغرب ـ من غلاء مفرط ووباء مهلك ، ووصل قفيز القمح فيها ثلاثين دينارا كما رواه ابن أبي زرع (116 م) وأما عن هجمات المرينيين فنعتقد أنها كانت عند احتضار الدولة الموحدية شديدة قاسية، ولكنها عوضت بوسائل التعمير لانهم كانوا دولة علم وحضارة وبناء يدل لذلك بناؤهم الجامع الكبير بالرباط والمارستان المقابل له والمرافق العامة كالسقاية أمام الجامع والحمام الجديد المعروف بحمام العلو ودار القبة التي لا زالت ماثلة الى الآن وقلعة شالة المجاورة للرباط

---

116 م) ص 183 . طبعة فاس الحجرية

وما بها من القبب والاضرحة المخصصة لعظمائهم وغيرها من الآثار الشاهدة بأعمالهم العمرانية وينقل لنا الاستاذ البحاثة محمد المنوني عن مسالك ابن فضل الله العمري ما مضمنه « ان مدينة الرباط كانت من أهم المدن المغربية في العصر المريني » (117) وبالاضافة الى ذلك يزودناصاحب القرطاس بنص صريح يجعلنا نشك أكثر في تضخيم هـذا الركود المبالغ فيـــه

قال ابن أبي زرع ، وهو يتكلم عن سنة 710 هـ : « وفي شهر ذي القعدة خرج امير المسلمين أبو سعيد من مدينة فاس الى رباط الفتح بقصـــد التفقد لامور رعيته والنظر في أحوال بلاد الاندلس وانشاء الاجفـــان لغزو العدو ، فوصلها في آخر ذي القعدة فعيد بها عيد الاضحى ، وأصلـح أحوالها ، وأمر بانشاء الاجفان في بحرها ، ورجع الى مدينة فاس » (118).

ان التاريخ يسارع بالتسليم برواية الحسن الوزان (119) ورواية مارمول MARMOL **الواردتين في تويرخ (120) الرباط عن عدد الديار بالرباط وقت زيارتهما لها لما يطبع الروايتين من المبالغة ، ولاختلافهما في العدد بصورة تبعث على الشك والحيرة حيث يجعلها الاول تناهز**

---

117) دعوة الحق عدد يناير 1965 رقم 3 السنة 8 محمد المنوني

118) روض القرطـاس ط. حجرية فـاس

119) الحسن بن محمد الوزان الاندلسي اشتهر لدى الاوربيين بليون الافريقي ولـد بغرناطة سنة 901 هجرية *1492* م ونشا ودرس العلم بفاس وزار كثيرا مـن بلاد آسيا وافريقيا وعند رجوعه من تونس الى المغرب 926 هـ اسره القراصنة الايطاليون وارسلوه الى البابا ليون العاشر الذي جعله من خواصه وهو الذي سماه « يوحنا الاسد » مرمول مؤرخ اسباني له كتاب الوصف العام لافريقيا غرناطة في مجلدين 1573

120) توريـخ الرباط لجاك كايي ص 12

المائة الواحدة ، بينما يجعلها مرمول تفوق الستمائة هذا مع صعوبة التفكير في القيام بمهمة تعداد الديار من لدن رحالة زائر مهما كان قوى الملاحظة ومتفانيا في التحقيق والتدقيق

نعم نحن نعلم أن بوادر الضعف والانحلال الموحدي بدأت تظهر حوالي سنة 615 هـ = 1215 م حينما صار الاشياخ يتلاعبون بملوكهم ، يخلعون من شاؤوا ويبايعون من حلا لهم ، فعمت الفوضى التي كانت سببا في انحسار نفوذ السلطة الى المدن خاصة وتضررت الفلاحة بوقوف الحراثة لعدم الامن في البوادي وانتاب الخراب عددا من المدن منها الرباط

ففي فاس اضمحلت كثير من المنشآت الصناعية والعمرانية (121) وكثر الخراب في مدينة مراكش (122) وفي مكناس دثرت مدائنها القديمة ولم يبق منها سوى الصوامع والاطلال العتيقة (123) وفي وهذه الفترة خربت مدينة مغيلة التي لا تزال أطلالها قائمة غرب مدينة فاس (124)

وفي أيام احتضار دولة الموحدين عمد السعيد الموحدي الذي كان عليه أن يحافظ على آثار أجداده الى أخشاب سقوف مسجد حسان وأبوابه ليصنع منها الاجفان سنة 641 هـ فما لبثت أن احترقت بأزمور بنهر ام الربيع ، وبذلك فسح المجال للهدم والنهب حيث توالي السطو والتخريب أيام المرينيين والسعديين وفي سنة 658 هـ هاجم القشتاليون مدينة

---

121) روض القرطاس ص 29 ـ وزهرة الآس ص 60 الجزائر

122) البيان المغرب لابن عذاري ج 4 ص 417 ـ تطوان

123) الروض الهتون ص 33/32 ط ملكية الرباط

124) نقله البحاثة الاستاذ محمد المنوني عن مخطوطة ـ ذكر مشاهير بيوتات فاس دعوة الحق ص 58 دجنبر 1964 ومن مقاله هذا استفدنا هذه المعلومات ومصادرها .

سلا (125) ودخلوها وخربوها وساقوا أهلها سوق الانعام الى غير ذلك من الاهوال التي أصابت بقية حواضر المغرب كالعرائش وسبتة

وهذا بطبيعة الحال يسبب التاخر في المستوى الاخلاقي والاجتماعي، والانحطاط في الآداب والعلوم والصناعات ، لكنه على كل حال لا يتعدى حالة الانهاك والضعف والفقر المادي والمعنوي ، ولا يصل الى الدرجة التي يصورون بها مدينة الرباط أرضا دكا لا يعمرها الا البوم والغربان وهذه آثارها التي صمدت لطوارق الحدثان لا زالت شامخة مآثر موحديـــــة أعجوبة الاعاجيب ، وآثار مرينية لا زالت تتحدث عن نفسها

---

125) وقع هذا الاعتداء على ثغر سلا في الثاني من شوال 658 – 10 سبتمبر 1260 وكان نتيجة لفكرة طائشة وغلطة مروعة ارتكبها الامير المريني يعقوب المنصور بن عبد الله صاحب سلا عندما كتب الى الفونسو العاشر يرجوه ان يمده بمائتين من المرتزقة النصارى للاستعانة بهم على عمه السلطان ابي يوسف عندما جاهر بخلع طاعته وانتهز الفونسو العاشر للفرصة .وقرر ارسال حملة بحرية لافتتاح سلا ورست السفن القشتالية المشحونة بالمقاتلة في مياه سلا واعتقد اهل المدينة انها قدمت للمتاجرة واعتقد يعقوب انهم الجند الذين طلبهم لانجاده وجمـــع القشتاليون سفنهم تدريجيا في خليج المدينة ثم فاجاوها بالهجوم ودافع اهل المدينة بكل ما وصلت اليه أيديهم من صنوف السلاح حتى هلك معظمهم واضطر الباقي الى مغادرة المدينة وجمع القشتاليون السبايا من النساء والاطفال بالجامع واغتصبوا النساء والابكار وقتلوا الشيوخ وخربوا المساجد ومعظم الثغر ولم تقف فظائعهم عند حـد وكل ذلك بعنف ممزوج باللؤم في مناظر مروعة
وبادر السلطان ابو يوسف – وكان في فاس – بالاسراع الى نجدة سلا وحاصر النصارى بها واضطرهم الى الاقلاع على عجل في الرابع عشر من شوال مصحوبين بجماعة كبيرة من الاسرى وما نهبوه من المال والمتاع واستولى ابو يوسف على سلا ورباط الفتح وفر الامير المخدوع الذي كان معتصما بالقصبة الرباطيـــــة الى جبـــال غمـــارة

انظـر الذخيـرة السنيـة ص 103/102

البيان المغرب ص *424/422*

وبما أن الاستنناجات والتساؤلات التي لا زالت تتحدى المؤرخين السابقين بفرض نفسها في شأن قدوم تأثير موجة المهاجرين الاندلسيين الاولين الذين تختص بهم مدينة الرباط فانه يتعين علينا أن ننقل الظهير بنصه في هذا المكان

ظهير الخليفة الرشيد باسكان المهاجرين من اهل بلنسية

وجزيرة شقر وشاطبة وغيرهم من بلاد شرق الاندلس

في مدينة رباط الفتح ، من انشاء كاتبه أبي المطرف بن عميرة المخزومي

هذا ظهير (126) كريم أمر به أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين أيدهم الله تعالى بنصره ، وأمدهم بمعونته ويسره للمنتقلين من أهل بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة ومن جرى من سائر بلاد الشرق مجراهم ، وعراه من عبر الايام ما عراهم ، حين أنهى ذو الوزارتين الشيخ الاجل الاكرم أبو جعفر بن خلاص أدام الله اثرنه وكرامته ما أصابهم من الجلاء ودهاهم من أمر الاعداء وسعى لهم سعي من يقضي فيهم ويلتمس لهم مكانا للقرار ومنزلا لالقاء عصى التسيار ، وعند ذلك أذن لهم ، أعلى الله تعالى اذنه وجدد مجده ويمنه ، في النقلة الى رباط الفتح - عمره الله تعالى - بقضيضهم وقضهم وأن يتخذوا مساكنه وأرضه بدلا من مساكنهم وأرضهم ، ويعمروا منه بلدا بقبل منهم أولى من قبل ، ويحملهم ان شاء الله تعالى وخير البلاد ما حمل ، فانه مناخ التاجر والفلاح ، وملتقى الحادي والملاح ، والمرافق من بر أو بحر موجودة في فصول السنة ، مؤذنة لقاطنه بالمعيشة الهنية والحال الحسنة ولهم أفضل ما عهده رعايا هذا الامر

---

126) يرجع استعمال كلمة ظهير في المغرب الى عهد الموحدين ويرى الدكتور محمد بنشريفة ان اقدم نص وردت فيه هذه الكلمة هو الظهير الذي كتب في عهد الخليفة الموحدي يوسف المستنصر لرهبان بوبلات *Poblet* وقد نشر في *Madrid 1851 — VI — 115 Memorial Historico Espagnol*

العزيز – أدامه الله تعالى – من التوسعة على قويهم كي يزداد قوة ، والرفق بضعيفهم حتى ينال يسارا وثروة وأن يتوسعوا في الحرث ففي أرضه هنالك متسع ، ويتبسطوا في كل ما لهم منه مكافيء وبه منتفع ، ويغرسوا الكروم وأنواع على عادتهم ببلادهم ، ويتأثلوا الاملاك لانفسهم وأولادهم وأولاد أولادهم وكل ما يعمرون من الضياع ويقتنون من الاصول والرباع ، له حكم على الاطلاق والدوام ، لا يلزمون فيه شيئا من وجوه الالزام ولا يطلبون بغير حقوق الشرع التي جعلها الله تعالى في أموال أهل الاسلام وأقوالهم في مقاديرها مصدقة ، وأمانيهم كلها لهم واللاحقين بهم محققة ، والولاة والعمال حفظهم الله تعالى مأمورون بأن يحفظوهم من كل أذى يلم بجانب من جوانبهم ويعوق عن مآرب صغير أو كبير من مآربهم ، وأن يكرموا غاية الاكرام نبهاءهم وأعيانهم ، ويولوهم من حسن الجوار ما ينسيهم أوطانهم حتى تدفع عنهم كل شبهة من شبه الحيف ، ويجمع لهم بين الرعاية لحرمة البلدي والعناية بحق الضيف ، احتسابا منه على الله تعالى أمره ، وأوزع شكره ، ينسحب على جماعتهم وأفرادهم ، ويحملهم على موجب اعتلامهم بهذا الامر العلي أدامه الله تعالى وملاه بهم ، فمن وقف عليه من المكانة والعمال – أكرمهم الله تعالى – فليعمل بحسبه ، ولا يعدل عن كريم مذهبه ان شاء الله تعالى ، وهو تعالى المستعان لا رب سواه

كتب في الحادي والعشرين لشعبان المكرم من سنة سبع وثلاثين وستمائة

وقد نقله الاستاذ المؤرخ عبد الله عنان من كتاب زواهر الفكر لابن المرابط (مخطوط الاسكوريال رقم 520 ورقة 116 وأثبته في كتابه عصر المرابطين والموحدين القسم الثاني ص 737) .

وقد تعرض الدكتور محمد بنشريفة في رسالته عن أبي المطرف بـن عميرة المخزومي لهذا الظهير بطريقته المنهجية وقال في حقه وهذا الظهير يعتبر وثيقة ذات شأن في تاريخ المغرب وبخاصة تاريخ الرباط من حيث أنه يدلنا على أقدم جالية أندلسية استوطنت الرباط ، اذ أن جميع الذين أرخوا لهذه المدينة يقتصرون على ذكر الجالية التي نزحت اليها سنة 1018 هـ = 1609 م بعـد القرار الذي أصـدره فيليـب الثاني بطـرد الموريسكيين من اسبانيا أما هذه الجالية التي يحدثنا عنها هذا الظهير ءلم يشر اليها المؤرخون اطلاقا

وفي التعليق على هذا الكلام قال أذكر منهم على سبيل المثال المؤرخ محمد بن علي الدكالي في كتابه الاتحاف الوجيز مخطوط المكتبة العامة بالرباط رقم 1320 د والفقيه السائح والفقيه بوجندار وتاريخ الرباط لكايي ، ومادة الرباط في دائرة المعارف انتهى



المهاجـرون المبعـــدون مــن اسبانيــا

ونتابع حديثنا عن فترة الركود التي يقال انها استمرت طيلة عهد الوطاسيين والسعديين الى أيام السلطان زيدان السعدي ، حيث استطاعت الدولة السعدية أن تغالب سكرات الموت ما يزيد على نصف قرن بعد وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي وكان المغرب في هذه الفترة الحالكـة يعاني من الفوضى والفساد والاضطراب وكان كيان الدولة وشيـــك التحطيم على سوء النظام والإهمال ، وفقدت الدولة ما كان لها من الصولة والتبجيل بسبب التنازع بين أبناء السلطان ، وقيام امارات الطوائف التي كان يسيرها زعماء دينيون ، منهم المخلص في جهاده للمغيرين والطامعين ورد عادينهم ، ومنهم المهرجون الطامعون في تسنم عرش المغرب ، وكانت عيون الاسبان ترقب ما يجري في المغرب من فوضى ودماء وتهالك على الملك فاغتنموها فرصة لطرد ما يقرب من نصف مليون أندلســـي مسلـــم .

ففي أواخر القرن الخامس عشر الميلادي تم للمسيحيين نهائيـــا الاستيلاء على الاندلس بعد سقوط غرناطة سنة 1492 آخر معقل للمسلمين، بشروط كثيرة تتلخص في حرية التدين ولكن المسلمين لم ينعمـــوا طويلا بالحرية الدينية التي خولتها لهم شروط التسليم فقد نكـــث المسيحيون عهودهم جميعا واشتد البلاء على المسلمين بصفة قل أن سجل التاريـخ لهـــا مثيـــلا

ونتيجـة للقمـع والاضطهـاد والعسف كانوا مرغميـن على مغـادرة الاندلس في موجات متتابعة ما بين 1609 و 1614 ، وهاجر الكثير مـــن الغرناطيين وغيرهم فارين بدينهم من التحقيق والتمسيح

وكان القادمون من الموريسكيين الى البلاد الاسلامين

1 ـ من بلنسية سنة 1609 وهم أول من تقرر في حقهم الطرد

2 ـ من قشتالة واسترامادور ومنهم موجة من حرناشو

هاجروا الى الرباط سنة 1018 ـ 1609

3 ـ من أرغون وجنوب الاندلس 1019 ـ 1610

ـ من قطلونيـا سنـــة 1020 ـ 1611

5 ـ مـن مرسية 1023 ـ 1614

وقد استقر الحرناشيون بقصبة الاودية وانضموا الى الجاليـــات الاندلسية التي هاجرت اليها من قبـل

واستقر هؤلاء المهاجرون بمختلف البلاد الاسلامية ، وكان مـــن الطبيعي أن يكون حظ المغرب من هؤلاء الحظ الاوفر ، للصلات القوية التي ظلت تربط تاريخ الاندلس بتاريخ المغرب أحقابا متتالية وفي الرباط بالذات كان للاندلسيين تأثير كبير في مجرى الاحداث وكان الاسبان يطلقون على هذا الصنف من الاندلسيين لقب الموريسكيين وكان هؤلاء متفوقين في كثير من الميادين الحضارية ، يحنون الى وطنهم ، ويحافظون على شعائر دينهم وعوائدهم وكانوا موصوفين بالعزلة عن باقي المجتمعات

التي يخالطونها بسبب اختلاف الاوضاع عما ألفوه من قبل ، ويستنكفون عن الخضوع لسلطة الغير وبفضلهم عرفت مدينة الرباط تحولا جذريا في النشاط الاقتصادي والصناعي والعمراني وفي العلوم والآداب



جمهوريات أبي رقراق

ظهر في فترة الاضطراب الطويل بعد وفاة المنصور المجاهدون البحريون بمدن سلا والرباط والقصبة ، واشتدت شوكتهم ، في حين لم تعد السلطة المركزية قادرة على اخضاعهم وتكون ما عرف في التاريخ بجمهوريات أبي رقراق واستطاع المجاهدون بما نالوه من خبرة وتمرس على القتال في البحر أن يعملوا وحدهم من بين سائر القوى الاسلامية في عرض المحيط الاطلانطيقي ، ولم يعد عملهم قاصرا على مهاجمة الاسبان والبرتغال ، بل تعداهم الى غيرهم من فرنسيين وأنجليز وهولانديين وصارت اروبا تلقبهم بالقراصنة ، ولصوص البحر ، وقراصنة سلا وكانوا يدفعون عشر مواردهم الى السلطان زيدان السعدي الذي اعترف لهم بهذه الطريقة بمباشرة القرصنة (127)

وكان الاندلسيون قبل قدوم الحرناشيين يخضعون لسلطة القائد الذي تعينه الدولة ولكنهم بتحريض الحرناشيين أزمعوا خلع طاعته ، ونهبوا دار القائد الزعروري عامل السلطان زيدان ، وفتكوا بعد ذلك بقائده المملوك عجيب وتولوا الحكم على أنفسهم باتخاذ عامل من بين أشياخهم وكونوا في الاخير مجلسا للحكم يعرف بالديوان نصف أعضائه من الرباط ، والنصف الآخر من سلا وهكذا تشكلت جمهورية بحوض أبي رقراق ابتداء من سنة 1023 هـ / 1614 م

---

127) كان الغزاة يعتبرونها مقاومة وحربا علنية والحرناشيون نسبة الى حرناشو *HORNACHO* مدينة صغيرة جنوب شرق ماردة .

وقد نقل المؤرخ أبو جندار (128) عن وثائق الكونت دوكاستر وصف الحالة التي كان عليها السلويون والاندلسيون في عهد جمهوريتهم ، فصرح بأن اسطولهم في ذلك الوقت كان يصول ويجول في البحار ، وأن القوة التي انشأها الاندلسيون كانت أشد تأثيرا على أوروبا من بحرية الاتـــــراك بالجزائر وكان بحارتها أكثر جرأة وأزيد خبرة بالمراوغة البحرية وبفنون الملاحة والرماية وكان هؤلاء الغزاة معروفين عند الافرنج باسم قراصنة سلا ، وأن هؤلاء هم من أهل الاندلس ساكني القصبة وكان لهم بالقرب من جامع حسان معمل خاص لصنع المراكب القرصانية والآلات الحربية وكانوا يتلقون المساعدة الفنية من هولاندة ولم يكن هدفهم أول الامر الا شن الغارات على عدوتهم اسبانيا ، ولكنهم لم يقفوا عند هذا الحد ، بل تجاوزوه الى كثير من بلاد أوروبا ، فغنموا من المراكب والسفن ما تجاوز المئين ، ومن الاساري ما قدر بالآلاف بل صرح دوكاستر بانه من عام 1618 الى عام 1626 أسروا من الافرنج ستة آلاف نسمة ، وأخذوا من الاموال خمسة عشر مليون ليبرة جنيه ومن عام 1629 الى عام 1639 أخذوا نحو 27 مليون دوكا وغنموا في مدة عامين فقط أربعين مركبا كانت بسواحل أوروبا تصطاد الحـوت انتهى

وقد كانت القصبة أحيانا مستقلة بنفسها تماما حتى عن الرباط وأحيانا مخالفة للرباط ضد المجاهد العياشي أمير سلا ، وآونة محالفة لسلا ضد الرباطيين ، وأوقاتا تابعة للسعديين أو للدلائيين من بعد وهذا هو العهد الذي كان يوجد بمصب أبي رقراق ثلاث جمهوريات وهو تاريخ ظهور

---

128) مقدمـة الفتح ص 54 بتصرف واختصار

المجاهد العياشي الزعيم (129) الديني الذي كان يهدف الى جمع الشمل ومقاومة الاجانب المحتلين ، وكان في البداية ميالا الى التعاون مع السلطان زيدان ولكنه ما لبث أن اختلف معه ومع الاندلسيين واتهمهم برقة الدين ومحاباة الاسبان ، وأهدر دماءهم ودك معاقلهم قرب الرباط وفي سلا مما جعلهم يلتجؤون لزعيم الزاوية الدلائية وأدى الاختلاف وتبادل التهم الى فتن طويلة بين الاندلسيين والمجاهد العياشي لم تنته الا باغتيـــال العياشي في قبيلة الخلط عندما تغلب عليه الدلائيون (130)

ومن المعروف أن القرصنة كانت في هذا العصر دولية ومجلبة للثراء ، وبالنسبة للمغاربة كانت حربا سافرة على أعدائهم وأفادت بشكل غير مباشر في حماية الشواطيء المغربية من الاطماع الخارجية

وابتداء من هذا العهد انقلب الحال وأخذ عدد السكان في ازدياد ، والعمران في استفحال

ولما اشرقت شمس الدولة العلوية ، وأعاد السلطان المولى رشيد الامن والسكينة الى نصابهما بالمنطقة انصب اهتمامه على القصبة لاهميتها الاستراتيجية وكان استمرار القرصنة من الدواعي القوية للتحصيـــن

---

129) هو المجاهد الكبير سيدي محمد العياشي من تلاميذ الشيخ سيدي عبد الله بن حسون السلاسي دفين سلا وهو الذي اشار عليه بالجهاد فامتثل الامر وجاهد في كل من شواطيء دكالة والشاوية وطنجة وسلا والمهدية وجابه الدلائيين الذين كانوا سبب ضعفه فالتجا الى قبيلة الخلط فقتلوه وقطعوا راسه ودفن شلوه بروضـــة الشيخ ابي الشتاء في 19 محرم 1051 هـ

130) الدلائنيون أسرة عريقة نشأت في احضان العلم والدين أولهم ابو بكر محمد بن سعيد مؤسس زاويتهم في الدلاء توفي سنة 1021 وخلفه ولده محمد بن ابي بكر مات سنة 1046 فخلفه ولده محمد بن محمد بن ابي بكر وهو الملقب بمحمد الحاج وهـــو الذي انغمر في السياسة واستولى على الدلاء وما جاورها ودخلت في حكمه فاس ومكناس والرباط وخلع طاعة السلطان محمد الشيخ الثالث بن زيدان بن احمـــد المنصور الذهبي فلما كانت ايام مولاي رشيد العلوي طردهم من فاس وتبعهم الى عقر دارهم وحملهم الى فاس وذلك سنة 1079 هـ .

والترميم والتشييد واشتدت الحاجة الى تعزيز الثغور وتجديد الاسطول بترميم القصبة من جديد ، وبناء السور المحيط بحديقة الاودية ، والقصر الجديد المعروف بقصبة مولاي رشيد بظاهر العلو (131)

وكان يرابط في عهده بقصبة الرباط حامية مؤلفه من 300 جندي أضيف اليهم العبيد في أيام السلطان المولى اسماعيل الذي شيد الدار التي تضم المتحف مع مرافقها ، وأوقف ربع الشابل على مساجد العدوتين .

وقد سمت همة السلطان سيدي محمد بن عبد الله الى تشييد مدينة جديدة في أكدال وأسس القصر الملكي وتجاوزت الحاضرة العلويـــة السور الاندلسي واستحالت الى حضرة سلطانية مثل فاس ومكناس، لاسيما في أيام المولى عبد الرحمن الذي صارت المراسيم الديبلوماسية تقام في فنائه وصار ممثلو الدول يقدمون أوراق اعتمادهم بالرباط وفي هذا العهد وبعده أصبح الملوك العلويون يواصلون مقامهم بالرباط واستكثر الناس من بناء المنازل الجميلة وعم الرخاء واقتباس العادات الحضرية بسبب الاحتكاك بالاجانب ، ومزاولة التجارة مع الخارج ، وتفتح الافكار للجديد من الحضارات التي بدأت تغزو العالم

ووسع السلطان المولى سليمان معالم المدينة ببناء القصر الملكـــي بالقبيبات دار البحر (132) والجامع العظيم المعروف بجامع مولاي سليمان بالسويقة ، وجامع الجزارين بشارع القناصل ، ويعرف الآن بجامع السوق ، وجامع القبة أمام دار مولاي رشيد بحمام العلو وأمر بتجديد باب شالة في السور الاندلسي ، كما جدد باب الاحد في السور الموحدي

---

131) وتعرف بالقشلة ودار البارود وما سميت بالقشلة الا بعد ان احدث السلطـــان الحسن الاول فيها العسكر وخصصت بعد ذلك لفرقة بوليس الرباط الى ان جعلت بعد الاحتلال من سجون الرباط الى الان

132) هو الذي يقوم فيه المستشفى العسكـري

وقام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان باحداث بنايات فخمة غيرت جذريا جانبا كبيرا من المدينة ، أهمها القصر الجديد في أكدال على أنقاض القديم (133) وهو القصر الملكي الحالي الذي أحدث فيــــه السلطان المقدس الحسن الاول زيادات من جهة الضريح العبدلاوي ، وشيد فيه عدة قباب وقصور ومن بناء سيدي محمد بن عبد الرحمان الســور المحيط بالمشور ، وتجديد معالم جامعي السنة وأهل فاس

وفي عهد السلطان الحسن الاول بني البرج الكبير خارج باب العلو على شاطيء المحيط ففي سنة 1886 نال السفير الالماني الكونت طاطنباخ نيابة عن معامل كروب موافقة المخزن على بناء برج عصري يكون القصد منه حماية مصب وادي أبي رقراق وما يليه من الشاطيء بالضفة الجنوبية للمصب ، حيث كان يوجد برج قديم يتوفر على بعض المدافع الحديدية لم تعد وافية بالحاجة ، وفي أوائل يونيه سنة 1888 شرع في عمليات البناء التي انتهت في مارس 1893 وبوشرت كل الاعمال من بناء وجلب مدافــع كروب تحت اشراف السيد عبد الرحمان بن محمد بركاش والمرحـــــوم السيد عبد الخالق فرج محتسب الرباط ، قال المؤرخ أبو جندار « صرف عليه اموالا باهظة وبناه على هندسة غريبة وجلب اليه المدافع من أحدث طراز من ألمانيا »

وفي العهد البائد استولى عليه جيش الاحتلال وأحيط دائما بالاسلاك الشائكة والحرس العسكري الى أن تمكنوا من نقل مدافعه الى جهة غير معروفة وأطلقوا عليه اسم أحد ضباط جيشهم فورت هرفي FORT HERVÉ وبعد تخريبه ألحقوه بالقسم الصحي التابع للمصالح البلدية كمعـــــزل

---

133) قال في الاستقصاء ولما كمل بناؤها أمر السلطان رحمه الله ان يختم فيها فقهاء رباط الفتح صحيح البخاري اولا وفقهاء سلا ثانيا فدخلناها في جملتهم وتقصنا منازلها ومقاعدها فرأينا ماملا أبصارنا حسنا واتقانا وعجيب صنعه وكان الفراغ من بناءها عام 1281 وقيل في وصفها انها من اخوات البديع

للمرضى والمشردين والمجرمين ولا زال البرج ماثلا للعيان وكان اختيار التصميم من طرف السلطات العليا من بين عشرات التصاميم التي خططت البرج ، كما كان في نية المخزن احداث حصن مماثل في الضفة الشمالية المصب ولكن الظروف التي اشتد ضغطها حالت دون ذلك

وفي عهد محرر المغرب جلالة المغفور له محمد الخامس صار القصر زينة المغرب وحلية العصر اجتمع فيه من ضروب الفن الرفيع وجمال الهندسة المغربية ما يحير الالبـاب وعلى بعد 10 كيلوميترات من مدينة الرباط أنشأ قصر دار السلام على شكل فريد في بابه ، جعل منـه منتزها صيفيا للاستجمام ، ولاستقبال أعاظم الرجال من ملوك ورؤسـاء وزعماء ، واقامة الاحتفالات الملكية التي كان يشارك فيها كثير من أفراد الشعب على مختلف مستوياتهم وشكله يدل على عبقرية متناهية فـي الذوق والحساسية وهو من أجمل ما بناه الملوك

وفي عهده الزاهر شيدت الجامعات ، والمعاهد والكليات ، والمستشفيات والمساجد وعبدت الطرق ومدت الجسور وبنيت المدارس والادارات والابناك والمعامل والملاعب مما جعل مدينة الرباط تحتل الصدارة في جميـع الميادين



الفصل السادس



آثار الرباط

آثار الرباط

الرباط غنية بآثارها التاريخية وربما كانت في طليعة المدن الاثرية التي تحتوي على آثار الدول التي مرت بالمغرب وزيارة استطلاعية لقلعة شالة تميط اللثام عما ذكرناه

ولا نبالغ اذا قلنا ان مدينة رباط الفتح كلها متحف زاخر بالروائع والتحف التي أهداها التاريخ للانسانية على العموم ، وللامة المغربية على الخصوص ففيه نجد آثار الانسان الاول الموغل في مجاهل التاريخ ، وفيها بقية من آثار الرومان والبربر ، ودول الاسلام من الموحدين والمرينيين واخيرا روائع ملوكنا العلويين الميامين أدامهم الله ذخرا للبلاد والعباد

وسنخص بعض الآثار بالبيان ، كالاسوار والابواب والمساجد الجامعة والقصور الملوكية ، تاركين للمتصفح مؤنة الاطلاع على بقية الآثار المتناثرة في ثنايا الكتاب



الاسوار

يمتد السور الموحدي الذي بناه يعقوب المنصور على طول 5263 ميترا غربي وجنوبي المدينة ، ويبلغ عرضه احيانا ميترين اثنين ونصف ميتر ويصل علوه الى عشرة أمتار ويوجد فوق السور طريق ممهد للحراس يدعمه حاجز قوي فيه ثغرات للمراقبة في بعض المواضع

ويشتمل هذا السور على أربعة وسبعين برجا منها سبعة تمتد من برج الصراط الى باب العلو ، وتسعة الى باب الاحد « او الحد » ، وخمسة وعشرون الى باب الرواح ، وسبعة على طول ثكنة الحرس الملكي واربعة وعشرون الى الجهة المطلة على نهر أبي رقراق قرب المكان الذي كان يعرف بالمنزه .

تبتديء هذه الاسوار من برج الصراط الى جهة الجنوب الشرقي ثـم تنحرف نحو الشمال الى أن تصل للوادي قريبا من قلعة شالة ويفصل بينهما السور الاندلسي الممتد من باب الاحد الى برج سيدي مخلوف المطل على الوادي ، احدثه الاندلسيون أوائل القرن الحادي عشر ويتصـــل بالسور الموحدي من جهة المحيط سور أشبار (134) يبتديء من بـــرج الصراط الى فم الوادي قبالة قصبة الاودية أما السور الخارجي (135) فيبتديء من البحر على بعد ألف وسبعمائة واربعين ميترا من الجنوب الغربي لبرج الصراط ويمتد نحو الجنوب الشرقي ثم ينعطف الى ان يتصـــل بسور الموحدين على بعد خمسمائة ميتر من دار السلطان التي يحيط بها ســور أكــدال الكبيــر (136)

والمساحة الداخلية المحاطة بالاسوار الموحدية تبلغ 418 هكتارا ينفذ الداخل اليها من خمسة ابواب . وهي من جهة الغرب باب العلو ، وباب الحد ، وباب الرواح والباب المحادية للقصر الملكي ومن جهة الجنوب باب زعير وما زال السور الموحدي متينا قوي الدعائم رغم مرور ثمانية قرون على تأسيسه حيث تم بناؤه حوالي عام 593 / 1197 وهو يمتد على طول 5263 ميترا كما سلف (137)

---

134) هو السور المطل على للبحر ومن ثغراته تصوب فوهات المدافع الى المحيط وهو من بناء السلطان المولى عبد الرحمن وفي وسطه بنى برج الدار على المحيط عام 1824 حسبما رواه المؤرخ محمد بن علي الدكالي

135) السور العلوي الخارجي هذا يبلغ طوله 4.330 ميترا وهو من بناء السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمـن

136) هـو السور الذي يمتد جانب منه على شارع الدستور من باب زعير الى قرب باب المصلى وقد شرع فيه بابان حديثان متجاوران ينفذ منهما الزائر الى المشور.

137) اما السور الرشيدي فانه يحادي حديقة الاوداية وساحة سوق الغزل على طول 131.6 م يضم المتحف والحديقة وتخترقه اربعة ابواب معززة ببرجين مـــن الطابية وقد نقشت على جانب من البرج خمسة رسوم تمثل المراكب بصواريها واشرعتها ومجاديفها الاثنى عشر في كلتا الجهتين وهذه النقوش اشبه بالرسوم المنحوتة على ابواب السور الموحدي بالرباط أو في شالـــة .

الابـــواب

باب القصبة الشهير بالساباط وقد سبق وصفه عند الكلام علـى تاريخ القصبة

1) وباب العلو ويبعد عن البحر بمسافة 544 ميترا ويشكل هيكلا ضخما طوله 19.2 ، وعمقه 20.92 وعلوه 10.85 وتعلوه أبراج ناتئة ، ونقشت على جدرانه كتابات في صلب الحجارة المنحوتة مع صور سيف وخناجر وصورة قوس يحمل سهما مصوبا نحو الاعلى في روعـة ما عليهـا من مزيـد

2) وباب الحد وهو لا يختلف كثيرا عن باب العلو ، ويقع على بعـد 505أمتار منه وقد تجدد بناؤه عام 1229 في عهد السلطان مولاي سليمـــــان

3) ويقع باب الرواح على مسافة 1021 ميترا جنوبي باب الحد ، وهو أفخم وأعظم أبواب السور الموحدي وأكثرها تنميقا وأروعها جمالا

يبلغ ارتفاعه 12 ميترا وعرضه 28 ميترا وعمقه 26.93 وعلى الباب كتابة بالخط الكوفي في روعة بالغة وانسجام مع ما حولها من النقوش البـديعـــــة

4) ويقع الباب الكائن داخل القصر الملكي على 880 ميترا من باب الرواح ويبلغ 21.21 عرضا و 22.80 عمقا

5) ويقع باب زعير (138) على الطريق المؤدية الى اقليم زعير ، ويبلغ علوه 12.59 وعمقه 18.24 ويشبه في تخطيطه باب العلو

تشكل هذه المجموعة المتكاملة من الابواب والابراج والاسوار روائع خالدة توحي للزائر بالفخامة والابداع ، وللمواطن بالفخر والاعتزاز

---

138) يسميه الضعيف بباب الحديد بالحـاء المهملـــــة .

أبواب السور الاندلسي



- باب الجديد أو باب التبن ، ذكر الضعيف في تاريخه انه تقوس في ثاني محرم الحرام فاتح عام 1205 ، وقد اختفت معالمه بالهدم مع دار البارود عندما قامت المصالح البلدية بتوسيع السوق المركزي الحالي
- وباب البويبة المؤدي الى جامع مولاي سليمان
- وباب شالة المؤدي الى الجامع الكبير ومجموعة مدارس محمد الخامس ، جدده السلطان مولاي سليمان في 16 جمادى الثانية عام 1228 (139)

وفي العهد الحديث أوائل الاحتلال فتح باب التيليغراف المؤدي الى وقاصة والملاح وشارع القناصل وسمي بذلك لمجاورته لمركز اللاسلكي قبل بناية البريد الجديدة .

- وباب الملاح الجديد قرب برج سيدي مخلوف ، حيث يوجد بداخل السور السوق المعروف للفواكه والخضروات والاسماك والطيور



أبواب السور العلوي

فتحت فيه أربعة أبواب باب القبيبات من جهة البحر ، ولا زال قائما باب تامسنا أو باب تمارة في شارع تمارة ، اختفت معالمه بفعل ظروف التطور المعماري باب مراكش أو باب العدير البراني وما زال

---

139) يظهر من النص الذي نقله ابو جندار عن الضعيف ان البناء الاول كان سنة 1205 وذلك انه في يوم الاثنين الثاني من جمادى الاولى وقع جدال بين القائد محمد السويسي والناظر محمد فرج على بناء شالة حيث أراد القائد السويسي ابقاءه على ما كان عليه الى أن صدرت اليه الاوامر من كاتب السلطان وعامله محمد السلاوي البخاري وكان الشروع في بناءه في 16 جمادى الاولى عام 1205 . انتهى المراد منه بتصرف بوجندار في مقدمة الفتح ص 132 .

قائما الى الآن خلف حديقة التجـارب وباب المصلى لقربه من المصلى الحـــالــــي

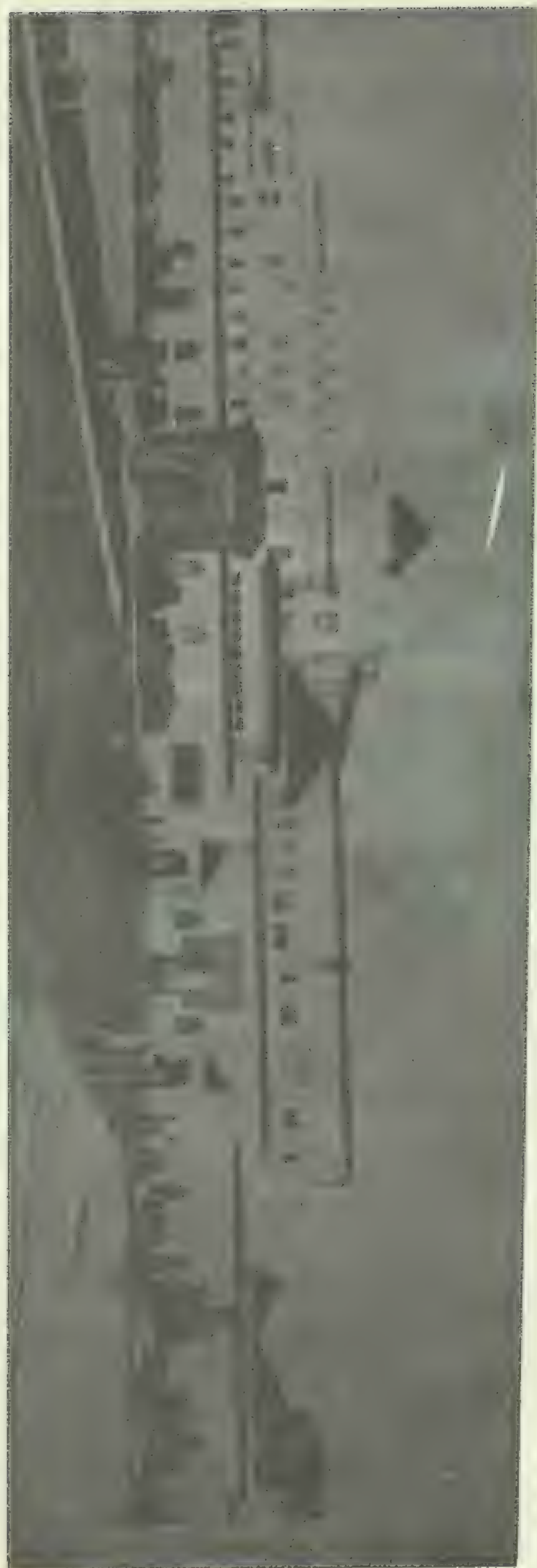
ومن الابواب المحدثة ما ذكره الضعيف في تاريخه قال « وفي يوم الاربعاء 29 قعدة عام 1204 تقوس باب البحر من ناحية سلا اهـ.

وباب القنانيط او باب البحر قرب ساحة سوق الغزل وقد انهار في عهد المستضيء بالله واختفت معالمه نهائيا

ومن الابواب المحدثة التي اقتضاها تطور الحاجيات باب يسمـى « تقويسة الراعي يحمل كتابات يرجع عهدها الى السلطان سيدي محمد ابن عبد الله لـم يبق لها أثـر وباب آخر يعرف بتقويسة الطرافـــه « الاسكافيين » جدد في عهد السلطان مولاي عبد العزيز عام 1315 هـ ويؤدي الى شارع الجزاء ، هدم بعد الاستقلال لتسهيل حركة المـرور

ومن الابواب الثانوية الحديثة باب الجزاء على طريق العلو أمام حـي الاوبيرة وقد هدم بعد الاستقلال لتسهيل حركة المرور وباب سيدي فاتح على طرق العلو كذلك . وباب درب مولاي عبد الله كذلك ، وباب سيدي محمد الضاوي على ساحة سوق الغزل وليس في هذه الابواب الاخيرة كلها ما يستثير الاهتمام الفنـــي





الـدور الملوكيـة

كان عدد الدور الملوكية في اوائل الامر يناسب مكانة الرباط ، منها لعبد المومن ويعقوب المنصور وسادات الموحدين ما لا يزال معروفا بهذا الاسم في بعض الرسوم الاصلية ، كما صرح بذلك المؤرخ بوجندار وكان آخر ما يعرف منها يجاوز العشرة بعضها ما زال شامخا يضفى علـى العاصمة حلة قشيبة من الروعة والمهابة ، وبعضها اندثر ولم يعد لـــه اثـر ونذكر منها ما وقفنا عليه أو سمعنا عنه

1 ـ دار بركة بالقصبة ، ويقال بانها جزء من دار المهدي بن تومرت مؤسس القصبة ومكانها معروف لحد الآن ، ولكن معالمها تغيرت بما أدخل عليها من التبديل والهدم ويعتقد البعض أن اسم البركة مستوحي من لفظ البركة المعروف استعمالها لدى الموحدين وهذه الدار تتكون من طبقتين، عليا وبجانبها سفلى لان طبيعة المكان كانت في الاصل منحدرة ولعل الاختيار الذي وقع عليها رغم الانحدار ما تمتاز به من موقع رائع مشرف على الوادي والولجة وهضبة حسان . وكانت في أيام الاحتلال مسكنا لاحـد المسؤولين الاجانب ، وأظنها الآن تابعة لمصلحة الآثـار

2 ـ قصر عبد المومن وكان واقعا في الجهة المقابلة للمسجـــد ومسامتا لـه وقد اندرست آثاره في الحروب التي نشبت بين الموحدين والمرينيين وقد حكى المؤرخ العلامة بنعبد الله أن السلطان سيدي محمد بنعبد الله لما دعم القصبة من جديد ورمم ما تهدم منها وبنى برج صقالة ابن عائشة على يد احد الاعلاج الانجليز وبرج الصراط الغى الممـر المغطى بين القصبة والقصر الجديد وهدم القصر الموحدي الذي احتفظ الى ذلك العهد بجميع مقوماته

3 ـ دار العادل بالقصبة أيضا وهي من بناء السلطان أبي محمد عبد الله بن يعقوب الموحدي المعروف بالعادل وقد اندثرت ولا يعرف لهـا محل بالقصبة وانشد في حقها صاحب الجـــذوة :

يـا عاذلـي دع عنك عذل العـاذل

واخلع عذارك في الحبيب الواصل

واذا ذكرت عشيـة بمحاسـن

فاذكر عشايانا بدار العادل (140)

4 ـ الدار الاسماعيلية بالمدرسة جوار قصبة الاودية . وقد بناها لولده وخليفته على العدوتين المولى أحمد الذهبي

5 ـ دار سيدي محمد بن عبد الله باكدال وهي أصل القصـــر العـامـــر

6 ـ دار سعيد بن صالح ، اندثرت وبني على انقاضها ما كان يعرف بالاقامة العامة وصار مقرا للسفارة الفرنسية الآن وسعيد بن صالح هو قائد رحى بخاري من كبار قواد سيدي محمد بن عبد الله ، تولى قيادة جيش البواخر بالرباط ، أشار له الزياني في كتابيه الترجمان والبستان

7 ـ دار مولاي اليزيد بالقصبة . قالوا ولاكنه هم وما أتم

8 ـ الدار الملوكية بالقبيبات بشاطيء البحر وتضم الآن مستشفى عسكريا ، وهي من بناء السلطان أبي الربيع المولى سليمان

9 ـ دار مولاي رشيد بن مولاي عبد الرحمن أمير المومنين داخـــل المدينة بشارع سيدي فاتح ، خصص جزء منها لاقامة مستشفى للعموم ، والباقي جعل منه مدرسة للفتيات ، ومعهد لتلقين الموسيقى الاندلسية

10 ـ دار السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن المجاورة لدار السلطان سيدي محمد بن عبد الله كان الفراغ من بنائها سنة 1281 وببناء هذه الدار صارت الرباط تعتبر العاصمة الثالثة ، واستقر بها قناصل الدول ، وصارت علاقات ملوكهم تتم بواسطة الرباط .

11 ـ دار السلام بناء محرر المغرب سيدي محمد الخامس قدس الله روحه ، وهي آية الآيات في الرونق والبهاء ، بناها على طراز عجيب لم يتقدم له نظير يحير الالباب ، وسط غابة كثيفة خضراء ، على بعد نحو 10 كيلو ميترات من الرباط ، وقد سبقت الاشارة اليها

---

140) نقلـه المؤرخ ابو جندار في مقدمة الفتـح

مساجد الرباط



كانت الرباط تضم أزيد من خمسين مسجدا و ثلاثين زاوية في مطلع هذا القرن ، أسس معظمها في العهد العلوي وأقدم هذه المساجد هو جامع القصبة العتيق من آثار عبد المومن ، وقد بسطنا الكلام عليه عند ذكر القصبة ، ثم مسجد حسان من بناء يعقوب المنصور ، وسنعقد له فصلا خاصا ، ثم الجامع الكبير ، بناه السلطان عبد الحق المريني على الارجح ، وسياتي الكلام عليه مفصلا ثم جامع السنة ، أقامه السلطان سيدي محمد بن عبد الله فيما شيده من المساجد ، كجامع أهل فاس ، وأهل سوس ، وأهل مراكش ثم جامع مولاي سليمان وسنخص منها بالذكر مسجد حسان ، والجامع الكبير ، وجامع السنة ، لما للاولين من مزايا السبق وعظمة التاريخ وفخامة البناء ، ولما للاخير ، زيادة على ما ذكر من اسباب الانبعاث لمدينة الفتح والفاتحين

ويجدر بنا قبل الشروع في المرام ان نتصدى لبيان الخطا المتعمد الذي افتراه فريق ممن يدعون المنهجية والبحث النزيه في شان تصميم المساجد ، ولكن يشم من مقاصدهم وأهدافهم تعمد التنقيص من مقدساتنا ، وانكار ما للعبقرية الاسلامية والمغربية من أصالة ونبوغ ، ووصفها بالجمود والتحجر والعقم ، وارجاع كل اثر معماري او عنصر زخرفي مغربي الى التاثيرات الاندلسية ذات الاصل البيزنطي

والواقع الذي لا مرية فيه ان المسلمين استمدوا تصميم المساجد من تخطيط مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الذي شيده بالمدينة المنورة اثر هجرته اليها وكان المسجد مربع التخطيط ، وهو عبارة عن فناء محاط بجدران اربعة ، اساسها من الحجر وقوامها من الطين ، وقد اقام النبي الكريم سقيفة في مسجده جهة الشمال صوب بيت المقدس قبلة المسلمين الاولى ولما امره الله بان يتجه في صلاته الى بيت الله الحرام أقام سقيفة ثانية ناحية الجنوب وهكذا أصبح لمسجد المدينة سقيفتان ،

وبين السقيفتين صحن مكشوف واقتضت سنة التطور واتقاء عوارض الطبيعة الوصل بين السقيفتين بظلتين احداهما على اليمين والاخرى على اليسار واصبح المسجد ينكون من اربعة أروقة تحف بالصحن المربع المكشوف وعلى هذا الاساس من التصميم جاء تخطيط المساجد الاولى في صدر الاسلام ، ولا زالت المساجد تشيد من رواق للمحراب وصحن في الوسط واروقة أربعة تحف بهذا الفناء المكشوف

وكانت عمارة المساجد الاولى في صدر الاسلام حيث شيدت جميعها على مثال المسجد النبوي الشريف بالمدينة الذي تميز بالبساطة والبعد عن الترف ليتفق مع بساطة الدين وتقشف المومنين ، ولكن التطـــــور والابتكار والرخاء الذي عم الدولة الاسلامية سار بعمارة المساجد نحـــو الكمال والازدهار ، نظرا لمكانة بيوت الله وعظم شانها في نفوس المسلمين فهي أفضل مكان واشرفه على ظهر الارض من حيث يذكر فيها اسم الله ، وتتلى آيات كتابه الحكيم ، وتدرس تعاليم الدين وأصول الشريعة الغراء ، وغير ذلك من علوم الدنيا والدين . وعلى نهج مسجد الرسول سار المسلمون في سياسة تعمير المساجد تقربا الى الله وطلبا لرضوانه

وقد أنكر جماعة من الباحثين الاجانب على الرسول بناء مسجـــــد بالمدينة ، حتى انكروا ذلك عليه وهو الذي تلقى وحي الله « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخـر » انهم بمحاولتهم المغرضة يدعون الى انكار المصدر والينبوع الاول لعمارة المساجد الاسلامية حيـــث يجعلون مسجد القيروان مدينا للكنيسة بتخطيطه . ويرون أن البلاط الاوسط في مساجد قرطبة وتازة وتينمل ومراكش واشبيلية والرباط وفاس ، جعلت

---

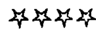
141) كتيب مساجد الشرق طرزها الاسلامية واصولها المعمارية مطبعة حكومـــة الكـويــــت .

لنظام مساجد المغرب والاندلس نظاما خاصا هو النظام الصليبي . ولا حاجة الى ذكر ترهاتهم في هذا الموضوع الجليل الذي يسمو بنفسه عن عبث العـابثيـــن

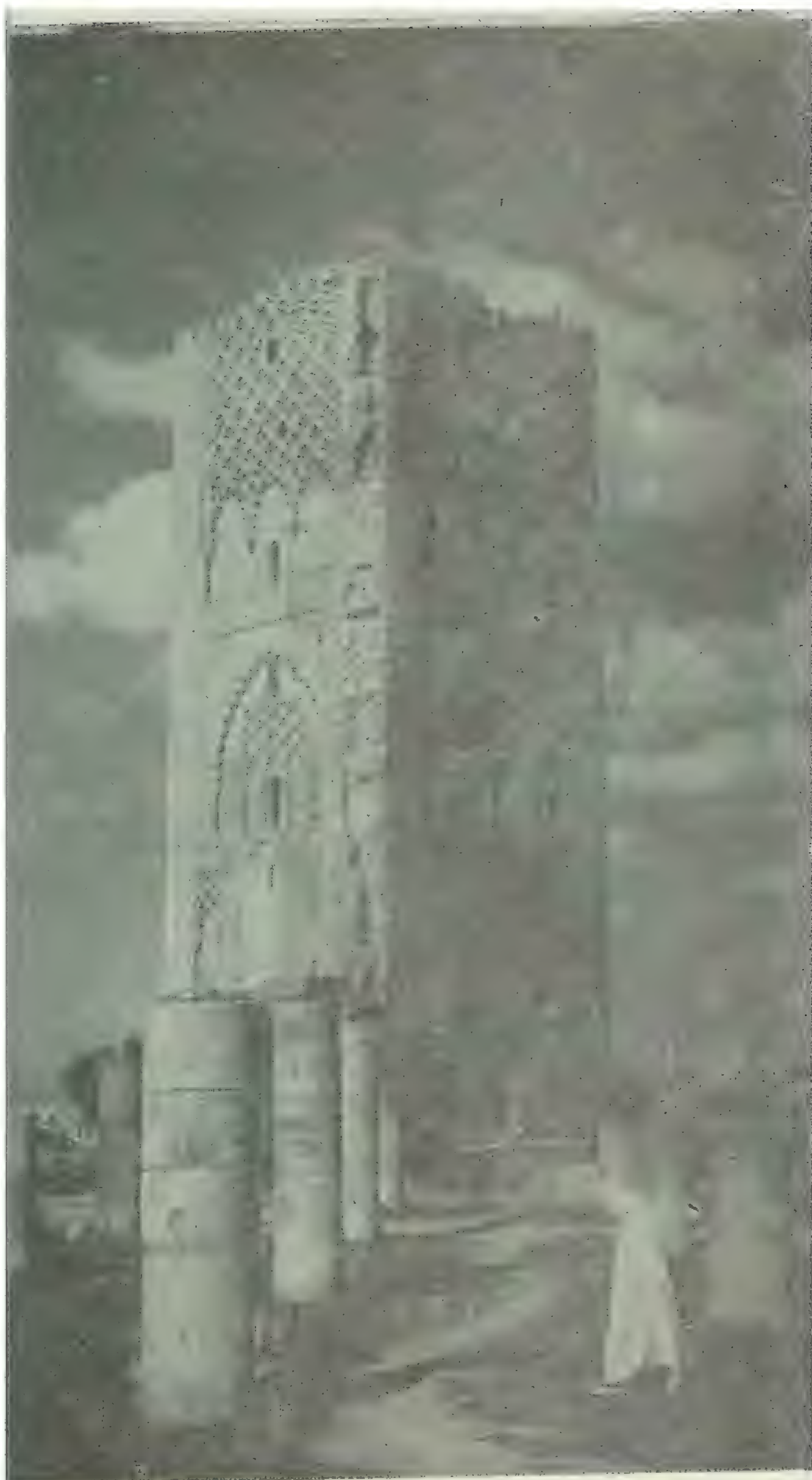
لقد كان مسجد الرسول بالمدينة بالصحن الفسيح وبيت الصلاة وجدار القبلة ثم المجنبات مصدر تخطيط عمارة المساجد في الشرق والغرب وهو نفس التخطيط الذي تلتزم به جميع مساجد المغرب العربي دون استثناء حتـى يومنا هــذا

وتخطيط المسجد الاسلامي المشتمل على صحن فسيح مكشوف ـ على عكس سقف الكنيسة المسقوف ـ ينفتح عليه بيت للصلاة يزيد عرضه على عمقه تحقيقا للاضاءة والتهوية الكافيتين لاستحضار الذهن وانعاش الفكر ، تمشيا مع فلسفة العقيدة ، يبتعد كل البعد عن المحاولات المغرضة التـى سعـى وراءهـا المستشرقـون لاثبـات انتقاله مـن تخطيـط الكنائـــس (142)

وفي كثير من الاحيان يبلغ الخلط بين الامور المتمايزة نفس النتائج التي يبلغها الجهل أو تعمد التضليل واذا جاز لنا التنبيه على بطلان هذه النظرية المفتعلة ، نظرية التصميم ، فاننا لا نتعداها الى غيرهـــا تاركين للمتخصصين من أهل الفن التعقيب على ما يرونه زائفا



142) مقتبس من دراسة الدكتـور عثمان اسماعيل دعوة الحق ص 86 عـدد 9 ـ السنــــة 17 .



مسجـــد حســان

ان هذا المسجد العظيم من المآثر الخالدة لدولة الموحدين ، وهو رمز حي لعظمتها وفخامتها بناه يعقوب المنصور الذي أبدع في حقل العمران ابداعا لا يجارى ، ويقع جامع حسان شمالي شرق مدينة الرباط على علو 30 ميترا فوق البحر وهو المسجد الثاني الذي بناه الموحدون بالرباط بعد مسجد القصبه العتيق

ويدل اختيار هذا المسجد العظيم في مدينة الرباط على ما كانت تجيش به نفوس الموحدين الذين كانوا يهيمون بموقع الرباط وسلا من اتخاد الرباط قاعدة تخلف غيرها من الحواضر ، وجعل مسجدها أكبر مساجـــد المغـــرب

وأضيف المسجد الى حسان تذكارا لاسم بانيه (143) ، على أن هذه النسبة يحيط بها كثير من الغموض ، ولكن أرجح الرويات تذكر أن حسان مهندس أندلسي (144) ، وضع تصميم المسجد والمنار ، وأشرف على ما شيد منه . وليس هناك ما يؤكد أن هذا المهندس شارك في تصميم مساجد أخـرى بالمغرب ويوجد ضريح حسان هذا في مقبرة صغيرة قـــرب المسجـــد (145)

وتتجاوز مساحة المسجد 25523 م حيث يبلغ طوله 183 م وعرضه 139.40 م كما تبلغ مساحة قاعة الصلاة وحدها أزيد من 1932 ميترا مربعا أي 139 × 139 . وعدد أعمدته أربعمائة ، محيط السارية منها 80 سنتيمترا وعدد أبوابه ستة عشر بابا ومحرابه مربع الشكل ، ثلاثة امتار طولا في مثلها عرضا ومنارته أقرب عهدا من منارة الكتبية ومنارة جامـــع اشبيلية ، وهي مسامتة للمحراب في خط مستقيم ، ويبلغ كل جانب من

---

143 المؤرخ ابو جندار ص 108 مقدمة الفتح ط. الرباط

144) الدكتور ابراهيم حركات دعوة الحق ص 39 عدد 1 ـ سنة 6 .

145) نشـرة المجلس البلدي للرباط رقم 74/1

16 ميترا عرضا كما يبلغ ارتفاعه 65 ميترا وهذا العلو يجعل من منارة حسان اعظم منارة في المغرب ، وهي مبنيه بالصخور الصلدة المنضدة ببالغ العنايه والبراعه ويصعد اليها بغير درج وتصعد الدواب بجميع ما يحتاج اليه أعلاه كما قال صاحب المعجب

ويبلغ عرض جدار المنار ميترين اثنين ونصفا ، كما يبلغ عـــرض السور ميترا ونصفا ، وعلوه 9 أمتار ، وكانت تحاذي سور القبلة عدة أبراج لتزينه وحفظ التوازن في آن واحد وكان المحراب منحرفا بعض الشيء عن القبلة وتختلف زخرفه تيجان الاعمدة فبعضها يشبه تيجان أعمدة قرطبة والباقي يشابه تيجان باب الرواح بالرباط وكانت الابواب فـــي غاية الضخامة يتجاوز علوها عشرة أمتـــار

ويمتد الصحن الكبير على مسافة 139 × 139 ، وتحاذيه أروقة تمتد على جانب سور الجامع من الشرق الى الغرب ، كما يمتد رواق مزدوج من جهة الجنوب ولا يوجد أثر لمرافق أخرى داخل المسجد أو خارجه ، غير أن مخبأ المنبر كان ما يزال ظاهرا الى وقت قريب

ويبلغ مجموع أساكيب بيت الصلاة 18 ، ثلاثة في الجنوب ، وسبعة في الشمال ، تحتوي على 19 بلاطة أما الاساكيب الوسطى التي يجاورها صحنان صغيران فتشتمل على بلاطة بقطع النظر عن الاروقة الجانبية

ونجهل الطريقة التي كانت تمد الجامع بالماء بصرف النظر عن الآبار الموجودة بالصحن الكبير غير أنه من الثابت أن عين ماء غبولة كانـــت تمد المدينة كلها بالماء وبالمسجد آبار داخلية لحفظ المياه وتصريفها ولا يوجد أي أثر لفسقيات الوضوء في وسط الجامع (146) . وهنا نتساءل متى وقع الشروع في بناء هذا المسجد ؟ وهل تم بناؤه وتسقيفه ؟ ذلك ما يصعب تحديده والبت فيه وسنتابع نصوص المؤرخين الذين تعرضوا للموضـــوع فيما يلـــي

---

146) الدكتور حركات المصدر السابق

يقول المؤرخ الثقـة عبد الواحد المراكشي في المعجـب (147) ان الاعمال في المسجد قد توبعت بدون انقطاع طيلة ملك أبي يوسف ، ونص كلامه « فلم يزل العمل فيها وفي مسجدها المذكور مدة ولايته الى سنة 594 وبذلك فهو يرجع تاسيس المسجد الى سنة 580 هـ/1184 م بينما يدعي صاحب القرطاس أن يعقوب المنصور أمر ببنائه في الوقت الذي ذهب فيه للاندلس للقيام بمعركة الارك أي في سنة 590 هـ/1194 م ، ونص كلامه « وكان لما جاز الى الاندلس لغزوةالارك المذكورة أمر ببناء مدينة رباط الفتح من أرض سلا وببناء جامع حسان ومناره »

وينتج عن هذا حسب رأي بعض الباحثين الاجانب (148) ان المسجد والصومعة منبثقان عن وحيين مختلفين ، وأن انجاز المسجد سابق على اول حملة قام بها يعقوب المنصور لاسبانيا ، بينما بناء الصومعة لاحق بـهـــا .

ويميل الضابط (ديولافوا) الى الاعتقاد بأن المسجد قد شرع فيه حوالي سنة 585 ، أي قبل الغزوة الاولى وفي هذه الحالة يكون البناء قد استمر عشر سنين ، من سنة 585 الى سنة 595 أما المنارة فانه يرى ارجاع الشروع فيها الى سنة 592 ، وهي السنة التي تلت انتصار الارك

ويبقى علينا أن نرجع للبحث عن اتمام المسجد وتسقيفه ، وهـــل انقطعت الاشغال بموت يعقوب المنصور يقول صاحب المعجب (149) « ولم يتم هذا المسجد الى اليوم ، لان العمل ارتفع عنه بموت أبي يوسف ولم يعمل فيه محمد ولا يوسف شيئا وأما المدينة فتمت في حياة أبي يوسف وكملت أسوارها وأبوابها وعمر كثير منها ، ثم خرج من بعد أن رتب أشغال هذه المدينة وجعل عليها من أمناء المصامدة من ينظر في أمر

---

147) ص 265 ـ 266 ط. القاهرة

148) الضابط ديولافوا Dieulafoy وهو الذي باشر التنقيبات الاولى 1914 بمشاركة زوجتـــه

149) ط. القاهرة ص 265 ـ 266

نفقاتها وما يصلحها ، فلم يزل العمل فيها وفي مسجدها المذكور طول مدة ولايته الى سنة 594 » ومن هذا يتبادر الى الذهن أن البناء توقف بموت المنصور ، وأنه لا ابنه ولا حفيده أتم البناء ، وأن المسجد كان غير تام سنة 621 عندما كتب المراكشي كتابه

وبعد مائة سنة أي في عام 1326/726 م يخبرنا مؤلف (150) روض القرطاس ، من خلال تعداده لمنجزات المنصور ، أن مسجد حسان وصومعته لم يتما « وفي سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بنى رباط الفتح وتم سوره وركبت أبوابه وفيها بنى جامع حسان ومناره فلم يتم »

وبمثل هذه الاخبار يزودنا مؤلف الاستقصا (151) فيقول « وامر ببناء جامع حسان ومناره الاعظم المضروب به المثل في الضخامة وحسن الصنعة ، قالوا ولم يتم بناؤه »

ومن جهة أخرى يرى الضابط (ديولافو) في الدراسة التي قام بها بمسجد حسان بعد الحفريات التي أجراها هناك سنة 1914 (152) أن مسجد حسان قد كمل بناؤه ، ان لم يكن ذلك في حياة العاهل الذي أمر بتشييده فعلى الاقل في عهد خلفائه ، وان البناء قد انتهى الى الغاية المتوخاة منه ويذكر لنا المصادر التي رجع اليها ، فيسمى « تحفة النظار » لابن بطوطة، و « المعجم » لياقوت الحموي ، و « المعجب لعبد الواحد المراكشي ، و « الموازنة بين مالقة وسلا » لابن الخطيب ، و « تاريخ العلويين » لمحمد ابن عبد السلام الضعيف الرباطي ، وكتاب « القطاف » تاريخ الرباط وسلا لمحمد بن علي الدكالي السلاوي و تكوين البلدان لابي الفداء ، و « المغرب المبين » لابن زاكور ، و « روض القرطاس » لابن أبي زرع . و « الروض المعطار » للحميري ، و « الاستقصا » للناصري ، و « نشر

---

150) للشيخ ابي الحسن علي بن عبد الله بن ابي زرع الفاسي - وقيل لابي محمد صالح ابن عبد الحليم للغرناطي ص 154 و 163 ط. فاس

151) للشيخ احمد بن خالد الناصري ج 2 ص 174 ط. دار للكتاب بالبيضاء

152) نشرت هذه الدراسة في للجزء الثامن من مذكرات اكاديمية الكتابات الاثرية والاداب للجميلة وانتقدها بوريلي بما ينم كما في نفسه من تعصب وترجم هذا التحليل الاستاذ الكبير عبد اللطيف ملين واستفدنا منها ما سطرناه باختصار واقتصار .

المثانـــي » و « الاستبصار » .

وعندما يتحدث الدارس عن اتمام مسجد حسان يقول على شكـــل خلاصة « لقد كان بناء المسجد أو على الاصح القلعة المقدسة لرباط الفتح ، وأكروبول معبد النصر على الشكل الذي أعدنا تكوينه عليه من قبل ـ في دراسنه ـ حتى اليوم الذي تحطم فيه محترقا فمنارته البديعة الصنع لم تكن فحسب البرج الذي من أعلاه يلقي المؤذن دعواته الى الصلاة، لقد كان أيضا القلعة القائمة بالحراسة على شاطيء أبي رقراق ، والمتربصة في أفق البحر عودة المراكب الظافرة »

ويعتمد الدارس على فقرة عابرة لابن بطوطة ترفع جميع الشكوك في نظره وتدعم فكرته في كون المسجد قد تم في عهد المنصور ذلك ان الجغرافي المغربي الذي عاد الى وطنه سنة 757 / 1357 م يتحدث علـــى الشكل التالي في (153) تحفة النظار في موصوع مسجد بلخ قال « وخرب هذه المدينة تنكيز اللعين (1153 = 1227 م) وهدم من مسجدها نحو الثلث بسبب كنز ذكر له أنه تحت سارية من سواريه وهو من أحسن مساجد الدنيا وأفسحها . ومسجد رباط الفتح بالمغرب يشبهه في عظم سواريه، ومسجد بلخ أجمـل منه في سوى ذلـك »

يستنتج الدارس من هذه الموازنة أن المسجد المغربي كان وقت زيارة ابن بطوطة له سنة 1357 صرحا تام البنيان ، أي بعد 165 سنة مـــن تـأسيســـه

وينقل لنا ابن عبد المنعم الحميري في الروض المعطار (154) ان هذا المسجد كان يعمل في بنائه سبعمائة أسير من أساري الافرنج وقال في وصفه وهو من أعظم مساجد الاسلام ، وأحسنها شكلا وأفسحها مجالا ، وأنزهها منظـــرا »

---

153) مهذب رحلة ابن بطوطة طبع مصر 1939 ج 1 ص 317

154) الروض المعطار للحميري نشر بروفنصال طبع للقاهرة 1937 وابن عبد المنعم الحميري هذا من أعلام علماء الجغرافيا في العهد المريني .

تدل هذه الاوصاف على أنه كان هناك بناء تام رائق في الشكل جميل في المنظر ولا يتاتى هذا في وصف هياكل المباني التي ينقصها التسقيف والزخـارف

وفي القرن الماضي يؤكد لنا المؤرخ محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي ان المسجد كان لا يزال سليما في عهد المرينيين

وفي الامس القريب يؤكد المؤرخ محمد بن علي الدكالي السلاوي في كتابه « القطاف » (155) ان المسجد تم في حياة يعقوب المنصور نفسه ، ونحن نجهل مستنده في ذلـك

واذا كان العثور على بعض آثار بقايا سقفية ، وصفائح من الرصاص، وأقواس صغيرة من الآجر ، وقطع من الزليج والقرميد تحت الردم ، فـان ذلك لا يدل بالذات على أن المسجد قد سقف فعلا ، ولكنه على كل حال تعرض لاحداث احالته اطلالا خرابا

قال المؤرخ أبو جندار ولم يزل مدة مديدة وهو سالم قائم القوائم الى ايام السعيد الموحدي ففي الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية عند ذكر حوادث سنة 641 أن السعيد الموحدي نقض جامع حسان ، وصنع بخشبه الاجفان ، فكانت مباركة ، فاحرقت بوادي أزمور ه وقد اقتلعت أبوابه الستة عشر التي ركبت في عهد المنصور ، وتوالى السطو والتخريب أيام المرينيين ثم السعديين لا على الجامع فقط بل علـى المدينـة كلهـا

ولابد من الاعتراف بتعكير رواية الذخيرة السنية المجهولة المؤلف لباقي الروايات المتاخرة القائلة بتمام بناء المسجد اللهم الا اذا كانت

---

155) تويرخ الرباط وسلا مخطوط بالخزانة العامة ص 105 .

الرواية تهدف الى الصاق تهمة التخريب بالموحدين بينما قام غيرهم بما هم برآء منه ويخامرنا هذا الشك لما يعلمه الجميع من رد فعـــل المرينيين لمن سبقهم من الموحدين ومحاولة المشايعين لهم طمـــس ماثرهم ومحو مفاخرهم ويرى المؤرخ أبو جندار أن من بين أسباب خراب جامع حسان اشتماله على خشب الارز الجيد المتين الذي أغرى اللصوص الاغمار بالنهب والاختلاس وقد جاء في تاريخ الضعيف أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله انتزع لاهل العدوتين الرباط وسلا سفينة عظيمة كانوا يجلبون بها الميرة لانفسهم من خارج ، صنعوها أيام الفترة مـــن خشب جامع حسان وتعرف بسفينة الكراكجية وكان ذلك بتاريخ 1165

ومن اسباب الخراب الحريق الهائل المشاهد مصحوبا مع سقـــوط الاعمدة تارة بازائها وتارة فوقها او تحتها ، حتى انه ليشاهد اثر الحريق في بعض احجار تلك الاعمدة الرخامية ، صيرها هشة رخوة ، وطبخ مـا سواها من المواد الحجرية التي فتتها تفتيتا ، وصير الخشب العظيم الغليظ فحما ورمادا ، ولولا حفظ بقية منه تحت الردم ما شوهد له أثر (156)

ومنها الزلزال العظيم الذي سقطت به عمـد الجامع وسواريه وطرف من صومعته ، ويدل لبعضه ما جاء مقيدا بكناشة الفقيه المؤرخ السيد احمد عاشور الرباطي قال « وفي يوم السبت 26 محرم الحرام عام 1169 وقعت زلزلة عظيمة انشقت بها الديار ، ومات البعض من الناس ، وفاض البحر على اطراف البلد ، حتى كاد يدخل مدينة الرباط في الساعة الرابعة باعتبار السوائع الشمسية ، وذلك ضحى اليوم المذكور ، وطاح طرف من صومعة حسان ، وكان الامر عظيما في هذا اليوم ، وحصل لطف الله بعباده » انتهى.

وياتي بعد الزلزال والحريق والصواعق والنهب عوامل تقلبات الجو

والامطار ورطوبه البحر ولهذا كله أثره السيء ولولا هذه المتانة التـــي تميز بها المنار لتداعى على أثر الزلزال (157)

وعبر الكاتب جبرا ابراهيم جبرا عما كان ولا زال ينتاب مشاهدها من الاحاسيس الروحيه منذ اقيمت في أول أمرها مرضاة الله حيث قال

فهذه الصومعه المربعة الشامخة المبنية على حسابات هندسية دقيقة مشفوعة بأحاسيس دينية وصوفية وقومية معقدة توحي بثقة هائلـــة بالنفس ورسوخ عميق بالارض كما توحي في الوقت نفسه بالتطلع الى ما هو ميتافيزيقي وما هو وراء المادة بكل جبروتها وضخامتها ، انهـــا محصلة قوتين تمثلان النفس العربية الاسلامية في أوج عنفوانها الحضور والتخطـــــي

وفي هذا العهد الزاهر وبعدمـا وقع تشبيد الضريح المحمـدي شملت عناية الجلالة الشريفـة معالم مسجد حسان وبلطت ارضـــه ، وحفظت أبوابه ورممت أســواره ودعمت من الخارج بالحجر الصـــوان المنحوت والمجلوب من محاجر عكراش وأحيط بالحدائق من جهة الغرب والجنوب ، وتقام الصلوات الخمس في مسجد الضريح الواقع بجواره وفي موضع محرابه خصوصا صلاة الجمعة حيث تؤمه الجماهير الغفيرة التي تضيق بهم رحابـــه

---

156) مقدمـة للفتـح ص 111 ومـا بعدهـا

157) يلاحظ زائر منار حسان وخصوصا القمة ان الملاط قد كان يعوض بذائب الرصاص حيث نجد بين الصخرة والصخرة ورقة سميكة من الرصاص بلغـــت الغاية من التماسك والمتانة التي لا يضاهيها الملاط المعتاد

وتقام الحفلات الدينية في جنباته بشتى المناسبات ، وخصوصا في عاشر رمضان ذكرى وفاة المجاهد محمد الخامس (157 مكرر)

أما الضريح المقدس وما يحيط به من بقية المرافق ، فيستعصي على الكاتب أن يفيه حظه من البيان والتفصيل وقد الف المهندس المعماري الذي بناه كتابا في هذا المعنى معززا بالصور البديعة التي لا يستطيع غيرها أن يفي بالمـراد .

---

157 م) وهذا المسجد العظيم الفريد آية الآيات في الرونق والبهاء اجتمع فيـه ما تفـرق في غيره من ضروب الفن المغربي الاصيل نحتا ونقشا وتبليطا وتزليجا وزخارف ويحتوي على اربع بلاطات موازية للقبلة وصحن مكشـوف تتوسطـه فسقيتـان فوارتان يفصل بينهما صهريج مستطيل يتخلله منابع فوارة تزيده جمالا وبهجـة ويحيط بالصحن ثلاثة اروقة وليس للمسجد صومعة لوجوده بجوار منار حسان، ويعد بحق من مفاخر الربـاط

الجـامـــع الكبيـــــر

يقع الجامع الكبير قرب باب شالة بالسور الاندلسي وهو مـــن المآثر المرينية على الارجح كما أنه أعظم مسجد بالرباط بعد جامـــع السنة ، وتضاربت روايات المؤرخين في تاريخ بنائه فمنهم من جعله من أبنية يعقوب المنصور ومنهم من جعله من مؤسسات الاندلسييـــــن الواردين على المغرب في عهد السعديين ومنهم من رجح كون المسجـد من مآثر المرينيين (158) مستدلا على ذلك بوجود المارستان العزيزي قبالته ، وبكون احدى الابواب قد رممت في عهد السلطان المريني أبـــي الربيع ويعزز هذا الترجيح عدم ادماج الجامع الكبير في المساجد العلوية من طرف المؤرخين للعلويين كالضعيف والزياني والناصري

ويميل المؤرخ بوجندار الى القول بأن السلطان عبد الحق المريني هو الذي أمر ببنائه آخر القرن السابع الهجري وقيل انما جدده ، وبناؤه سابق على هذا التاريـخ

وذكر الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله أن ضخامة أقواسه المفصصة امام المحراب تعد من خواص المساجد المرابطية والموحدية بكيفية عامة ، مع وجودها احيانا في عهد المرينيين ، وهي من مظاهر العتاقة في هذا المسجد، وجدد السلطان أبو الربيع المريني أحد أبوابه ، كما جدد السلطان سيدي محمد بن عبد الله بناءه

وفي عهد السلطان الحسن الاول تجدد صحنه وأعيد بناء بابـــه الخارج لسماط الخرازين سنة 1299/1882 م ، ثم تداعى بعد ذلك واشرفت سقوفـه على الانهيار فتداركته عناية الجلالـة اليوسفية سنـــة 1333 بالاصلاح والترميم والتحسين

---

158) ابـــو جندار في مقدمتـــه .

وفي العهد المحمدي تناولته يد الاصلاح من جديد ، وزيد في ارتفاع صومعته فبلغت 33.15 ، بينما كانت لا تتعدى 27 ميترا وذلك سنة 1939 ، وهي مربعة الشكل تبلغ اضلاعها 5.10 ، وتحتوي على ست غرف ، الواحدة فوق الاخرى ، ومخدع الموقت وتنحصر ملحقات الجامع في ممر ضيق يؤدي الى جامع الجنائز ، ومقصورة الامام المكونة من غرفتين تتصل احداهما بمستودع المنبـر

ومعظم سطوحه ذات انحدار في شكل برشلات واقواسه مختلفة الاشكال والاحجام ويبلغ عرض المسجد على طول جدار القبلة 47.50 ، ويزيد عمقه بميتر واحد ، ومساحته نحو 2000 ميتر مربع ويحتوي على سبعة صحون موازية للقبلة ، وعشرة عمودية . وشكل الساحة مربع منحرف عرضه أكبر من طوله تحيط به ثلاثة أروقة أقيمت في احداها مقصورة للنســاء ، ولــه ستــة أبــواب

وفي البهو الجديد شمالي غربي الصحن المكشوف فسقيتان فوارتان غاية في الذوق والاصالة ، وفي جنبات هذا المسجد العظيم ومن فوق منابره كانت تشع الحكمة ويلقى الجهابذة دروسهم في التفسير والحديــــث والفقه (159) وفــي فنائه كانت توجـد الحلول للمشاكل السياسيـــة والاجتماعية التي تعترض السكان من المومنين يجتمعون فيه لفصـــل الخلافات وفقا لآراء الائمة من الفقهاء ومن هذا الصرح العتيد انبثقت روح المقاومة الاولى ، وفيه كانت الجموع الغفيرة تفزع الى ذكر اسم الله اللطيف احتجاجا على المحاولات الاستعمارية الرامية الى تمزيق وحـــدة الامة ، واستجلابا لعون الله ومرضاته ، وفي عتباته استشهد الكثير من المومنين وسيق المئات الى غياهب السجـون

159) روى المـؤرخ العلامة للمرحوم محمد بـن علي دنيا في كتابه النسمات النديـــة (مطبوع) نقلا عن خط شيخ الجماعة ابي حامد البطاوري ان دروس مختصر الشيخ خليل بهذا المسجد كانت تفوق العشرة يوميا وذكر اسماء العلماء للذين كانوا يؤدون هذا الواجب في التسعينات من القرن الماضي

جـامـع السنـــة

يقع هذا الجامع العظيم في الجانب الغربي والطرف الشمالي الخارجي للمشور ، في مكان رحب فسيح ونتقع أبوابه الثلاثة الرئيسية علـــى الميدان الذي يحمل اسم الجامع ويحاذيه شرقا وغربا شارع محمـــد الخامس ، وشارع يعقوب المنصور

اسسه السلطان سيدي محمد بن عبد الله في جمادى سنة 1199/مارس 1785 ، على ما عند المؤرخ الرباطي محمد بن عبد السلام الضعيف وقام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن بتجديد بنائه واصلاح سقفه الذي كانت أخشاب سطوحه قد نقلت في عهد السلطان مولاي سليمان الـــى مراكش لتسقيف جامع علي بن يوسف الذي درست معالمه الآن ولم يبق له أثر ، وذلك لما بادر المولى محمد بن عبد الرحمن الى تعمير حي تواركة بعبيد البخارى وأهل السوس ، ثم اقامة دار المخزن والمشور وأصبحت الصلوات الخمس تقام بانتظام مع خطب الجمعة واقتصرت الترميمات الجديدة على الدعم بروافد خارجية دون تعديل في التخطيط الاصلي للجامع ، وهو من أكبر مساجد المغرب لا يفوقه في الضخامة الا جامع حسان 25.523 وجامع القرويين 6.300 ميترا مربعا ومساحته عبارة عن مربع كامـــل 74.70 × 74.50 = 5565 ميتر مربعا وساحة المسجد أوسع مـــن الصحن ، وله ستة أبواب وبنيت الاساطين الداخلية المربعة والحنايا والاقواس بالآجر المطبوخ ويبلغ طول أساكيبه الاربعة واحدا وسبعين ميترا ، وعرضها سبعة أمتار مغطاة بسقوف جملونية من البرشلة ، وكان علو المنارة يبلغ 24.25 م

وقال المؤرخ الضعيف اثناء كلامه علـى جامع السنة « ولمـا ورد السلطان على الرباط دخله وجلس أمام المحراب ودارت به الطلبة وشرعوا في قراءة انا فتحنـا وفي ليلة المولد أمـر بتزيين الجامـع المذكـــور بالمصابيح ، وفرق المال على أهل الرباط وسلا ، نحو القنطارين أو أزيد ،

وأمرهم أن يصنعوا الطعام وياتوا به للجامع من الدجاج والمروزية والكعك والمقروط والحلواء الشباكية وغير ذلك وبعث الزرابي من داره وفرش الجامع ، ثم جلس المادحون وجلس معهم وأمرهم بقراءة قصيدة بانت سعاد » الى آخر كلامه انتهى

وفي أيام السلطان المقدس الحسن الاول أحدث فيه ترميمات ، ولم يزل غالبا هو الجامع السلطاني الذي يقيم به السلطان صلاة الجمعة في موكبه الرسمي ، الى أن اقتضى نظر السلطان مولاي يوسف قدس الله روحه تخصيص جامع أهل فاس باقامة الجمعة الرسمية لقربه منه

وفي سنة 1969 قامت وزارة الاوقاف بأمر من جلالة الملك الحسن الثاني بتجديد هيكل جامع السنة ، فنقلت منارته من الطرف الشمالي الى الطرف الجنوبي للمسجد وأصبحت المنارة الجديدة البالغ علوها أزيد من خمسين ميترا في سمت شارع محمد الخامس ، وأعظم شارع في العاصمة، يراها الناظر من كل جهة وبتجديد سقوف الاساكيب والبلاطات ازدانت مختلف الاروقة بالنقوش العجيبة البارعة وأصبح المسجد عنوانا ناصعا على امتداد روعة الفن بالمغرب نقشا وتبليطا وزخرفة

وجامع السنة هو أحد المساجد الست التي بناها السلطان سيدي محمد بن عبد الله كما قدمنا ، أشار لها الزياني ، وأكنسوس ، والناصري وذكر الضعيف منها خمسة في حوادث سنة 1187 ، فذكر جامع السنة وجامع الاوداية ، وجامع أهل مراكش ، وجامع أهل سوس ، وجامع أهل فاس . ولم يبق منها الا الاول والاخير

وأما جامع ملين بحديقة المنظر المثلث فقد تهدمت معالمه عدا منارته التي يبلغ علوها 16 ميترا ، ولا يعرف عنه أي شيء بسبب سكوت المصادر واغفال المؤرخين .

ومن أعظم مساجد الرباط جامع مولاي سليمان أسسه السلطان مولاي سليمان بتاريخ 1812/1226 م وقيل انما جدده ، وهو على مسافة 400 ميترا من الجامع الكبيــر

وجامع السوق بشارع القناصل ، وجامع سيدي الغندور بباب الاحد ، وجامع مولاي المكي بشارع سيدي فاتح وجامع الزاوية الناصرية ، وجامع زاوية سيدي قاسم ببوقرون ، وكل هذه المساجد تقام بها فريضة الجمعة ، وكانت تلقى من أعلى منابرها دروس العلم والوعظ والتوعية وكان عدد المساجد كما ذكرنا يتجاوز الخمسين في مطلع القرن ، وعدد الزوايا ينيف على الثلاثيــن

وبعد الاستقلال ضربت الرباط الرقم القياسي في تشييد المساجــد والمدارس في الاحياء الجديدة ، منها ما هو للاوقاف ، ومنها ما تسابق الى بنائه أهل الفضل والصلاح ونذكر منها المسجد العظيم الذي يحمل اسم بــدر بحي أكدال ، ومنها مسجد العكاري بحي العكاري ، ومسجد حكم بحي المحيط ، ومسجد كراكشو بالسويسي ومن مساجد الاوقاف مسجد حي الاحباس بشارع الحسن الثاني ـ تمارة ـ ومسجد اليوسفية ، ومسجد حي يعقوب المنصور ، وكلها مساجد جامعة تقام بها فريضة الجمعة .



المدارس والكتاتيب القرآنيــة

اما المدارس فلا يعرف منها بالرباط الا

1 ـ مدرسة الملاحة ، بنيت أيام الموحدين بجوار القصبة ، وهي المعروفة في وقتنا بالمدرسة واتخذها الاندلسيون فيما بعد لتعليم فــن الرماية والملاحة وباقي الفنون الحربية المعروفة في ذلك العهد

2 ـ مدرسة الجامع الكبير ، وهي المارستان المريني الذي كان في الاصل مدرسة لطلبة العلم المترددين على تلقي العلوم بالجامع الكبيــر والمارستان العزيزي والسقاية بجواره منسوبان الى مؤسسهمــا السلطان أبي فارس عبد العزيز بن علي بن عثمان المريني ، ويرجع تاريخ البناء الى القرن الثامن الهجري

3 ـ مدرسة درب والزهراء أنشئت في عهد السلطان مولاي اسماعيل وكان يسكنها بعض طلبة العلم في العهد المذكور ، وهي التي صارت اليوم زاوية للطائفة الحراقية

واما الكتاتيب القرآنية فقد كان عددها يناهز عدد المساجد وكان من متممات المرافق الملحقة بالمسجد ، لا تكون الا بجواره أو بجوار زاوية، حيث تتوفر وسائل النظافة كالماء الجاري والميضأة

وقد تضاءل عددها في المدينة القديمة ، بينما ارتفع في باقي الاحياء الشعبية الاخرى ويقدر عددها حاليا بأربعمائة كتاب تبعا لتزايد الهجرة من القرى والبوادي الى المدينة لمختلف الاسباب الايجابية منها والسلبية وعدم كفاية المدارس

وأما السقايات فقد كان عددها يجاوز العشرين المعروف منها

1 ـ سقاية قصبة الاوداية « موحدية » ولا زالت ماثلة الى اليوم

2 ـ سقاية الجامع الكبير مرينية صارت مكتبة مع احتفاظ واجهتها بزخارفها المنقوشة على الحجر ويرجع تاريخ بنائها الى القرن الثامن الهجري كما أسلفنا ويبلغ طولها 10.26 وعلوها 4.62 وعمقها 2.75 وواجهتها من الحجر المنحوت المتناسق وثلاث حنايا مكسورة وأربع أسطوانات

3 ـ سقاية جنان السلطان كانت تقع خارج السور الموحدي في الطريق المعروف الآن بشارع المرابطين ، وكانت تستند الى سور قديم وهندستها تماثل سقاية سوق الغزل بساحة الاوداية ، وقد اندثرت مع ما اندثر

4 ـ سقاية سوق الغزل ، لا زالت ماثلة ، وهي من الآثار المصنفة

5 ـ سقاية السوق بشارع القناصل بجوار مسجد السوق لا زالت ماثلة ولكنها غير مستعملة

6 ـ سقاية سوق السباط لا زالت ماثلة ومستعملة الى اليوم .

ـ سقاية بوقـرون لا زالت مستعملـــة

8 ـ سقاية سيدي الحسن ببوقرون أيضا ، لا زالت مستعملـة

9 ـ سقاية السويقـــة مستعملـــة

10 ـ سقاية سيدي أحمد أوموسى ، مستعملـة

11 ـ سقاية الرحماني بشارع سيدي فاتح مستعملة

12 ـ سقاية سيدي أحمد بن علي بالجزاء ، مستعملة

13 ـ سقاية ابن المكـي بركـاش » ، مستعملة

14 ـ سقاية درب مولاي عبد اللـه ، مستعملة

15 ـ سقاية حي الاوبيرة ، لا زالت ماثلة ولكنها غير مستعملة

16 ـ سقاية جامع السنـــة ، اندثـرت

17 ـ سقاية جامع الزناقـي لا زالت مستعملة

18 ـ سقاية جامع تيليو لا زالت مستعملة

19 ـ سقاية السجن أو « برط ماعون » ولا زالت تدعى بهذا الاسم الـــى اليـوم ، مستعملـــة

20 ـ سقاية وقاصـــة ، اندثـرت

21 ـ سقاية حمام أكدال ، مقابل باب البويبة « هدمت مع الحمام »

22 ـ سقاية جامع دنيا بين كتاب تعليم القرآن وباب المسجد ، وقد وقع الاستغناء عنها ولم يبق لها أثـر



الـحـمـــامـــات

1 ـ حمام العلو ، بناه وحبسه أبو عنان المريني على ضريح والده وعلى اطعام المساكين بشالة وذكروا انه أقدم حمام بالرباط ، ولا زال يؤدي مهمته كما أريـد لـــه

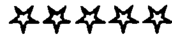
2 ـ حمام المدرسة من بناء السلطان المولى اسماعيل ، وهو من مضافات الدار الاسماعيلية التي صارت متحفا

3 ـ حمام أكدال من بناء السلطان سيدي محمد بن عبد الله خارج السور الاندلسي أمام باب البويبة ، وقد صار في خبـر كان

4 ـ حمام السوق بشارع القناصل ، وهو أقدم حمام بالرباط عند المؤرخ بوجندار ، نظرا لكون الاحياء المسكونة الاولى كانت محاذيـة لشواطيء أبـي رقراق

5 ـ حمام القصري بحومة البحيرة ، وهو من بناء السلطان سيدي محمد ابن عبـد الرحمان

اما باقي الحمامات فهي من بناء الافراد ، وكلها حديثة العهد ، وعددها يتكاثـر يوما عـن يـوم



المـارستـانـات

1 ـ المارستان العزيزي ، وكان مدرسة كما تقدم ثم مارستانا ، ثـم منجرة للاحباس ، الى أن صار فيها بعد مكتبا لنظارة الاحباس ثم مكتبا لمؤسسة دار القرآن في الوقت الحاضر

2 ـ المارستان الجديد بضريح سيدي محمد الغازي (فتحا) لمرضى العقول ، ويقع بشارع سيدي فاتح ، وهو من آثار السلطان مولاي عبـد الرحمـان

والمارستان بضريح أبي عبد الله الحويشي من صلحاء الرباط أعد ليكون ملجا لمرضى الاجسام ، ويقع بين شارعي السويقـة وبـوقـرون





شارع سيدي فاتح

شارع القناصل

يعتبر شارع القناصل من أقدم الاحياء الرباطية وكان طيلة القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر على ما يظهر معدودا من أهم شوارع الرباط ، ان لم يكن أهمها في هذا العهد المريني . ولم يصلنا عنه شيء محدد التفاصيل الا في عهد سيدي محمد بن عبد الله (1750 ـ 1800) وكان يطلق عليه اسم السوق ، لاشتماله على كثير من الدكاكين التجارية التي تجعل منه قطب رحى التجارة في هذا العهد .

وفي نهجه ودروبه كان يقيم مختلف القناصل الأجانب الذين يمثلون بلادهم لدى بلاط المغرب . ومنه جاءت تسميته بشارع القناصل .

وفي شمال الشارع وقرب ساحة سوق الغزل كانت تتزاحم مساكن اليهود مع الحي المخصص لهم المعروف بحومة البحيرة الى ان قرر السلطان مولاي سليمان سنة 1807 نقل الجميع الى حي الملاح الجديد المعروف في عهدنا قرب ضريح ومقبرة سيدي مخلوف بعد التمهيد وتخطيط المساكن والمرافق الضرورية كالافران والمطاحن والحمامات والمعابد

وفي هذا العهد بنى المولى سليمان مسجد السوق في مكان القبة التي ترقد فيها المرأة الصالحة لال فاطمة الطريدة الاندلسية ، (159) مكرر



ساحة سوق الغزل وساحة باب الحد

وأطلق عليها هذا الاسم لكونها كانت سوقا لبيع الصوف الخام ولخيوط الصوف المغزول الصالح لمعامل النسيج ومعامل البطانية والزرابي ، ولبيع الجلود النيئة والمدبوغة وذلك مرتين في الاسبوع وكانت الساحة متنفسا للسكان يقصدها الناس للتجوال لقربها من شاطيء الوادي وقصبة الاوداية ، ولكونها تؤدي الى روضة جبل الزعفران ـ العلو ـ ـ المطلة على المحيط .

---

159 مكرر) ذكر المؤرخ أبو عبد الله محمد بوجندار ان اهل الاندلس لما هاجروا من بلادهم للمغرب نقلوا معهم الى رباط الفتح مائتي تابوت بالتثنية حملوا فيها البعض من جثث علمائهم واوليائهم الى ان أقبروهم بمقبرة العلو بالرباط ثم قال من بعد وكما يوجد كثير من علماء الاندلس بالرباط يوجد فيه ايضا عدة نسوة كلهن عالمات فاضلات صالحات منهن ذوات الاضرحة الشهيرة مثل السيدة فاطمة الطريدة اهـ عن كتاب الانبساط بتلخيص الاغتباط لمحمد الموقت المراكشي ص 64 طبع القاهرة

وكان يقام بها وسائل التسلية الشعبية المعروفة في الغابر كحلقات القصاصين ومروضي القرود واللاعبين والمضحكين والمشعوذين كما كانت تقام بها الاراجيج بمناسبة موسم عاشوراء وعيد المولد ، وباعة الحلويات والفانيد والفواكه

وبباب الحد أمام الباب الحامل لهذا الاسم بالسور الموحدي تقام سوق أسبوعية كل يوم أحد لبيع المواشي والاسلحة والحلى الفضية وعتاق الخيل . وبجانبها سوق للنخاسة ، وأخرى لبيع اللحوم

وقد توقف العمل بهذا السوق في حدود العشرينات لهذا القرن الميلادي. أما سوق الغزل فبقيت على حالها الى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث وقع نقلها الى شاطيء البحر قرب السور الموحدي



آثـــار أخـــرى

ومن آثار الرباط ما كان فيه من الديار المعدة لضرب السكك الفضية والنحاسية ، كدار السكة المعروفة بهذا الاسم من حي الجزاء قال المؤرخ أبو جندار وقفنا على بعض مسكوكات من آثارها بالرباط مضروبة باسم السلطان سيدي محمد بن عبد الله ومن آثاره دار البارود التي اقتضى التطور العمراني هدمها لتوسعة السوق البلدي الحالي الى غير ذلك من القيساريات ومعامل دار العدلاني لصنع الزربية الرباطية الشهيرة ، ومعامل البطانية المعروفة بجودتها ومعامل الصابون البلدي ومعامل الدباغة الجيدة ، ومعامل الخزف الاحمر الذي لا يستغنى عنه حتى في أيامنا هـــذه

وقد تقدم قول صاحب الاستبصار وفي مدينة الرباط قيسارية عظيمة وحمام وفنادق وديار كثيرة ، ومياه مطردة وسقايات ومنافع أعدت لورود المحـلات عليهـــا . اهـ.

الميـــــاه

كانت مدينة الرباط تاخذ كفايتها من المياه المطردة بسقاياتهـــا ومساجدها وحماماتها أولا من عين غبولة بالدشيرة ، أجراه اليهـا الخليفة عبد المومن الموحدي سنة 545 للقصبة ثم اجراها من العين المذكورة ثانيا السلطان يعقوب المريني سنة 683 بصفة أعم ، وذلك على يد المعلم المهندس أبي الحسن علي بن الحاج كما في الاستقصاء

ووقع تزويدها بما يكفي من المياه من عين عتيك الموجودة بضاحية الرباط ناحية تمارة بعناية ملوكنا العلويين أجراها اليها السلطان مولاي اسماعيل بتاريخ 1135 هـ حسبما نقله المؤرخ بوجندار عن ديوان القاضي أبي عبد الله مرينو الكبيـر

وجاء في تاريخ الضعيف أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله هـو الذي أجرى مياه عين عتيك ، وعلق المؤرخ بوجندار على الروايتين بقوله ولعل سيدي محمد بن عبد الله انما جدد اجراءهـا

وفي سنة 1330 هـ اهتمت المصالح البلدية بتعميم قناة عين غبولة ، وتخصيص مياه عين عتيك للسقي والرش عملا بارشادات مصالح الصحة العمـوميـــة

وقد توج جلالة المغفور له محمد الخامس هذا الفيض بانابيب مدت من عيون الفوارات ضاحية القنيطرة يبلغ صبيبها اليومي 30.000 ميتر مكعب أي سنة أضعاف ما كان سنة 1930 .

ونظرا لاستفحال العمران ، فقد أقيم سدان على فرعي نهر ابي رقراق « وادكرو » و « واد عكراش » بقصد تزويد المدينة بما تحتاج اليه مـن الماء بعدما تقع تصفينه بالآلات العصرية وأحدث التقنيات

وتكفي مدخرات هاذين السدين لتزويد الرباط بالماء الكافي خــلال السنوات الباقية من هذا القرن الميلادي بل والى ما بعد عام 2000 حسب تخطيط الخبراء المختصين



طريقة لبس المرأة الرباطية للحايك

الفصل السابع



النظم القديمة والأعراف والعادات

النظم القديمة والاعــراف والعــادات
في المجتمع الرباطي خلال القرون الاخيرة بعد الالــف

☆☆☆☆☆

ان موكب الحضارة والتطور الذي نساير ركبه في عصرنا يوشك أن يقضي على كثير من العادات والاعراف السائدة ، على أن بعضها قد اندثر فعلا ، والباقي منها يطارده الزمن وان ما سنذكره منها ما هو الا عبارة عن مواضيع مختلفة لا يربطها تسلسل او تاريخ والقصد من ايرادها الاطلالة على الماضي بما فيه من محمود ومذموم

وساحاول ابراز بعض الاحوال والمشاهد التي كانت متاصلة فـــي النفوس ، آملا أن أوفق الى ايصال صورها لابناء الحاضر والاجيال المقبلة ولعلها تجد في ذلك متعة وذكرى لظروف العيش التي كان يحياها آباؤهم السـابقـــون

كان العامل هو المحافظ على مخازن الاسلحة

الحكـــام والامـــن

منصب الباشا أو القائد يستمد قوته وفعاليته من تمثيل جلالة السلطان، وكان الباشا هو الحاكم بين الناس في جميع الاحوال المدنية والجنائية ، الا في النكاح والارث والملك فان مرجعها الى القاضي وكان يراقـــب المحتسب والناظر وأمين المرسى وحتى القاضي في بعض الاحوال

وكان يمثل جانب المخزن ويقوم بدور الواسطة بينه وبين قناصل الدول ويأذن لهم في شراء الملك أو استغلاله (189) اذا كان مخزنيا طبق الشروط المقـررة ، كما كان يقـوم بمراقبـة المدربين الاجانب للجيـــش المغربي (190) ويقبض الضرائب المخزنية في المرسى وكان هـــو المسؤول الاول عن ما يقع في المدينة ، ويتراسل دائما مع المخزن بواسطة الوزير الصدر على طريق المسخرين يخبره بالشاذة والفاذة فيما يرجع للاجانب ، ويسترشده فيما يسلكه في المواقف الخطيرة ، ويرشـــح الموظفين كالناظر والامين والمحتسب ويحرس الامن ويصون الابنية المخزنية ، ويقبض الغرائم ويترأس القوة المرابطة بالبلد ، ويدير شؤون السجن ويعين السجانين ويحافظ على مفاتيح أبواب البلد والديوانـــة والسجن ومخازن الاسلحـة

---

189) من الوثائق على ذلك ظهير حسني نصه بعد الافتتاح والختم
خديمنا الارضى القائد محمد السويسي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فنأمرك أن تنظر للحراب الفرانصيصي عريصة من عراصي المخزن هناك غيـــر العرصة التي كان طلبها وكنت اخبرت بأنها من عراصي المخزن وأمرنا بعـــدم تنفيذها لـــه وتمكنه منها يكون يتوسع فيها ولابد والسلام
في 26 ربيع الاول عام 1304
نفس المرجع ونفس الصفحة

190) من الوثائق على ذلك ما نقله مؤرخ الدولة العلوية مولاي عبد الرحمان بن زيـدان في كتابه العز والصولة س 210 ج ٢
ظهير حسني نصه بعد الحمدلة والصلاة والختم المنقوش داخله الحسن بن محمد الله وليـــه ومولاه
خديمنا الارضى الطالب عبد السلام السويسي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد فنأمرك ان تأذن للحراب الفرنصوي الذي هناك بقصد تعليم العسكر في التوجه لبلده بقصد المداواة مما أصابه نحو شهرين فقد طلب نائبه ذلـك والســـلام . في 15 قعدة عام 1297

وكان هو الآمر بالصرف من المستفادات اذا كان هناك بناء عمومي أو استقبال النواب الاجانب غير المقيمين ، والسهر على راحتهم ، واختيار الاماكن لنزولهم مدة اقامتهم والصرف على لوازم الضيافة الى نهايـة المـاموريـــة

☆☆☆☆☆

الحمد لله وحده بيان ما خرج في بناء الدار [illegible] بالقصبات [illegible]
معلم بناء [illegible] 0678
[illegible] 0900
[illegible] 0167
مجموع [illegible] 1745
وأربعة وسبعون مثقالا وخمس أواق ونصف أوقية
[illegible]
خمسة [illegible]

المعلم عبد الله [illegible]

الحمد لله
[illegible] سلام عليكم ورحمة
الله [illegible]
وعلى المحبة والسلام محمد بن محمد [illegible]

[illegible]

[illegible] 0533
[illegible] 0311
[illegible] 0011
2031

[illegible]
[illegible] 1304 [illegible]

[illegible] سلام عليكم ورحمة الله [illegible] مولانا [illegible]
[illegible] وعلى المحبة والسلام
[illegible]

نـظـــام الامـــن

كان يقوم على حراسة الامن اعوان العامل الموثوق بهم ، ويسهر عليه في الاحياء المقدمون وهم يخبرون القائد بأحوال الحومات والسكـــان وبالازديادات والوفيات والافراح والدماء والجنايات والخصومات

« وقواد الدور » هم حراس الاحياء ليلا يطوفون على الازقة ، ويتفقدون اهل العسة المنقسمة الى أقسام تسمى كل واحدة منها « رباعة »

وبالاسواق والقيساريات يقوم بالحراسة البياتة وأجرة هؤلاء على التجار أصحاب المخازن وهناك الحباسة حارسو السجـــون و البوابة » حارسو الابــواب وفي الملاح » يكون « قائد الـدور » مصحوبا بشيخ اليهود يقدم له المساعدة والتعريف بالسكان ، اذا حـدث مـا يدعو الـى ذلـك

ونظرا لتكاثر الاوروبيين ومحميي الدول من المغاربة بالثغر ، وتبادل الاخذ والعطاء معهم وكثرة تدخلاتهم الاستفزازية وتشكيهم بحق أو بباطل كان المخزن يسند عمالة المدينة للخدام السياسيين الجادين الذين يتوسم فيهم حسن التصرف والقدرة على المحافظة على الامن



القـــاضـــي

كانت مهمة القاضي تتلخص في الحكم بين الناس في الخلافات وفصل الدعاوي على مقتضى النصوص الشرعية ، والخطاب على الرسوم والنظر في أمور المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين والسفهاء ووصايا المسلمين وأوقافهم وتزويج الايامى عند عقد الاولياء ، والنظر في مصالح الطرقات والابنية ، وتصفح الشهود والامناء والنواب ، والمحافظة على خطة العدالة التي هي الشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم ، ومهمة التعديـل والتجريـح .

المحتسـب

كان المحتسب يحمل الناس على المصالح العامة في المدينة ، مثـل المنع من المضايقة في الطرق ، ومنع الحمالين من الاكثار من ثقل الحمل ويشرف على شؤون المدينة فيما يخص الماكولات والمصنوعات ، وتسعير البضائع والنظر فيما يجرى في الاسواق من غش وخديعة وتفقد المكاييل والموازين وعليه أن يبحث عن المناكر الظاهرة لقمعها وانكارها ، ويتدخل في أمور البلد كلها ، ويميط الاذى عن الطريق ، ويقترح على الباشا وعلى القـاضي مـا يراه صالحـا



النـاظـر

ومهمة الناظر تدبير أمور الاحباس وكراء الاملاك الحبسية وبيع غلتها بالمزايدة ومناقلتها ، ويسهر على القيام بشؤون المساجد وائمتها ومؤذنيها وصيانتها ، والاعتناء بمقابر المسلمين

وللناظر مكتب يعرف بالنظارة ، وله أعوان وكتاب ، ومعه عـدلان يتلقيان الشهادات فيما يخص المعاملات الحبسية ، وله كنانيش للمداخيل والمصاريف تسمى حوالات



أميـن المرسـى

أمين المرسى هو رئيسها الذي له التفويض التام في شؤون الميناء وله خليفة يقوم مقامه في غيبته ويعينه في مهماته وكان الامين يتصرف في أمور أصحاب القوارب وينظم حركاتهم والقوارب كانت ملكا لاصحابها ويقود القارب عدد من البحارة منهم الرايس أو مولى « الدمان » ، يحملون السلع من البواخر الى البـر ، وكان رئيسهم يسمى كراكجي .

الـديـوانـــة

كانت ادارة المرسى تشتغل بقبض الاعشار ومراقبة السلع الواردة والصادرة ، وعلى رأسها أمين الديوانة ، يعينه المخزن ، وهو تحت أمر أمين الامناء ، ومعه عدلان مشتغلان بالكتابة وتحرير الرسوم وتلقي شهادات أصحاب السلع لاجل الاعشار ، وكانت لهما كنانيش وحسابات منظمة

وكان أمين الديوانة يقبض بعض المستفادات كالمكوس وواجب اللحوم وكان يؤجر الموظفين المخزنيين ، ويثقف السلع الداخلة أو الخارجـــه ويبيعها بالمـزاد



العـريفـــــة

العريفة هي أمرأة معروفة بحزمها وذكائها وتقواها ، أمينة يوثق بها في النظر في النساء وتعزيرهن والكشف عليهن ، ودارها هي دار العريفة ، وهي محل ملحق بمحكمة القاضي ، تحجز النساء بها ان امتنعن من تنفيذ أوأمر الشرع الواردة عليها من القاضي أو القائد ، ولا يكون وضعهن فيها الا عن جريمة تستوجب معاقبتهن شرعا ، وليس ذلك سجنا لهن ، وانما هو تعزير ويمنع حجزهن مدة طويلة

أما وضع المرأة لاثبات حق أو اقامة حجة فيكون عند أمين من قرابتها يرضاه زوجهـــا



« العوائـد الاصيلـة »

وتتميما لهذا الفصل ينبغي أن نتعرض للعوائد الاصيلة التي تمت بأكثر من سبب الى تعلقنا بحضارتنا الاسلامية وبماضينا المشرق فـي صفاء ينابيعه الدينية المنبعثة من هدي الرسول الاعظم ، ونكتفي بالاشارة الى أهمها لتاصلها في النفوس ولسمو مغزاها

فاحتفالات المجتمع الرباطي بقدوم شهر رمضان كانت من الايـــام الخالدات والاستبشار بحلوله والانزعاج لفراقه كان ولا يزال يهيـــج الذكريات ، وناهيك باحتفالات ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر .

أما أفراح شهر الانوار ربيع الاول فانها كانت كلها أعيادا في اعياد فمنذ بزوغ شهر المولد والمساجد عامرة بالمومنين ، حافلة بدروس السيرة النبوية والشمائل المحمدية فيما بين العشائين ، يتخللها ابتهالات المادحين وسماع المنشدين وتحتفل جميع الزوايا باحياء ليلة العيد الى طلوع الفجر ، حيث يقرأ المولد وما يشتمل عليه من عبر واسرار والناس يهنيء بعضهم بعضا يتزاورون ويصلون الرحم ويعم الاحسان المساكين وتتحرك أجواق الطرب والطبل والمزمار كل يعبر عن بهجته وفرحه ويمسك السكان عن العمل الخاص والعام

وفي اليوم السابع بعد العيد يجتمع العلماء والطلبة والمقرئـــون والمادحون وأرباب الطرق الصوفية بالمسجد الاعظم لقراءة القرآن والامداح وتوزيع الاطعمة على الحاضرين ويستمر الاحتفال من وقت الضحى الى صلاة العصـــر

وأما عاشوراء فقد كان المومنون يتقربون الى الله بصوم هذا اليوم ، ويختارونه يوما تؤدى فيه الزكوات ويوسعون على العيال والاطفــال وتقام فيه الاراجيح ووسائل التسلية البريئة بالسوق الخاص الذي يجتمع رواده بساحة سوق الغزل لشراء الاعيب الاطفال والتعاريج وأنـــواع السلــع الزجاجيــــة

وقد اختفت مظاهر الاحتفال بهذا اليوم أو كادت ، وجرف الناس تيار التطور الى الاقتصار على العطلة في أول يوم من شهر المحرم ، وهو فاتح السنــة طبعــا

أما العوائد والافراح المقامة بمناسبة عيدي الفطر والاضحى فلا زال المجتمع محافظا عليها ومتشددا في بعضها كنحر الاضاحي حتى لمــن لا يتوفر على استكمال شروط السنــة

الخطبـــــة

كانت العادة عندما يبلغ الفتى سن الزواج أن يشغل ذلك بال والديه ، ويستثير فضولهم ويجعلهم يبحثون لابنهم عن زوجة تليق به وكـــان الفتى لا يد له ولا رأي في اختيار زوجته ، وكان أهله لا يجرؤون علـــى الذهاب لخطبة الفتاة من والدها ، ويكلفون من يقوم بذلك من أهلهم أو من ذوي المكانة كالشرفاء والوجهاء وكل هذا بسبب الخوف من رفـــض خطبتهم ، وخصوصا اذا كان الفتى لا يليق بالفتاة لاعتبارات اجتماعية أو لعدم توفره على ما يضمن له مستقبلا سعيدا

أما اذا رضي أبو الفتاة عن الخطبة فانه يقع تحديد اليوم لاجتماع أهل الفتى بأسرة الفتاة للاتفاق على قدر الصداق وشروط الزواج ، وتعيين اجل الخطبة وكتابة العقـد

واذا تم الاتفاق بين الطرفين فانهما يحددان موعد الاحتفال بالخطبة

وبهذه المناسبة يذهبون الى دار الخطيب حيث يتناولون الشـــاي والحلويات ثم يتوجهون صحبة الخطيب وأهله الى دار الفتاة حيث تقام حفلة على شرفهم ويقدم لهم الحليب والتمر والحلويات ويتطيبون بماء الزهر والورد ، ومباخر الند وعود الصندل القماري وتمد الموائد لتناول أفخر الاطعمة ويترأس هذه الحفلات زيادة على والدي العروسين العدلان اللذان يقومان بكتابة عقد النكاح ، وتسجيل شروط الزواج التـــي لا تتنافى مع الشريعة الاسلامية

على أن البعض يقتصر على دعوة أقاربه وأصدقائه الى أحد المساجد او الزوايا بعد صلاة العصر وهناك تتم المراسيم ويهنيء المدعوون العريس باقترانه متمنين له كامل الوفاق والسعادة

وقد تغير الحال في عصرنا وصار الفتى يبحث لنفسه عن شريكـــة حياته ، ويتصل بها رأسا ويتعارفان في الجامعة أو الوظيفة أو في الشارع او احدى الحفلات العمومية ، ويطلع والداهما على هذا الاتصال ، وفي الغالب يباركانه وتتـم الخطبـــة

وإذا ما انفسخت لسبب من الاسباب فان الفتى يطالب بارجاع ما أهداه للخطيبة من الحلى والجواهر الا اذا كان السبب في الفسخ يرجع الى الخطيب



حفلات الزفاف

عندما يحدد تاريخ الزفاف فان العريس يقوم بدعوة الاصدقاء والاحباب والجيران وكثيرا ما تكون الدعوة عامة وكان يقوم بها شخصان أو ثلاثة من أهل العريس يمرون في الاسواق ، ويتصلون بالناس في ديارهم راجين منهم الحضور للمشاركة في الاحتفال

وفي أوائل القرن كانت الدعوة توجه بواسطة المنادى في الاسواق ومختلف أحياء المدينة

وكان العريس يقوم بالاحتفال الاول في منزله ليلا بعد صلاة العشاء ، وفيه يقع تناول الاتاي وأنواع الحلويات وتشنف الاسماع بأدوار الطرب الاندلسي . وفي اليوم الموالي وهو ليلة الزفاف يقيم له أحد اصدقائه أو اقاربه احتفالا آخر بعد صلاة العشاء ، ويمتد الى الهزيع الاخير من الليل في انتظار وصول العروسة الى حيث يقيم زوجها ، ويتخلل كل ذلك تشنيف الاسماع بالطرب الاندلسي أو الشعبي ، وتناول الحلويات وطعام الكسكس للفقراء الذين يجتمعون حوالي مكان الاحتفال

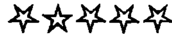
ويزف العروس الى عروسته ، وهو محاط في طريقه بجموع المنشدين والمغنيين والراقصين على نغمات الطبل والمزمار

وكانت العروسة لا تفتح عينيها أمام عروسها طيلة أسبوع العرس وتغمض عينيها كلما دخل عليها أو كلمها الى ما بعد حفلة آخر الاسبوع التي تنتهي بها مراسيم أفراح العرس حيث توجه لها أسرتها أطباق الاطعمة المتنوعة والحلويات والفواكه اليابسة والطرية في موائد مغطاة « طيافير » يحملها رجال يهللون ويصلون على النبي بعالى أصواتهم طيلة مرورهم في الطرقات الى دار العريس

وكانت هذه العادات مقبولة من الطرفين ، وقد انقرض جلها ولم يبق منها الا حديث التفكه .

حفلـــة الســــــلام

كان العريس يقيم حفلة خاصة يحضرها ذوو المحرم للسلام علــــى العروسة ومشاهدة طلعتها وتقديم الهدايا ، وكان لا يرى العروسة فيما بعد الا من أتيح له حضور هذه الحفلة البارزة التي كانت تتسم برونق خاص ، ولا زال البعض يحافظ على هذه العادة رغم سفور المرأة كما وقــــع الاقتصار على حفلة واحدة ليلة الزفاف ، وقد تكون مختلطة يشارك فيها الجنســــــان



الــعــقــيــقـــــة

وهي عادة متأصلة يقيمها الناس بمناسبة أسبوع المولود الــذي أزدانت بزيادته الاسرة ، وتقام في الغالب نهارا في اليوم الذي يحمل فيه الرضيع اسمه المختار من قبل الوالدين ، وقد يكون من اختيار أهل الفضل والصلاح ممن تقدرهم الاسرة ويقترن اطلاق التسمية بذبح كبش أقرن وسط الزغاريد وتصديع الرؤوس بضربات التعاريج والبنادر والاكــف وتبــادل التهــانــــي

ويتناول المدعوون كؤوس الشاي والحلويات ومختلف الاطعمة « والرش والبخور يتخلل كل ذلك تشنيف الاسماع بالطرب المعتاد ولا زالــت حفلات العقيقة صامدة للاندثار



الــخـــــتــــــــان

كان يتعاطى مهنة اعذار الاطفال جماعة من الحجامين اشتهروا بالمهارة في عملهم ، وكانت العادة أن تحمل الاسرة طفلها المدلل الى احدى الزوايا أو ضريح أحد الصلحاء القريب من مسكنها وفي مكان مناسب منهـــا يباشر المعلم الحجام عملية الختان ، يساعده في ذلك أحد أعوانه الذي يحمل الطفل بطريقة خاصة وفي لمح البصر تنتهي العملية ووضع الضمادات ، ولا زال العمل جاريا بهذه العادة وهذه الطريقة في جل الاوساط، ومن الناس من يحملون أطفالهم الى عيادات الاطباء الجراحين للقيام بعملية الاعذار على الطريقة الطبية المحضة ، وهم قليلون .

وكان البعض من المحسنين يقومون باعذار أطفال جيرانهم وأصدقائهم في مناسبات مختلفة من غير أن يكون لاهلهم علم بذلك ، وكانوا يعبرون عنها بالسرقة ويمنحون الطفل المسروق ثيابا جديدة ، وهدايا وبعض المال للاستعانة به على الاحتفال بهذا الاعذار ان كانت أسرته في حاجـة الى الاعانـــــة



الحذقـــة وختـم القـرآن

كانت حفلة استظهار كتاب الله وختم القرآن من أشهر الحفلات الدينية الرائقة التي كان معمولا بها ولا يتخلى عنها الا عاجز أو من ليس لـه أولاد يتعلمون القرآن كان يحضرها المقرئون والمادحون والمسمعـون والاخيار وأهل الفضل والاقارب يتلى فيها كتاب الله ، وتنشد فيهـا قصائد المدح النبوي ، والابتهالات ، وقصيدة

أحبيبنا يـا محمد الصـلاة على محمد الى آخر القصيدة

ويتناول فيها الحليب والتمر ثم الشاي والحلويات وطعام الكسكس ، وعند خروج المدعوين ينثرون النقود على لوحة الطالب اكراما للفقيه المـدرر الذي أشرف على تلقينه كتاب الله ، وقد اختفت هذه العادة ولم يعد يعرفها أحـــــد .



لـلا كسـابـــة

ومن العادات التي حملها معهم الاندلسيون للا كسابة ، وهي عبـارة عن تجمعات نسوية تقام تلقائيا حيث جرت بها العادة بساحة الاودية أمام ضريح سيدي عبد الرفيع الاندلسي يوم الجمعة المتصل بيوم الخميس الاول من شهر رجب ، تخـرج فيها الطفلات لابسات لباس العرائـس ، ومتزينات بأفخر الثياب والمجوهرات ويحضرها كذلك الاطفال صحبـة أمهاتهم في أبهى حلة يتغنون بأهازيج وكلمات تدل على رغبتهم فـــــي الزواج متى آن الاوان وقد انقطع العمل بهذه العادة منذ زمان .

الثالف وكأنما درجوا على هذه الاحتياطات منذ الازمات السود التـــي قاساها الاندلسيون منهم على الخصوص أيام جمهوريات أبي رقراق

وكان الاثرياء في الرباط يمتلكون البساتين ويطلقون عليها اســـم « السواني » لاستثمار خيراتها ، ولقضاء فترات من أيام الربيع والصيف ، يشيدون فيها أماكن للتنزه يجاورها في الغالب مأوى للبستاني واصطبلات للبهائم التي تدير السانية وتحمل الغلات الى أسواق المدينة وحظائر للابقــار الحلـــوب

وكانت الطبقات الاخرى تقضي كثيرا من أيام الربيع في التمتـــع بالهواء الطلق وشم النسيم في الحقول والبساتين تحت القبب أو القياطين في عطل الاعياد وأواخر شعبان وظهر أيام الجمع ومن وسائـــل الاصطياف المعتادة التي امتد بها الزمن الى أواخر الحرب العالمية الثانية، المنتزهات التي يقصدها ركاب الفلك في وادي أبي رقراق بشالة ، كبستان واد القبط وبستان السويسي وبستان أرماس وكلها على الشاطئ وكانت جماعات المصطافين كثيرا ما تكون مصحوبة بالاجواق الموسيقية الاندلسية أو أجواق الملحون وأجواق المسمعين والمنشدين وينقلب الوادي أثناء فصل الصيف الى مسبح بهيج وقد شاهدنا بأعيننا كثيرا من هذه المباهج التي كانت سلوة المواطنين زيادة على مغاني شالة وجناتها وعيونها المتفجرة التي صارت في خبر كان



الجلوس فــوق سطوح المنــازل

في عشايا الايام المشرقة كان النساء يتخذن من سطوح المنازل أماكن للتنزه والترويح على النفس ، وشم النسيم وشرب الاتاي والثرثرة أيــام كــان الحجــاب سائــــدا



زيــارة الاضرحـــة

كانت زيارة الاضرحة ظهر الجمعة من العوائد السائدة ، وربما كانت من الاسباب المبررة لخروج المرأة من منزلها صحبة الاقارب



جــــوق المســامـــع

من العوائد الجارية قديما أن يطوف جوق الطرب النسوي المعروف بالمسامع المتركب من عازفة على الرباب وضاربات على الدف والطبلة على منازل الشرفاء والولاة بمناسبة بزوغ شهر ربيع النبوي لتهنئتهـــم وتشنيف أسماعهم بابتهالات دينية بحلول عيد المولد الشريف وقــد توقفت هذه العادة وانقرضت الاجــواق

وكانت تقام بمناسبة المولد المنيف مراسم كثيرة كذكرى لعدد من صلحاء الرباط ، كان يطوف بعض مريدى الطرق على منازل اتباعهم لقراءة الفاتحة ، وتوزيع الادعية والتمنيات ، وقبول الهدايا ، الا أنه كان يختلط فيها الحابل بالنابل وبفضل تدخل العلماء السلفيين توقف العمل بهـــذه العوائد لما كان يخالطها من البدع والاهواء

ومــن جملة العــادات بالرباط التاهــب لفصل الشتاء نظرا لتعــذر المواصلات بسبب الامطار والفيضانات فكان من الحزم ان يدخروا صيفا ما هم في حاجة اليه طيلة فصل الشتاء ، من حبوب وقطاني وزيت وسمن وعسل وخليع وفحم وحطب لتموينهم وللمتاجرة فيها عندما تقل المــواد ويرتفع سعرها وكانت لهم المهارة الكافية لخزن هذه المواد وحفظها من

الفصل الثامن



مجمل تاريخ الحركة الفكرية بالرباط

مجمل تاريخ الحركة الفكرية بالرباط

سجل مؤرخو مدينة الرباط أن عمران المدينة وازدهار الحضارة بها ورواج المعارف لم يتبلور ويتسع نطاقه الا بعد استيطان جالية الاندلس بها حينما أبعدوا عن أوطانهم في أوائل القرن الحادي عشر ، وبهم راجت بضاعة العلم بالرباط ونفقت أسواقـــه

والصواب أن الحركة الفكرية وان كانت خافتة قبل هذا الوقت فان النواة على كل حال قد غرست منذ أيام الخليفة المنصور العالم الاديب .

وفي أوائل القرن السابع نجد الخليفة عبد الواحد الرشيد الموحدي يأذن للاندلسيين بسكنى الرباط ، وأصدر في ذلك ظهيرا ملكيا من انشاء قاضي الرباط أحمد ابن أبي عميرة المخزومي البلنسي (169) أنعم بموجبه على أهل شرق الاندلس الذين لجأوا الى المغرب بعد سقوط بلدانهم فــي يــد المسيحيين بتعمير الرباط والاستقرار بــه

وكان الرشيد كأسلافه يقدر العلم وأهله ، فعين العالم الاديب أحمد ابن أبي عميرة قاضيا على مدينة الرباط وهذا التعيين يدلنا على المكانة المحترمة التي كان يحتلها الرباط في هذا العهد الذي كان فيه منصـــب قضاء العدوتين من الوظائف المرموقة ، ويستبعد تولية أحد الاعلام مثـل المخزومي على رأس مدينة خالية من اثر العلم والادب ومظاهر الحضارة ، على أن قضاء الرباط قد شغله أندلسيون في دولة الموحدين قبل ابن أبــي عميرة ، كشيخه أبي محمد بن حوط الله المالقي (170) ، وأبي العباس أحمد ابن محمد الشريشي (171) ، وأبي جعفر أحمد بن فرقد الاشبيلي (172)

---

169) ترجم له صاحب النفح وصاحب الجدوة وصاحب الاغتباط وكتب عنه الاستاذ بنشريفة رسالة قيمة جامعة نال بها ديبلوم الدراسات العليا

170) التكملـة ج 2 ص 885

171) التكملـة ج 1 ص 105

172) نفـــس المصـــدر ص 114

وتولية هؤلاء الاعلام يجعلنا نرجح أن الحياة العقلية لم تكن منعدمة

وفي المائة الثامنة نزلها الشيخ عبد الله اليابوري (173) ، والعارف ابو العباس أحمد ابن عاشر (174) ، والعالم النحرير ميمون بن خبازة (175) والقاضي يحيى بن مسعود الاندلسي قاضي الجماعة بحضرة غرناطة (176).

ولا شك أن هؤلاء الاعلام ومن أتى بعدهم والمهاجرين الذين استقروا بالرباط ، نشروا ما حملوه معهم من علوم وآداب ، وأفاضوا على الناحية من فضل علومهم ما كان له أثر في نهضة وحضارة

وعلى افتراض أن قدماء المهاجرين الاندلسيين هم الذين نشروا مـــا حملوه معهم من علوم وآداب وعادات ، وأفاضوا على البلاد بعد انتشارهم من علومهم المتدفقة فان المهاجرين المطرودين الذين كانوا تحت سيطرة المسيحيين ، وقاسوا جميع أنواع الاضطهاد والبلاء من محاكم التفتيش في فترات متعاقبة تتجاوز القرن وضويقوا في عقائدهم وأرزاقهم وعوائدهم ولغتهم (177) يكون تاثيرهم فكريا أمرا ثانويا لانهم على ما يظهـر

---

173) كان كبير الشأن ومن اجل شيوخ ابي العباس سيدي احمد بنعاشر دفين سلا توفي في اوائل القرن الثامن وضريحه لا زال ماثلا بظاهر مقبرة العلو وعليه قبة صغيـــــرة

174) علم شامخ قضى بالرباط دهرا طويلا بزاوية شيخه اليابوري بشالة والرباط قبـــل انتقالـه الى سلا بعد وفاة شيخه حسبما ذكر الحضرمي في تاريخه

175) ترجـم لـه صاحب الجــــذوة

176) كان موثقا نوازليا وله معرفة كبرى بالاحكام اخذ عن أبي جعفر القزاز والعلامة ابن الزبيـر توفي سنة سبع وعشرين وسبعمائة ودفن بشالة

عن كتاب الانبساط بتلخيص الاغتباط لمحمد الموقت المراكشي ص 60 طبع القاهرة

177) صدر في عهد الامبراطور شارلكان سنة 1526 قانون يحرم على الموريسكيـــن التخاطب باللغة العربية وارتداء الثياب العربية واستعمال الحمامات واقامة الحفلات على الطريقة الاسلامية وارجيء تنفيذه نظير ضريبة معينة واستمر هذا المنع ساريا حتى عهد فيليب الثاني المتعصب فأمر في مايو 1566 بتحريـــم اللغة والثيـاب العربيــة

أضاعوا الكثير ، ولم يحملوا معهم الا الحقد على العدو ، ولم يشتغلوا الا بالتحصين وتوطيد المنزل والغارات على شواطيء العدو وسفنه أمـــا ثقافتهم الاندلسية فقد تخلفوا فيها الى صف العاجزين ويؤكد هذا مــا حفلت به الروايات من استعمالهم اللهجة المعروفة بالخميادو (178) والتي استبدن بهـا المدجنون لغتهم العربية قهرا وعنتا وأرغموا على كتابـة القشتالية بأحرف عربية زيادة على احتفاظهم بالمظاهر التي كانـــت مفروضة عليهم لتمييزهم عن بقية الشعب الاندلسي (180)

والواقع أن النهضة العلمية بمعنى الكلمة انما ازدهرت في عهد الملوك العلويين ، وفي عهد المولى اسماعيل على الاخص حيث تدفقت العلوم وازدهرت الثقافة بمعناها الاصيل وكثر العلماء وحفاظ القرآن كما أشار الى ذلك اليفرني في كتابه روضة التعريف بمناقب مولاي اسماعيل الشريف، حيـث قال وأما مـا ظهر في زمانـه من الخيرات ، وظهر من فنـون العلم واستبان من أوجه الطاعات فمن حديث البحر يلهج به الشيوخ والاطفال ويعرفه الكبار والصغار وقد حدثنا غير واحد ممن طعن فـي السن من أشياخنا قال كنا في زمن الشبيبة نطلب العلم ونسال مـن مسائله ، وخصوصا العلم المعقول ، فلا نجد من يتقن مسائله على صورتها ولا نلقي من له تضلع في ذلك ، بل كانت الارجوزة المسماة بالسلـم

(178 *AL JAMIADO* أي الاعجميـــة

(179 المدجنون هم المسلمون الذين كانوا تحت سيطرة المسيحيين وحكمهم باسبانيا

(180 ومنها غطاء الراس المتكون من الشاشية الحمراء وفوقها العمامة البيضاء وبينهمـــا الشوشة الزرقاء وهذا النوع من غطاء الراس حمله الى المغرب المهاجرون الاندلسيون واحتفظ به في الرباط وفاس وتطوان وذلك على اثر النفي العام لان الشوشــــة الزرقاء لم تكن معروفة في الاندلس قبل عهود المحنة الاخيرة حيث اجبر الاسبان العرب المتنصرين على التمييز بشارة زرقاء يجعلونها على قلانسهم وقد اضيفت الى القلنسوة والشوشة الاندلسيتين العمامة المغربية عبد العزيز بنعبد الله .

المرونق لا يعرفها بفاس الا رجل أو رجلان ، فلما مهد الله لهذه الدولـــة الاكناف ، واسمى قدرها وأناف ، تدفقت على الناس العلوم ، وذللت صعاب الفنون والفهوم ، حتى عاد صغار الطلبة يعرفون فنونا عديدة ، ويكون لهم فيها عارضة مديدة وقد تخرج في هذه المدة السعيدة جماعة من الاعلام لهم القدم الراسخ في العلم واليد الطولى في الاتقان ويتابع اليفرني كلامه ذاكرا بعد ذلك كيف كان عموم الامية في القبائل ، وتعذر من يستطيع كتابة رسالة عادية أو قراءتها الى زمن المولى اسماعيل حيث انتشرت الكتابة والقراءة وكثر عدد حملة القرآن الكريم في كل مكان (181)

وقد استفدنا من كلام صاحب روضة التعريف أن الركود العلمي كان مخيما على كل الانحاء الى أن قيض الله لهذه المملكة من ينقذها من ظلمات الجهل على يد ملوك الدولة العلوية المجيدة وقد أشار لهذا مؤلف نشر المثاني ، وكذلك ابن الحاج في تاريخـــه

ومن أعلام الانبعاث وواضعي أسس النهضة العلمية شيخ الرباط أمام الموثقين وخاتمة المحققين أبو الحسن علي العكاري من تلامذة أبي علـي الحسن اليوسي ، وابن سعيد صاحب المقنع ، ورد الزاوية الدلائية وفاسا بعد التحصيل ثم قدم الى ســـلا

وبأمر من السلطان مولاي اسماعيل استقر بالرباط برسم التدريس ونشر العلم وكان يتقاضى مرتبا سنويا مائة مثقال من خراج مرساها حسب طلب أهل الرباط كمكافأة على ما يقوم به من مجهودات في احياء العلم وتعميمه وكانت وفاته صبيحة يوم الاحد حادي عشر شوال عام 1118 ، وحضر جنازته أهل العدوتين والقصبة وشالة وغيرهم وكـــان يوما من أيام الرباط المشهودة ودفن بروضة سيدي لحسن بن سعيـد افران ثم نقل بعد ثمانية أيام ودفن بداره وبنيت على ضريحه قبة شاهقة قرب السويقة في الممر المعروف بزنقة سيدي العكاري

---

181) روضة التعريف بمناقب اسماعيل الشريف ص 68 المطبعة الملكية للرباط .

ومن الآخذين عنه بالرباط أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني الرباطي الشهير ، صاحب الضريح بجوار المسجد الاعظم باسم الزاوية التلمسانية علامة الرباط وشاعره ومفتيه توفي في حدود سنة 1180

والشيخ العالم الصالح عبد الله الحويشي صاحب الضريح والمارستان المعروف بالرباط توفي ليلة الجمعة 14 صفر 1103

والفقيه العدل العروضي يوسف بن محمد الدادسي صاحب الضريح بالجزاء « شارع محمد الخامس »

وأبو العباس أحمد بن محمد الكراري العالم الجليل صاحب الضريح المعروف بزنقة سيدي أبي العباس ، كان سباقا للعلوم ، وغواصا على غوامض الفهوم توفي بالبادية يوم الاثنين متم ذي الحجة 1138 وحمل للرباط حيث مزاره المعروف

والفقيه الجليل المحدث المسند أحمد بن عبد الله الغربي (182) مسند المغرب في عصره. حلاه الحضيكي في فهرسته بخاتمة علماء المغرب ومدرسيه ونساكه . وحلاه أبو عبد الله بن التهامي بن عمرو الرباطي في فهرسته بالحافظ روى في المغرب عن الشيخ علي العكاري وأبي الحسن علي بركة التطواني والشيخ أبي العباس ابن ناصر ، والشيخ يعقوب الولالي وغيرهم ، وحج عام 1146 ولقي كثيرا من الاعلام بالمشرق ، ذكر ذلك في اجازته للشيخ التاودي بن سودة (182) مكرر

---

182) له فهرسة نسبها له ابو الربيع الحوات في ترجمته من الروضة المقصودة

182) مكرر هو شيخ الجماعة بفاس امام فقهاء المغرب أبو عبد الله محمد التاودي بن سودة المري الفاسي المتوفي بفاس سنة 1209 وقد جاوز التسعين ذكر للشيخ الكتاني في فهرس الفهارس انه يروي عامة عن شيوخ المغرب ومنهم الحافظ أبو العباس احمد بن عبد الله الغربي الرباطي ج 2 ص 187 .

وقد أسند وأجاز لكثير من الائمة ، كالشيخ التاودي بن سودة ، وحافظ المغرب أبي العـلاء ادريس بن محمد العراقي الحسينـي الفاسي (183) والقاضي أبي القاسم بن سعيد العميري المكناسي (183) مكرر وأبي يعزى ابن أبي الحسن علي الحريشي ومحدث سوس وراويته أبي عبد اللـه الحضيكي (184) ، ومحمد ابن أبي القاسم الرباطي صاحب العمل الرباطي وشارح العمل الفاسي ، ولولده الشمس محمد الغربي قاضي الرباط (84 م)

---

183) انظر ترجمته عند محمد الأخضر **الحياة الأدبية** ص 295.

183) مكرر هو قاضي مكناس أبو القاسم بن سعيد العميري الجابري التادلي المكناسـي العلامة الاديب القاضي العدل حلاه القادري في للنشر الكبير بعدل قضاء الزمان ولد بمكناس سنة 1103 ومات ليلة الجمعة قبل الفجر 19 من جمادى الثاني سنـة 1178 عن خمس وسبعين سنة اخذ عن ابيه وغيره من شيوخ مكناس وفاس وحج صحبة للسيدة الفاضلة خناتة بنت بكار ام السلطان مولاي عبد الله واجازه بعـد ذلك عامة للحافظ احمد بن عبد الله الغربي الرباطي عام 1166 وكاتبة من الرباط ـ من فهرس الفهارس ج 2 ص 210

واخذ عن القاضي العميري ابو عبد الله محمد ابن أبي للقاسم الرباطي صاحب العمل الرباطي وشارح الفاسي قال صاحب فهرس الفهارس قد استفدت اجازة العميري

184) الحضيكي هو العلامة المحدث ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله الجزولي الحضيكي نزيل زاوية آسى بسوس ولد سنة 1118 ومات سنة 1189 راويـة سوس الاقصـى

كان آية من آيات الله في حفظ السيرة النبوية له شرح على البخاري وحاشية على سيرة الكلاعي وشرح على الهمزية وشرح على الشفاء وعلى الطرفة فـي الاصطلاح واختصار الاصابة وطبقات علماء سوس والفهرسة والرحلة الحجازية ويروى عن جماعة من الاكابر منهم المسند ابو العباس احمد ببن عبد الله الغربي الربـاطـي

لابن ابي للقاسم المذكور من خط تلميذ الاخير محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي صاحب التاريخ لقفت عليها بالرباط بخطه انتسخ فيها بعض تآليف شيخـه المذكور وهي بمكتبة العلامة شيخ الجماعة بالرباط ابي عبد الله محمد المكي بن علي البطاوري امتع الله به ج 2 ص 210

184) م الحضيكي هو العلامة المحدث ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبـد الله الجـزولـي كثيرا لا تعاوقه غالبا حضرا وسفرا وقال عنه ان سنده اليوم أعلى الاسانيد وقال الكتاني في فهرس الفهارس واتصل به عاليا في للصحيح عن شيخ الجماعة بمراكش ابي عبد الله محمد ابن ابراهيم السباعي عن ابي العباس احمد بن محمـد المرنيسي عن القاضي احمد بن التاودي بن سودة عن الحافظ الغربي رحمهم الله ولا اعلى في اسانيد المغاربة من هذا السياق ولا انقى وهو متصل بالسماع لكله ج 2 ص 82 .

ومن الاخذين عنه بالرباط أيضا

ولده الشمس أبو عبد الله محمد الغربي قاضي الرباط

والعلامة القاضي عبد الله الدرعـي

والعلامة القاضي محمد مرينو الاندلسي الرباطي

وأبو عبد الله محمد الدغيمـر

وأبو عبد الله محمد الحداد الاندلسي الرباطي

وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم الزبدي

والحاج محمـد الدقـاق

وأبو العباس أحمد بن يحيى والزهراء

وأبو عبد الله محمد شعبان الاندلسي الرباطي وغيرهم ممن حفل بهم الفهرست للحفيد أبي الحسن علي العكاري الذي ألفه في ترجمة جده العكاري الكبير مع ذكر شيوخه وسماها البدور الضاوية وكان هذا الحفيد من العلماء المشهود لهم بالتحقيق له غير الفهرست الدرر المفضلة فـي شرح البسملة والحمدلة والمقصد الاسني في الدعاء بالاسماء الحسنى وجوهر القلائد في ذكر نبذة من العقائد ، منظومة وله أشعار ورقائق وكانت وفاتـه عام 1159

وجاء بعدهم من نجوم العلم الزاهرة ما يسجله التاريخ باعتـزاز كالقاضي السيد الطيب بسير العلامة الاديب الاشهر وحيد عصره علما وافتاء ونسكا وقضاء ، مكث في خطة القضاء زهاء خمسين سنة ، وتوفي سنة 1271 ودفن بالزاوية التهامية ، وله كثير من الاشعار الرائعة فـي الجناب النبوي .

وقاضي العدوتين السيد أحمد الحكمي العلامة المشارك الشاعر الناثر توفي بعد طلوع الفجر من يوم الثلاثاء تاسع عشر رمضان عام 1226

والشريف سيدي أحمد الرفاعي العلامة الكاتب النحرير الابرع صاحب المنظومة الشهيرة في صناعة الخط توفي بالرباط سنة 1256 .

والقاضي البارع العلامة محمد عاشور الرباطي المتوفي بمراكش قاضيا بهـــــــــا

والقاضي النبيه عمر بن العروسي تولى القضاء بالرباط وانتهت اليه الرياسة في وقته علماء وقضاء وتوفي في رجب 1215

والقاضي صالح بن أبي العباس الحكومي المتوفي سنة 1250

والعلامة الهاشمي بن محمد بن عبد الله شكالانط صاحب منهـــاج التوضيح لمسائـل صلاة التسبيــح

والقاضي المرشد المفتي عبد الرحمن بن محمد السرايري شـــــارح الزقاقية وصاحب الفتاوي العديدة المفيدة توفي عام 1207 ودفن بمقبرة العلـو بالربـاط

واديب الرباط الاكبر الامام العالم اللغوي الاصولي المسند الرحال ابو عبد الله محمد بن محمد بن التهامي بن محمد بن عمرو من أولاد ابن عمرو الذين ينتسبون للانصار ، الرباطي الدار ، دفين مكة المكرمة . توفـي بها سنة 1244 . روى عن جماعة من الجهابذة الاعلام بالرباط وفاس ، ولما مر بتونس يريد الحج تدبج مع البرهان ابراهيم الرياحي وأجازه ، وكـان خروجه بصدد الحج من الرباط في 10 ربيع النبوي عام 1243 ومعه ولده محمد وابن أخيه التهامي فلم يرجع من وجهته

ومر بمصر وروى عن أعلامها وبمكة المكرمة كذلك ، قال الشيخ الكتاني وقد وقفت على فهرسة المترجم ورحلته الحجارية وكناشته وديوان شعره والفهرسة مبعثرة مفرقة أبدي سبا ، ولو تممت وأخرجت لكانت مفخرة للرباط والرباطيين ، فان الرجل كان يتيمة عقدهم ، ونادرة صقعهم ، ولكنهم ضيعوه ، ولله الامر من قبل ومن بعد (185)

وقد خص المؤرخ المرحوم أبو عبد الله محمد بوجندار علماء واعلام الرباط بتاليفه « الاغتباط بتراجم أعلام الرباط » في جزءين ، وذيله صديقه

---

185) فهرس الفهارس والاثبات للكتاني ج 1 ص 205 ط فـاس .

الاديب المرحوم محمد فرفرة بكتاب « تحقيق الارتباط ، لكتاب الاغتباط » وكلاهما مخطوط بالخزانة العامة وبالاطلاع عليهما يتعرف الدارس على ما توفر عليه الرباط من عبقريات سجلها التاريخ بمداد الفخر

كالعلامة الامام الاشهر سيدي ابراهيم التادلي (186) الذي كان دائرة معارف معجمية أخذ عنه كثير من العلماء المغاربة بل أخذ عن الامام التادلي الرباطي حتى مشايخ العلم في المغرب ، وتخرج عليه من أهل الرباط جمهور من علماء الشريعة ، فيهم الاصولي والفقيه والفرضي والموثق والحيسوبي ، وفيهم البارع في كثير من الفنون المتعارفة في عصره

ومن أبرزهم وارث سره شيخ الجماعة بالرباط القاضي أبو حامد المكي ابن محمد بن علي البطاوري الشرشالي الرباطي تآليفه تربو على الستين وانتفع به الخلق الكثير من أهل الرباط وغيرهم . وكانت وفاته يوم الاربعاء فاتح محرم خمسة وخمسين 1355 وأقبر بضريح مولاي المكي بن محمد الوزاني بالرباط

والقاضي الشيخ عبد الرحمن بن بناصر بريطل الرباطي ، العلامة الكبير المتسع المشاركة من أهل التحصيل والتفنن والعلم الصحيح توفي يوم الاثنين خامس صفر عام 1363 وأقبر بالزاوية التهامية قبالة ضريح مولاي المكي بالرباط

والقاضي الشيخ الجيلالي بن أحمد بن ابراهيم الرباطي العلامة الحافظ المفتي المتوفي عام 1336 ودفن بضريح سيدي أبي الانوار بالرباط .

---

186) هو ابراهيم بن محمد التادلي الرباطي ذكر صاحب **الاغتباط** انه جال في أوربا ودرس بعض لغاتها ومؤلفاته تربو على 20 في مختلف العلوم العقلية والنقلية ذهب الى السلطان عبد الحميد العثماني عند تكالب الاستعمار المسيحي على المغرب .

والشيخ محمد بن الحسني العلامة الواعظ الشهير المتوفي في رجب عـــام 1341

والقاضي الشيخ العلامة المدقق السيد التهامي بن المعطى الغربي كان متين العلم متمكنا من الفنون الادبية ، غواصا على الدقائق حسن التعبير عن المعاني ، شاعرا مجيدا من بيت عريق في المجد والعلم ، توفي عن سن عالية شارفت المائة في ثالث شوال 1378 ـ 12 أبريل 1959

والقاضي الفهامة المدقق أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الرندي الاندلسي الرباطي من ذوى المشاركة والتحصيل ، متقن للغة جيد التعليم مفرط في الذكاء ، ذو ملكة واقتدار في ابراز المعقول في قالب المحسوس ، كان عضوا بمجلس الاستيناف الاعلى وتولى القضاء بالرباط ثم وزارة العدلية توفي في ثاني عشر ربيع النبوي من عام 1365 وأقبر بشالة

والشيخ الهمام أبو العباس أحمد بن قاسم جسوس كان عالما بالموسيقى الاندلسية الى همة عالية واباء وشمم توفي عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف 1331 وأقبر بالزاوية الناصرية ، والشيخ المقريء الرياضي المهدي بن عبد السلام متجنوش الاندلسي الرباطي قال عنه العلامة السائح هذا الرجل من الافراد الافذاذ الذين لا يجود بهم الدهـر الاغبا فمع مشاركته في العلوم امتاز بالتمهر في علوم القراءة والحساب والفلك ومـن مؤلفاتـــه شرح منظومة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة و « نتيجة الاطواد في استخراج الابعاد بالاعداد » توفي ليلة الخامس مـن ربيع الاول عام 1344 ودفن بروضة سيدي الحسن بن سعيد افران بالرباط .

وقد أخذ عن الشيخ التادلي جماعة من الاعلام من أقرانه وممن هم أكبر سنـا ، نذكر منهم على سبيل المثال

العلامـــة التهامـي بـن محمـد بـن عبـد اللـه بنانـــي متمكنا من البلاغة له شعر فائق وانشاء رائق ، حسن الخط ، عارف أحـد فقهـاء الربـاط توفي في محـرم الحـرام عـام 1300 ودفــن بالزاويــة البنانيــة .

والعلامة المفتي النوازلي السيد عمر عاشور له شرح على مختصر خليل سماه التعظيم والتبجيل وكتاب المقالة المرضية والاتحاف بشهود الالطاف توفي عند زوال يوم الاثنين متم ذي الحجة عام 1314 وأقبر بزاوية مولاي العربي الدرقاوي

والشيخ العلامة الموثق المعطي بن عبد الله الغربي توفي سنة 1310 بجـــــدة

والشيخ العلامة أبو بكر بن محمد بن عبد الله البناني ، صاحب مدارج السلوك الى ملك الملوك ، والغيث المنسجم في شرح الحكم ، والفتوحات القدسية وبلوغ الامنية في شرح حديث انما الاعمال بالنية توفي سنة 1284

والعلامة أبو العباس أحمد بن علي دنية اعتكف على طلب العلم بالرباط وفاس وبرع في جل الفنون من فقه وأصول وحديث وتفسير وبيان ومنطق ، وأكب على نفع العباد بالتدريس والافتاء ، ودرس البخاري ومسلم والموطا وتصدى بظهير سلطاني للافتاء له شرح على همزية البوصيري وختم لمختصر الشيخ خليل حج سنة 1267 وتولى الكتابة الخاصة ومهام الاستشارية لعامل الرباط السفير عبد السلام السويسي وسافر معه الى اسبانيا في مهمة تتعلق بالصحراء الغربية المغربية ، وكان يحمل أفكارا سياسية واصلاحية تتجاوز عصره وقبضة الله اليه ليلة الجمعة السادس من صفر عام 1282 ودفن بالعلـو

والقاضي سيدي أحمد بن عبد الرحمان البريبري الرباطي ، المتوفي سنــة 1293

والعلامة النحرير الخطيب البدوي السرايري الرباطي المتوفي سنــة 1295

والقاضي العلامة المشارك محمد بن ابراهيم الفقيه الحافظ ، كتب على ميارة الكبير ، وعلى الخرشي ، وشرح بردة المديح ، وكتب على التوثيق

وكانت ترفع اليه القضايا من فاس ومن مراكش فيفصلها ، وعلى مسطرته عمل الرباط توفي سنة 1297 ودفن بالزاوية القاسمية من الرباط

والقاضي العلامة أحمد بن عبد السلام ملين توفي سنة 1297

والشيخ الجليل أبو المواهب سيدي العربي بن السايح الشرقـــي الشهير ، امام الطريقة التجانية بالمغرب ، كانت تأتيه الاسئلة من أقاصي البلدان فيجيب عنها بأفصح بيان وأوضح برهان كانت ولادته فجر عيد الاضحى عام 1229 وتوفي في الساعة الحادية عشرة من ليلة الاحد 29 رجب عـام 1309

والشيخ عبد الرحمن بن عبد الله لبريس الاندلسي الرباطي ، مـــن اشياخ أبي حامد البطاوري ، الفقيه الاصولي المنطقي الفلكي كان من أبرع علماء العصر ، وامتاز بباعه الطويل في علم التوقيت والتعديل ولا زالت حصته السنوية عمدة الموقتين الى اليوم توفي قرب المدينة المنورة آخـر سنة 1307 التي حج فيهـا

والشيخ العلامة عبد السلام بن محمد بن عبد الله أكديرة أخذ عن شيخ الجماعة التادلي والقاضي أبي الحسن علي دنية وأبي حامد البطاوي ، والعلامة محمد بن محمد أكديرة وغيرهم ورحل الى فاس فأخذ عن أكابر علمائها ، وانتصب بعد ذلك لتدريسِ العلم وتخرج عليه جماعة من البلغاء ، وكان له ولوع خاص بالموسيقى والطرب وحفظ الاشعار ، وهو معدود من كبار علماء الرباط وعدوله ومن المنتسبين للطائفة الحراقيــــة ومسيريها وافاه الاجل ليلة الاثنين ثامن قعدة الحرام 1362 ودفـــن بالزاويــة الحراقيــة بالربــاط

والمفتي الكبير الشيخ الحاج محمد عاشور المتوفي سنة 1314

والشيخ الخطيب الفقيه الاديب سيدي علي بن عبد الرحمان البطاوري المتوفي سنــة 1267 .

والقاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بناني الرباطي ، كان مثال العدل والجد والصرامة وتولى القضاء والامامة والخطابة والوعظ العلماء الذين يحضرون مجالسه الحديثية . ومن الآخذين عنه العلامة أبو حامد والتدريس بالزاوية الناصرية وعينه السلطان المولى يوسف من جملة البطاوري وأبو العباس أحمد جسوس وغيرهما من مشاهير الرباط وكانت وفاته فجاة بعد صلاة العشاء ليلة الثلاثاء سادس عشر ربيع الثاني عام أربعين وثلاثمائة والف ، وأقبر بالزاوية الناصرية رحمه الله وغيرهم من الاعلام ممن يعرف بالاطلاع على كتاب الاغتباط وغيره

وقد نبغ في الرباط من العلماء ورجال التصوف الافذاذ أفراد من العارفين كالشيخ الامام العلامة العارف بالله مولاي المكي بن محمد بن عبد الله الوزاني الشريف الحسني العلمي اليملحي الذي انتشر صيته بما أظهره الله على يده من الكرامات ، وفتح صدره للعلم والولاية توفي يوم الثلاثاء تاسع رمضان سنة 1150 ، ودفن بمسجده المجاور لدار سكناه بالرباط

ومن الرياضيين من سبق ذكره كالعلامة التلمساني والامام النادلي الكبير محمد بن الرئيس علي التريكي والفقيه الاديب المترسل محمد بن والموقت الكبير الشيخ المعطي مرينو صاحب كتاب ارشاد الحائر والرياضي أحمد الرغاي الرباطي

والشيخ الامام العربي بن عبد الله التهامي الوزاني الرباطي نقيب الشرفاء الوزانيين وعالمهم الجليل صاحب المعجم التاريخي بلوغ المنى والآمال فيمن لقينه من المشايخ وأهل الفضل والكمال وصاحب كتاب فيض النيل في الفروسية وركوب الخيل » وغيرهما

ولي النقابة العامة على كافة الزوايا الوزانية والشرفاء الوزانيين بالمغرب سنة 1327 وبمراجعة فهرسته تعرف حياته الحافلة ، كان له ولع كبير وشغف زائد باقتناء الكتب العلمية وعرف عنه الاقتصاد في الاكل والاقتصار على القليل تطيبا والتبكير في القيام من النوم والتوضؤ

بالماء البارد في جميع الفصول واعتكف في بيته في آخر عمره على العبادة والنسك الى أن لقي ربه زوال يوم الخميس خامس شعبان عام تسعة وثلاثين وثلاثمائة وألف 1339 ـ 1920 ودفن داخل الروض الذي حبسه على دفنه ودفن ذريته من بعده رحمه الله

كما نبغ من المؤرخين اللامعين محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي الثقة المدقق الجماعة المختص في تاريخ الدولة العلوية ، ولد بالرباط سنة 1165 (186 مكرر) وتوفي في العشرة الرابعة من القرن الثالث عشر وهي السنة التي أنهى فيها كتابة تاريخه

ومن اللغويين العلامة محمد بن محمد بن التهامي بن عمرو الاوسي السابق الذكر المشهور بمعارضته لقافية ابن الونان الفاسي ، واقتحامه لميدان المباراة عن جدارة جعلته يتفوق في نظر النقاد على نظيره في الاغراب والتعمق ، ومتانة السبك من غير تكلف ولا هلهلة ، زيادة على مجاراته في جميع أغراضه . وبمراجعة قافيته يتبين رسوخ قدمه في اللغة التي يتسنم عرشها بدون مزاحم في عصره

وأشرقت الرباط بنور الاجلة من تلاميذ أبي حامد البطاوري ولمع نجم الحافظ سيدي محمد المدني ابن الحسني والمحدث الواعية محمد ابن عبد السلام السائح ، والشريف النابغة الألمعي سيدي عبد الله بن العربي الوزاني ، والفقيه الوزير السيد محمد بن عبد الله ملين ، والعلامة

---

186) مكرر ودرس فيها بجد واخذ التاريخ عن أبي القاسم السجلفاسي وعن عبد الرحمان الحايك في تطوان في مدرسة وقاش وعن كثير من علماء فاس وكان دائب الحركة والتجوال ويحب زيارة الاولياء وكان في آن واحد مؤرخا وشاعرا فحلا باللغة الفصيحة أو بالملحون ومات المؤرخ الضعيف بالرباط في العشرة الـخ

المشارك محمد بن علي دنيا ، والمؤرخ المحقق محمد بن مصطفى بوجندار ، والكاتب الشاعر الفحل محمد بن بنعاشر الجزولي ، والقاضي البليغ الشاعر الحاج محمد بن اليمني الناصري وغيرهم وغيرهم

وكما ساهمت مدينة الرباط في الماضي بتخريج العديد من العلماء ورؤساء البحر ، ورماة المدافع والمهارس (187) من الطوبجية وأمناء وعدول المراسي نجدها منذ مطلع هذا القرن تساهم بأوفر نصيب كغيرها من الحواضر العلمية في تخريج العلماء من محدثين وفقهاء ورياضيين وكتاب وشعراء وسياسيين ، سيما بعدما منحها المخزن الشريف مقعد الاعتبار وصارت عاصمة المملكة المغربية وأخذ أهل الفضل والعلم ينسلون اليها من كل حدب وتحقق التكامل بأمثال الحافظ الحجة سيدي أبي شعيب الصديقي الدكالي ثم الرباطي (188) ، والاستاذ الالمعي المشارك سيدي محمد المختار السوسي والزعيم العالم الرائد سيدي علال الفاسي ، وغيرهم ممن تكفل بذكرهم مؤلف أعلام الفكر المعاصر في الرباط وسلا

---

187) لما استقدم السلطان محمد الثالث بعثة الاستانة اسطمبول لاحياء صناعة الاسلحة النارية والمدفعية وكانت تتركب من ثلاثين خبيرا وجه السلطان معلمي المراكب الجهادية الى العدوتين فدخلوا دار الصناعة بالرباط وصاروا يشتغلون الى جانب المعلمين المغاربة ومن اسماء احد هؤلاء الخبراء المختصين في الرماية بمدافع الهاون الحاج سليمان البونباجي قال المؤرخ الضعيف ، وهو الذي علم أولاد الرباط وسلا وغيرهم وقد اشتهر في هذه الفترة وبعدها جماعة من الرماة المدفعيين فكان منهم في الرباط المعلم العناية البعودي وكان عارفا بضرب المهراس وهو الذي ضيق على الاسبان في حصار سبتة أيام السلطان اليزيد فقتلوه ومثلوا به في موقعة كانت يوم الخميس 24 حجة عام 1205 ـ 1791 وقد اهتاج السلطان لهذه الحادثة وتاثر بها حتى دمعت عيناه

188) هؤلاء الاكابر استوطنوا الرباط ودفن الاول بضريح مولاي المكي والثالث اقبر بروضة سيدي الخطاب بباب العلو والرابع دفن بمقبرة الشهيد علال بن عبد الله بساحة الشهداء .

وصفوة القول ان العصر العلوي بالنسبة للرباط كان آخذا بأسباب النهضة الحديثة في العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها على الاسس التي كانت معروفة في القرن التاسع عشر وكانت نية ملوك المغرب متجهة الى تحقيق الخطوات العلمية الحديثة ولكن العراقيل والدسائس الاستعمارية التي سببت الازمة المغربية المفتعلة حالت موقتا دون تحقيق العلوم العصرية التي ازدهرت في أروبا وأميركا وخطت خطوات جبارة

ورغما عن كل هذه المعلومات فقد تنبه ملوكنا الاماثل خصوصا سيدي محمد بن عبد الرحمن ومولاي الحسن الاول الى أهمية العلوم الحديثة فأرسلوا البعثات الى مصر وأروبا غير أن الدسائس التي كانت تحاك للمغرب أجهضت كل المجهودات المبذولة واقتصر الاهتمام على التعليم الاسلامي الذي نال العناية الفائقة من قبل السلطان مولاي يوسف بن الحسن الاول وكان صعوده على العرش عقب اعلان الحماية وتنازل السلطان عبد الحفيظ عن العرش بمثابة فتح صفحة جديدة في تاريخ المغرب، حيث بدأ بمعاكسته للاحتلال المباشر وامتناعه عن التوقيع على ظهائر متعددة كانت ترمي لتشتيت وحدة الامة وطمس الشخصية المغربية وأدرك ببصيرته الوقادة أنه لن يتم الخلاص الا بالعلم والاستمرار في المخطط المنطلق من عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله فقد أصبح المغرب أعزل من كل سلاح وتحطمت قوته الادارية والعسكرية نتيجة المؤامرات والمناورات التي بدأت منذ طرد المسلمين من الاندلس نهائيا فكان العمل اذن هو الشروع في تطوير سياسة التعليم ، وتنظيم الحملات الهادفة الى انشاء نوع من للتعليم المعاصر وهكذا أنشأ مجموعة من المدارس في سائر المدن المغربية الكبيرة ومن ضمنها رباط الفتح التي تعززت بثانوية مهمة تحمل اسمه الكريم

وكان سلاح الحرب الذي اختاره ولده المقدس جلالة محمد الخامس هو العلم ونشر الثقافة والمدارس والمعاهد

وعندما اشتد ضغط الحصار المفروض من طرف الاستعمار ، واحتدم الصراع بين لغة المستعمر ولغة الوطن برز التعليم الوطني الحر الذي تركز في المدارس الحرة لمقاومة الفرنسية وتفننت الشخصية المغربية المحافظة على الاسلام وعروبة اللغة ، فالتحق بالطليعة نخبة من المفكرين من الكتاب والشعراء يتقدمون الصفوف معتصمين بفكرة خلق نهضة متوثبة مشحونة عزما لاحياء معالم الحضارة المغربية ومجابهة التحدي الاستعماري. وظهرت في أفق حركة الاصلاح الديني دعوة الحافظ السلفي الشيخ أبـي شعيب الدكالي الذي نشر في المغرب دعوة الحركة السلفية على غرار ما فعل الشيخ الامام محمد عبده في مصر وترك مدرسة حديثية سلفية قاومت البدع والاهـــواء

ومن أعلام مدرسته العالم الحجة السلفي محمد المدني بن الحسني ، والمحدث العلامة محمد بن عبد السلام السايح وغيرهما واشتغل هـؤلاء الاعلام بنشر السلفية السنية بما أذاعوا من مؤلفات ، وألقوا من دروس وأحاديث ، وراجت حركة التأليف الادبي والتاريخي فألف المـــؤرخ بوجندار تاريخ الرباط وكتب الفقيه محمد بن علي دنية مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء الرباط وكتب الاديب أحمد الرجراجي الرباطي الشموس المنيرة في تاريخ الصويرة .

وكتب الشيخ محمد المكي الناصري فرنسا وسياستها البربرية و اظهار الحقيقة وعلاج الخليقة وكتب الشيخ الحاج محمد بن اليمني الناصري كتاب ضرب نطاق الحصار على أصحاب نهاية الانكسار والاديب محمد بن العباس القباج الادب العربي في المغرب الاقصـى والاستاذ عبد الله الجراري دروس التاريخ المغربي والاستاذ محمـــد الرشيد ملين « عصر المنصور الموحدي » ونضال ملك ، وبرز من ألمـــع المؤلفين الاستاذ المحقق عبد العزيز بنعبد الله الذي ألف وكتب كثيرا من الروائع والاستاذ الحسن السائح والاستاذ عباس الجراري وغيرهم

من الشباب الحي كما تجلى اثر هذه النهضة في موضوعات الشعر الذي ظل في لغته وقوالبه يستجيب لحاجات العصر ويحث على التقدم والانعتاق ومن شعراء هذا العهد السادات أحمد الزبدي ، ومحمد بوجندار ومحمد الجزولي ومحمد بن اليمني الناصري وأبو بكر بن أحمد بناني ومحمد الاوراوي وعبد الرحمن بن ابي شعيب الدكالي ومحمد المكي الناصري ومحمد الشرقي الشرقاوي

وازدهر الانتاج الفكري بعد خمول وظهرت الجرائد والمجلات تحمل الفكر الجديد المتأثر بكتاب الشرق واستجابت للموضوعات الاسلامية والفكرية والوطنية

ونظرا لما كان لحركة الاستشراق من دور مهم في بعث التراث المغربي وتحقيق معهد الدروس العليا لعدة كتب فقد أثر ذلك كله على تطور الابحاث وطرق التعليم وأدى هذا التطور الى تكوين أول جامعة مغربية بالرباط مع ما تحتوي عليه من مراكز للابحاث العلمية والقانونية وكافة فروع المعرفة

وباقامة هذا الصرح العتيد احتجب التعليم الاصيل أو كاد ونعني بذلك تحصيل العلم على الطريقة التقليدية بالمساجد والزوايا

وصار الرباط بعد الاستقلال مقصد الطلاب ومهوى الافئدة يؤمه الآلاف من عشاق المعرفة للتزود بما ينير السبيل ويحقق اطراد التقدم والازدهار اللذين لا غنى عنهما لمجتمع يحترم نفسه ، كما استطاعت أن تمتص أجود العناصر من سائر أطراف البلاد ، بل ومن العالم العربي أجمع. بسبب ما يتوفر فيها من الكليات والمعاهد وما تيسره للطالب والاستاذ من الوسائل العلمية التي لا تتوفر في غيرها كدار الحديث الحسنية ومعاهد التكوين المختلفة

ويجب أن لا نغفل عن تسجيل ما قامت به الكتاتيب القرآنية من أعمال ومجهودات في ميدان التوجيه والتكوين التي تضاف الى الفيض المتدفق الذي تركه العلماء الاجلة حيث كان المعلمون بهذه الكتاتيب يتوفرون


الجوق المغربي
بالرباط
للتمثيل العربي

في الغالب على ثقافة اسلامية أصيلة ومن أهل المروءة والورع وحسن السلوك وكانوا يلقنون التلاميذ زيادة على استظهار القرآن واتقان رسمه مختلف المتون في أنواع الفنون ومبادئ الحساب والتجويد كما كانت مجهوداتهم بالنسبة لظروفهم الوقتية أشبه بمراحل التعليم الابتدائي

ومما يندرج في تاريخ الحضارة الفكرية بالرباط ما كان للصحافة الوطنية والشرقية من دور ايجابي في التوعية وتنوير الاذهان ومقاومة الاندماج والتعريف بالفنون الحضارية التي لا غنى عنها لمسايرة التطور

وتعرف الرباطيون على المسرح الحديث منذ أكثر من نصف قرن عندما زارت فرقة عز الدين المصري مدينة الرباط سنة 1341 فمثلث رواية هارون الرشيد بمسرح أبولو بشارع العلو ثم فرقة فاطمة رشدي وعزيز عيد التي عرضت عدة روايات وتكونت فيما بعد فرقة الجوق المغربي بالرباط للتمثيل العربي من نخبة من الشباب الناهض بقيادة الزعيم الوطني السيد محمد اليزيدي ، ومثلت بالمسرح الملكي رواية صلاح الدين الايوبي ، ومصارعة العواطف ، وبمسرح النهضة بالرباط كذلك رواية طارق ابن زياد وتولد عنها بعد ذلك بكثير عدة فرق منها ما نعرفه اليوم ، وله تاريخ ينبغي أن يعرف ويكتب

واذا كانت الموسيقى بحق من ألطف الفنون وأجملها ، تحن اليها الطباع في التعبير عن الهواجس النفسية وتصبو اليها العواطف والحواس في شوق وايناس فان من أرقاها الموسيقى الاندلسية عند المغاربة وغيرهم من ذوى الاذواق السليمة لما ينتج عنها من الصفاء القلبي وتحليق الوجدان في سماء الفن الروحي اللطيف ومن منابتها الخصبة مدينة الرباط ظهر فيها فنانون نجباء من العازفين والمنشدين بلغوا شأوا بعيدا في تذوقها وتعليمها والتغني بها ومن جملة الاساتذة الاعلام الذين يرجع اليهم الفضل في الاعتناء بها وحفظها من الاندثار ، امام

الرباط سيدي ابراهيم التادلي الرباطي الذي صنف فيها كتاب أغاني السيقا ، ومعاني الموسيقى فرغ من تآليفه سنة 1307 في مقدمة وأربعة أبواب الاول في حقيقة علم الموسيقى ، والثاني في موضوع يشتمل على جداول الطبوع والثالث في واضعي فن الموسيقى والرابع وما والاه ذكر فيه جماعة من الفنانين بفاس ، وسلا ومراكش والرباط وفي آخره ذكر أنواع الاطعمة والعطور ، ووصف الحفلات شرقا وغربا

ومن مشاهير المطربين بالرباط الموسيقار ابراهيم بن محمد الجزولي 1325 ـ 1907 ذكره في الاغتباط والموسيقار أحمد المحجوب زنيبر الرباطي من كبار المطربين البارعين ، كان يحسن العزف على كثير من الآلات الموسيقية خصوصا الكمنجة الذي تخرج فيها ، وتفوق في صناعتها على جل معاصريه ، ولد بالرباط 1294 ومن أشياخه الكمنجي الشهير المعلم سعيد ، والمعلم المهدي والموسيقار محمد البريهي والسيد ادريس بن جلون

والمطرب المتفنن امبيركو الملقب بحبيبي وهو محمد بن الحاج أحمد الدكالي الفرجي الرباطي ، من كبار الموسيقيين المشهورين يحفظ الطرب الاندلسي ، وكان طائر الصيت في سائر الاوساط الموسيقية ، ولم يكن ولوعه مقتصرا على الاندلسي بل حتى الجزائري والتونسي وكان يستعمل آلة الرباب ويفضلها

والموسيقار الطيب بن الكاهية تلميذ زنيبر والجعايدي ، وسيدي يوسف الحمال ، كان رئيسا لجوق الرباط ، وكان يجيد العزف على الكمان ببراعة وتفوق ، كما كان حسن الصوت والحفظ والمنظر والمخبر

والموسيقار محمد السبيع المتقن لأصول الطرب وأدواره وألحانه

والحاج عبد السلام بنيوسف كان خزانة متحركة يستظهر الاشعار والموشحات والازجال وقصائد المدح ويتقن معرفة الاوزان والالحان وكان يقود الاجواق بالضرب على آلة الطار ولا يميل للعزف على أية آلة .

والمطرب الشهير الحاج ابراهيم بن عبد السلام الرباطي كان يعزف على جميع آلات الطـرب

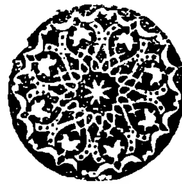
والمطرب الرفيق الانيق السيد محمد بن عبد السلام بن الحاج الخضر، من أبرع العازفين على الكمنجة . ولد سنة 1325 ، وبدأ يشتغل بالموسيقى في حداثة سنه حتى أصبح من المشار اليهم بالبنان وأخذ عن كثيـر من شيوخ المطربيـن

ولا يخفى على أحد أن من فنون الطرب الشائعة بالمغرب فن « الفريجة » وهو المعبر عنه بالملحون ويسمى عند العوام بالموهوب كما يسمـــى ناظم الملحون شيخا ولا يسمى شاعرا والمولعون بحفظ قصائد اللحون والمشتغلون به كحرفة يعرفون بالحفاظ والمشتغلون بانشائه يعرفـون باسم « النضاما ويطلق على الكل أشياخ الملحون

ومن أشهرهم بالرباط الشيخ أحمد الكندوز المشهور عند أرباب الفن ، والشيخ محمد بن أحمد الشرقاوي الرباطي والشيخ الضعيف والشيخ بوعزى الدريبكي الاوديي ، والشيخ المكي الريش ، والشيخ عثمان الزاكي، والشيخ مصطفى العوفير الـــــخ

وبالاطلاع على ما سطرناه باختصار يتبين للقارىء النبيه أن تاريخ الفكر بالرباط زاخر بالمفاخر ، وأن مدينة الرباط لم تتخلف عن الركب منذ نشأتها الى أن تصدرت الطليعة ، وهو تاريخ حافل جدير بالاحترام لا أظن أنني استوفيت ما قصدت اليه ، فذلك ما يعسر استيعابه وانما هو غيض من فيض .

الفصل التاسع



حاضر الرباط

الرباط اليوم هي العاصمة الادارية والسياسية والثقافية ، وتمتد في دائرتها الحضرية بعمرانها وشوارعها وميادينها وحدائقها على مساحة 12.000 اثنلي عشر الف هكتار منها 418 هكتارا تشغل المساحة المحاطة بالاسوار ، وهي الحدود الموحدية

والمدينة القديمة عبارة عن مربع يميل الى استطالة غير متساوي الاضلاع ، ويخترقها في اتجاه الطول شارع العلو ، وشارع بوقرون وشارع السويقة ويخترقها في اتجاه العرض شارع القناصل ، وشارع سيدي فاتح ، وشارع الجزاء ويفصلها عن المدينة الجديدة السور الاندلسي الممتد من برج سيدي مخلوف الى باب الحد حيث يلتقي مع السور الموحدي ينعطف نحو الشمال محاديا للمدينة في اتجاه الشاطيء والمنار البحري لارشاد السفن

وتقع قصبة الاوداية في الناحية الغربية ، وزاوية شالة التاريخية في الناحية الشرقية ويفصلها عن مدينة سلا نهر أبي رقراق الذي تمتد فوقه قنطرتان لربط المدينتين ، وثالثة خاصة بالسكة الحديدية ، وأنابيب الماء المجلوب من الفوارات وسد واد كرو

تزدان العاصمة بآثارها التاريخية والعمرانية وتعتز بكونها مركز اقامة الجلالة الشريفة رمز النهضة المغربية الحديثة وله تدين بجميع ما جعلها تحتل أسمى المقامات في عصره الزاخر بالعلوم والفنون ومظاهر الحضارة والعمران

1 تحتضن الرباط القصر الملكي العامر الذي يضفي عليها طابعا من الروعة والمهابة ، ويجتمع فيه سر الفن وجمال التخطيط وعبقرية الملوك

2) والمشور الفسيح ، وهو عبارة عن ساحة القصر العامر ، تتجاوز مساحته خمسين هكتارا ويحتوي على ضريح السلطان المقدس

الحسن الاول وجثمان السلطان محمد الثالث وجامع أهل فاس والمجلس الاعلى للقضاء ووزارة الدفاع ، ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وملعب الفروسية ومساكن الحرس الملكي والمطبعة الملكية وقصر المقاطعة الحضرية الخاصة بجماعة التواركة الذيـن يشكلون في معظمهم أتباع القصر الملكي صانه الله

وفي عهد جلالة محمد الخامس بني البابان الاساسيان ، وأطلق علـى أحدهما باب السفراء ، وعلى الآخر باب القيادة العليا

وكان أحد البابين في الاصل من بناء السلطان مولاي عبد الرحمان والآخر من بناء ولده السلطان محمد الرابع ، كما تدل الكتابة المنقوشة عليهما مما يدل أيضا على أن بناء سور المشور يرجع تاريخه الى هذا العهد ويبلغ طوله 373 ميترا وفي العهد القريب صدرت الاوامر العليا باضافة باب جديد في الجانب الشرقي بالسور الموحدي على نسق البابين السالفي الذكر وهي نافذة لمعسكر الحرس الملكـي ويمتاز بنفس الصفات ونفس الروعة ونفس الحجم والشكل

يتصل المشور بشارع الدستور بواسطة بابين عظيمين متجاورين احدهما للدخول اليه والآخر للخروج منه طبقا لنظام المرور ، ولربط المشور بجهة الجنـــوب

وأصبح المشور في شكله الحديث بمسجده وغابته وحدائقه وفسقياته ودارته وأضوائه تحفة تستهوي الزائرين وصورة ناطقة للجهـود المبذولة بعد التحرير في مجالات التخطيط والتحسين

3) والمدينة العربية القديمة تمتاز بالفن المعماري المغربي الاندلسي ويتجلى ذلك فـي كثير من الدور بمختلف جهات المدينة ، وفي بعض المساجد والزوايا والاضرحة وتختص الدور بطابعها الرباطـــي الناصع البياض الذي يعتمد على البناء بالحجر وقد احتفظت الدور الرباطية الى عهد قريب بتصميمها المعماري التقليدي الذي يجعـل

ساحتها الداخلية تتصل بالخارج عن طريق دهليز منعرج وهـذه الساحة كثيرا ما تكون محاطة بأروقة وحنايا حجرية تتفتح فيهـا غرف مستطيلة ذات أبواب عالية فوقها شماسات وعلى جانبيهـا نافدتان متوازيتان وفي احدى جوانب الساحة بهو تقابله سقايـة أو فسقية فوارة في الوسط وكثيرا ما تشتمل الدور الكبرى علـى طبقتين وعلى روض بجانبها للزوار والضيوف ، مع الحرص على تزيين شرفات الاروقة العليا بالقرميد الاخضر ، ويغلب تبليط الارض بالرخام أو الزليج المتعدد الالوان

4) وقصبة الاوداية بمسجدها العتيق وساباطها العظيم ومساكنهـا الواطئة البيضاء ومتحفها المنظم وحديقتها الغناء ، ومقهاهـا اللطيف الذي يشرف على مصب الوادي وأسوار سلا

5) والمدينـة الجديدة التـي اقتضى تطور الاوضاع ولوازم الحضـارة وجودها وتتكون من حي المحيط الذي يتفرع منه حي القبيبات ، وحي العكاري وحي قريون وكلها ذات طابع محلي وتتوفـر فيها متطلبات الحيـاة

6) وحي يعقـوب المنصور وهو أعظـم الاحياء وأوسعها بمساكنـه الاقتصادية ، ومرافقه الضرورية الدينية والاجتماعية والتهذيبية

7) وحي أكـدال بقسميه العلوي والسفلي ويحتوي على الكثير مـن الدور الجميلة والعمارات المنمقة

8) حي الليمون ويجمع بين جمال الهندسة المعمارية الاروبية وبيـن جمال شوارعه ومساكنه الغارقة في الاشجار والخضرة

9) حي الطيارات وهو معروف بجـودة هوائه ، حيث انه يقع في أعلى مكـان بالربـاط

10) حي اليوسفية وما جاوره من الاحياء المترامية الاطراف المشتملة على كل الوسائل اللازمة لمسايرة العصر

11) حي منار حسان ، وهو أقدم حي بالرباط بعد المدينة العربية ، وبه المسجد والمنار الذي سارت بذكره الركبان وضريح محمد الخامس الذي أضفى على المدينة كثيرا من الروعة والجلال فهو في النهار مزار وفي الليل منار

12) الحي الاداري المعروف سابقا بالمنزه وبالاقامة العامة ، ويشتمل على جل وزارات المملكة ذات الطابع المغربي الصميم هندسة وزخرفة، كما يشتمل على كثير من الدور الجميلة المنتشرة في أعالي ضفة أبى رقراق

13) حي السويسي ، وهو مضرب المثل في جودة المناخ وأفانين الجمال مساكن وقصور أنيقة وحدائق وجنات مخضرة وأشجار مثمرة وورود عبقة ولا زالت اطرافه تمتد من سائر جهاته كأنها دبيب الشفاء في الجسم العليل

ومن ناحية الجنوب الغربي لمدينة الرباط على طريق الدار البيضاء توجد حديقة الحيوان العجيبة التنسيق الموضوعة على أحدث طراز وبها يشاهد الزائر مجموعة متكاملة من الأسود ، والنمور ، والفهود ، وأفراس البحر ، والفيلة ، والقردة ، والزواحف ، والطيور النادرة وغيرها مما لا غنى للزائر عن مشاهدته سواء للدراسة أو لمجرد المتعة والفرجة ورياضة التجول في حدائقها اليانعة

وعلى بعد بضعة كيلوميترات في طريق زعير يوجد ملعب الكولف الملكي ذو الشهرة العالمية في الجودة والتنظيم وحسن التقسيم وفتنة الطبيعة الخلابة تقام فيه أشهر المقابلات الدولية التي يشترك فيها أقطاب رياضة الكولف من جميع القارات

ويطوق جميع هذه الاماكن شمالا وشرقا وجنوبا حزام أخضر من الغابات الجميلة الوارفة الظل يقصدها السكان والزوار للاستجمام من عناء العمل ، وللتمتع بمباهج الطبيعة العذراء ، وخصوصا في فصلي

الشتاء والربيع حيث تنعم المنطقة بالشمس الساطعة والجو الدافـي والنسيـم العليـل

وبأرباض المدينة بين مشارف عكراش ووادي أبي رقراق يندهـش الزائر من فتنة بحيرة سد الوادي حيث يمكن التمتع بممارسة صيد الاسماك، ورياضة التجديف ، وقطف الزهور البرية المتناثرة في كل مكان ابان فصل الربيـــع



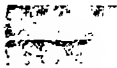
جامعـة محمـد الخامـس

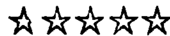
وتعتبر مدينة الرباط بجامعتها العتيدة جامعة محمد الخامس التـي جعلت من الرباط مركز اشعاع يضم خيرة المفكرين وعلماء العصر مـن الشرق والغرب والتي ما فتئت تؤدي رسالتها وتبلور المدلول الحضاري للنهضة الحديثة للمغرب الجديد عاملة على تقوية روح الشخصية المغربية وخلق وعـي ثقافي لدى الشباب للبحث والانتـاج

وبمجرد بزوغ فجر الاستقلال قام ابو النهضة المغربية الحديثـة بتأسيسها في 27 دجنبر 1957

وصـدر في شأن احداثهـا وتنظيمها ظهيـر شريف يحمـل رقـم 390 ـ 58 ـ 1 بتاريخ 15 محرم 1379 الموافق 21 يوليوز 1959

وتشتمل على كلية العلوم ، وكلية الحقوق ، وكلية الطب والصيدلة ، وكلية الآداب بالاضافة الى ما ينتسب اليها من المعاهد والفروع فـي مختلـف العلوم والفنـون





الخزانـة الملكيـة

كانت هذه الخزانة داخل قصر الرباط وأضيـف اليهـا مـا كـان بقصـر السـلام وغيـره مـن القصور الملكية واكتشفت فـي القصر العامر بفاس عشرات الصناديق المملوءة بآلاف المخطوطات العزيزة الوجود فصدر الامر بنقلها الى خزانة الرباط ، وأسندت ماموريـة السهـر على تنظيمها وفهرستها الى مؤرخ الدولة الاستاذ البحاثة عبد الوهاب بـن منصـور .

وقد بلغ ما سجل منها ما ينيف على العشرة آلاف مخطوط ، وتضم كتبا مهمة في كل ميادين الثقافة العربية القديمة والعلوم البحتة كالرياضيات والطبيعيـات

وقد قامت منظمة اليونيسكو بتصوير مئات من نفائس مخطوطاتنـا وايداع أشرطتها في معهد المخطوطات العربية التابع للجامعة العربيـــة بالقـــاهـــرة

كل هذا بفضل تقدير صاحب الجلالة لهذه الثروة التي لا تقدر بثمن ، وتسهيل وسائل الاستفادة منها ويعتبر تنظيم المكتبة الملكية ، وفتـح أبوابها للباحثين للاستفادة منها من أهم المفاخر الثقافية لعهد الحســن الثـــانـــي



الخزانـــة العـامـــة

أسست بمقتضى ظهير صدر في سنة 1926 كمؤسسة عامة ، وكانت نواتها الاولى مجموعة هامة من الموسوعات والمصادر والمؤلفات التـــي تتناول أهم الدراسات والابحاث في الشؤون الاسلامية وشؤون العالم الافريقي عامة ، والمغرب العربي خاصة وهي مجموعة فريدة لا نظير لها وكانت تابعة لمعهد الدروس العليا المغربية في العهد البائد وأضيفت اليها مكتبة زاوية الشيخ ماء العينين الشنقيطي بفاس ، ومكتبة الحـاج المختار السوسي بمكناس ومكتبة النادي الالماني بطنجة ومكتبـــة السلطان المولى عبد الحفيظ بطنجة ، ومكتبة الفرنسيين كلوزيل وبرنار

وتعتبر هذه المجموعات أساس الخزانة العامة بالمغرب

وفي سنة 1929 أضيفت اليها مكتبة لوريش قنصل فرنسا بالرباط

وفي سنة 1936 أضيفت اليها مكتبة القسم الاجتماعي بســلا

وفي سنة 1958 أضيفت اليها ما أوقفه السيد بنعاشير الرباطي الكتبي مـن مخطوطـات

وفي سنة 1959 أضيفت اليها مكتبة الشيخ عبد الحي الكتاني والباشا التهامـي الكلاوي

وفي سنة 1960 أضيفت اليها مكتبة وزير العدل السابق الشيخ محمـد الحجـــوي

وفي سنة 1960 أضيفت اليها مكتبة الصدر الحاج محمد المقري

كما تأسس جناح خاص ببعض مخطوطات الاوقاف ويشتمل قسم المخطوطات في مجموعه على ما يناهي ثلاثين ألفـا

ومنذ سنة 1956 والمكتبة تسعى جاهدة لمزيد الازدهار ، وربط الصلات المكتبية مع باقي الخزانات في الاقطار الاخرى لتقوية فعاليتها في المجالات الثقافية والعلمية ، وظلت تعمل في أمانة على تزويد القارىء بما يرغب فيه من شتى أنواع المعرفة



دار الحديـث الحسنيـة

أسسها جلالة الحسن الثاني وأعطاها اسمه بظهير ملكي رقم 68 ـ 187 بتاريخ 11 جمادى الاولى 1388 موافق 6 غشت 1968 ينظم الدراسات العليا في مواد التفسير والحديث والفقه والادب العالـي

والغاية من ذلك تخريج علماء أفذاذ قادرين على التوسع في دراسة الحديث وحمل أمانة الدعوة الاسلامية ويخول بمقتضاه منح شهادتي ديبلوم الدراسات العليا والدكتوراه (168 مكرر)

وقد أصبحت أخيرا جامعة اسلامية ثابتة الاسس لها تقاليدهـا الجامعية ولها زيها الخاص بأساتذتها وصار لخريجيها حق الاسبقية في تسنم المناصب التي تليق بحملة الشريعة الاسلامية .

---

168) مكرر وقد احدثت فى اطار الدراسة خمسة شعب هي

شعبة القرآن والحديث

شعبة الفقه الاسلامي والدراسات القانونية

شعبة الفكر الاسلامـي

شعبة الحضرة الاسلاميـة

شعبة التاريخ الاسلامي

متحـف الآثـــار

وهو من أقدم المتاحف الاثرية المغربية ، ومن أدقها تنظيما ، يرجع تاريخ تأسيسه الى سنة 1930 ، وقد أدخلت تغييرات على تصميمه الاول ، وأصبح منذ سنة 1960 على الحالة التي هو عليه الآن ، ويضم هذا المتحف جميع ما عثرت عليه مصلحة الآثار في الحفريات التي كانت تجريهـــا بالمناطق الوسطى والجنوبية للمغرب

وهو يعطي للزائر نظرة موجزة عن أهم المواقع الرومانية بالمغرب ، وما جرى بها من حفريات وما عثر عليه من قطع نادرة ، فيجد نموذجا مـن الجبس للبيت الروماني بوليلي بقاعاته الفسيحة وفسيفسائه الجميلـــة المتقنة الصنع ثم آثار بانسا وتاموسيدا وغيرها وبجانب هذا يجد معروضات عن لوازم البيت من أدوات الطبخ والزينة والحياة المهنية كانابيب المياموأدوات المقاييس والبناء ومكاييل الوزن ، وأدوات النجارة والادوات الجراحية والوقائية التي كانت تستعمل في علم الطب قديما وأدوات التجميل النسوية والحلى الذهبية من أقراط وأساوير وعقـــود وغيرهـــا

وبالمتحف قاعة بيضوية خصصت لعرض أهم الآثار البرونزية التـــي اكتشفت بمدينة وليلي وغيرها وهي تضم أنفس القطع التي أصبحت لها شهرة عالمية ، وخاصة رأس جوبا الثاني الملك الموريطاني ، والغلام المتوج والتمثال النصفي لكاتون الكاتب الشهير وفينوس وآلهـة المحيط ، وهرقل ، وبعض قطع الزينة من خيول وقناديل وغيرها كما يجد في قاعات أخرى أهم الآثار الرخامية مثل الشاب البربري واميليـن السكران ، مع بعض الكتابات الرخامية

وهذا المتحف يعطي للزائر فكرة عامة عن عهود ما قبل التاريخ مـن العهد الحجري القديم الى فجـر التاريخ

ويلي ذلك معروضات عن تاريخ المغرب قبل الاسلام كالحضارة التي انتشـرت في شمـال افريقيا علـى العموم نتيجـة الحروب القرطاجنيـة الرومانية ، ثم معروضات عن حياة الرومـان بالمغـرب ، وخاصـة الحيـاة العسكرية ، ومجموعة من القوانين والتشريعات القديمة وقد اشتهر المتحف على الصعيد الدولي بتحفه النادرة مثل تمثال جوبا الثاني ، وكاتون ، وكلب وليلي ، والشاب الساقي



متحـف الاودايـــة

يقع داخل قصر تاريخي يرجع الى عهد المولى اسماعيل في القـــرن الحادي عشر حسبما تشهد بذلك الكتابات المنقوشة على الخشب الـذي يتوج أروقة القصر وقد استعمل هذا القصر في بداية القرن العشرين كمعسكر ثم رمم سنة 1915 وتحول على اثر الاصلاحات الى متحف ويوجد بجانب المدخل قاعة على هيأة مسجد اتخذت لعرض مختلف الازياء المغربية والبسط والزرابى القديمة ، ويتوسط القصر متسع رحب تتوسطه نافورة يتفجر منهـا المـاء

وعلى يمين الداخل بهو مرتفع يقابله في الجهة الاخرى بهو مرتفع مثله عرضت بها أهم الآلات الموسيقية العتيقة المستعملة بالمغرب ســـواء المستعملة في المدن أو في البوادي وكذلك مجموعة من أنواع الخـزف المغربي ويعرض في احدى القاعتين الكبيرتين مختلف أنواع الحلـــى المستعمل بالمدن ، وهو مطعم بالاحجار الكريمة والجواهر النفيسة ، وكذلك أنواع الحلى المستعمل في البوادي ، وهو من الفضة في الغالب ، ويعد عند المرأة البدوية مقياسا للثـــراء

كما أعدت القاعة الثانية الكبيرة المطلة على الحديقة لتكون مثالا للبيت المغربي التقليدي بسرره وطنافسه وأدوات الصناعة التقليدية التي تزين بها البيوت المغربية عادة كالمبخرة والمرشة وغيرها .

وأهم ما يوجد بهذا المتحف معروضا بقاعة صغيرة تشرف على فناء المكان مخطوطات دينية نادرة مكتوبة بماء الذهب ، ومزينة بألوان تستدعي الاعجاب وتترك المتأمل في حال نشوة لا يوصف تأثيرها ومن هاتـه المخطوطات مصحفان من القرآن الكريم كتبا بخط يد الامير المرتضى الذي تلاه وآخر ملك من ملوك الدولة الموحدية عام 650 هـ 1252 م

وبجانب القصر حديقة مشهورة غارقة في أنواع الورود والزهور ، وفي أعلالها توجد السانية (الناعورة) المائية التقليدية التي تدار بواسطة دابة كما يوجد على الجانب الايمن من مدخل الحديقة بعض الدكاكين يشتغل فيها صناع مهرة كالجوهريين والحدادين . ومجلدى الكتب ، وأدوات المكاتـب الجلديـــة

وفي قاعة كبرى بالحديقة توجـد 28 واجهة زجاجية تقدم للـــزوار مجموعة نادرة من الازياء المطرزة التي تستعمل في البادية المغربية



مـآثـــر أخـــرى

وقد سبق لنا الكلام على الشواطيء القريبة الموجودة بأرباض المدينـة وما تيسره للمصطافين من مباهج وتسلية فضلا عن استرجاع النشـــاط واستكمـال الصحـة الغالية

تنفرد العاصمة بـ قصر الرياضة المغطى بشارع ابن ياسيـــن بحي أكدال ، وهو على شكل بيضوي ، يتسع لازيد من ثلاثة آلاف مقعد وقد بني على طراز حديث يستلفت الانظار وبها حديقة التجارب بشارع الحسن الثاني وحديقة المنظر المثلث بين السور الاندلسي وعمالـــة الرباط ، وبداخلها مسرح محمد الخامس الذي يعد أكبر مسرح في المغرب وحديقة الاوداية المشهورة في عالم السياحة وبها كثير من الملاعـــب الرياضية ومراكز السباحة وميادين الخيل ومصائد الاسماك والطيـور

أهالي الرباط وبيوتات الرياسة فيه

نقتصر هنا على تسجيل معلومات تتعلق بأهل الرباط الاولين ومن أتى بعدهم الى حدود أوائل قرننا هذا

وليس هناك من سبب أو دافع لذلك سوى معرفة الجانب التاريخي لتجمع عناصر السكان ولربما احتاج البعض في يوم من الايام لهـــذه المعلومات لسبب من الاسباب والا فاهل كل مدينة هم المستقرون بهـا الذين يعملون لازدهارها ويتفيؤون ظلالها ويتمتعون بخيراتها ، غير جاحدين ما نالوه باستيطانها من علم وثروة ورفعة شـان

وقد اعتمدت في جمع معلوماته على ما نقله الضعيف وبوجندار وغيرهما وسنرى أن المجتمع الرباطي يتكون من بقايا جند المنصور الذين تركهم مع باقي الصناع والفعلة بعد أن جعل على المدينة من أمناء المصامدة من ينظر في أمر نفقاتها وما يصلحها مدة من خمس عشرة سنة طول مدة ولايته الى سنة خمسمائة وأربع وتسعين كما جاء في المعجب

ومن الشلاويين الذين انتقلوا اليه من شالة لخرابها وعمارته ، وقدمها وجدته فانتقلت اليه سائر حرفها وصنائعها تبعا لانتقال أهلها ومن هذا الفريق أولاد الشلاوي المعروفون بالرباط ومنهم أولاد أبي الشكاوي دفين شالة ومنهم أولاد ابن الخضر وأولاد ابن العاسري وأولاد المحرزي والســالمـــي

ومن السلاويين الذين انتقلوا الى الرباط لاسباب مختلفة كأولاد السلاوي ، والبريبري والرايس ، والشدادي ، وفنيش ، وزنيبر ، وابن يوسف ، وبوحدو وكذلك الشرفاء القادريون بالرباط ، أصلهم من سلا كما حرر ذلك المؤرخ بوجندار

ومن سجلماسة السادة العلويون السجلماسيون أبناء مولاي علـــي الشريف الحسني .

ومن وزان الشرفاء الوزانيون من ذرية مولاي عبد الله الشريف اليملحي العلمي الحسني امام الطريقة الوزانية الزروقية الشاذلية بالمغرب المتوفي سنـــــة 1089

ومن المرابطين بعض أهل الزوايا كالسادة الناصريين ، والشرقاويين، والمباركيين والعيساويين ، والعايديين (191)

ومن قبيلة بني أورى بالشاوية أولاد الاوراوي ، وينتسبون الـــى الشرفاء العزوزيين

ومن تادلة أولاد التادلي ينتسبون الى سيدي جابر بن سليمان دفين قصبة تادلـــة

ومن دكالة أولاد الدكالي ، وأولاد فرج ، وأولاد الغربي

ومن عرب الساقية الحمراء أولاد بوجندار وأولاد العدلاني ، وأولاد السويسي انتقلوا منها الى السوس الاقصى ، ومن سوس الى الرباط

ومن فاس من انتقلوا الى الرباط للاتجار والتوظيف واتخذوه موطنـا وقرارا ومن هذا الفريق أولاد الحلو ، وجسوس ، وبناني ، والتازي ، والازرق ، وبوهلال ، والقباج ، والشرايبي والفاسي وبنشقرون ، ومكـوار وبنجلـون

ومن تافيلالت أولاد بـرق الليـل

ومن الجزائر أولاد الشرشالي المعروفون بالبطاوري ، ينتسبون الى الامام أبي مهدي عيسى الغبريني عصري الامام ابن عرفة ، وأولاد بنعبد الرحمن المعروفون بأولاد بورقية وأولاد الحجوي ، وهم ثعالبة من صميم عـرب اليمـــن

ومن المختلطين الوافدين من باقي المدن والقرى كما تدل على ذلك نسبتهم كأولاد الشياظمي ، والشيخـاني ، والـزعـري والتطـاونـي ، والمكناسي ، والمراكشي ، والبيضاوي ، ومن هم من هذا القبيل .

---

191) نقله المؤرخ بوجندار في مقدمته

ومن الاسلاميين الذين اختاروا اعتناق الاسلام بعد طردهم مـــن الاندلس واستيطان الرباط الذي لم تكن لهم دار ســواه

ومن الاندلس ، وهو فرع طويل عريض ، منه جل العائلات الموجودة بالرباط ويرجع نسب أهل الاندلس الى قريش والانصار والى العرب الذيــن التزموا طاعة الاسبان والبقــاء تحت حكمهم الى ما بعــد سقوط غـرناطـــة

وسندرك لاول وهلة عند استعراض أسمائهم ما هو عربي أصيل ، أو معرب دخيل تولد من الامتزاج بالاسبان وما هو أعجمي محض كـــان لاشراف الاسر الاسبانية وبقي عالقا بحامليه الى عصرنا هذا واليكـم ثبتا حافلا لجل أسماء الاندلسيين بالرباط

متجنوس	سباطـا	مرينــو	جوريــو	بلافريج
بربيش	دنيـــا	تكيطـو	فشاردو	جديــرا
فلوريش	بنطوجـا	كيليطـو	زبــرو	مارسيل
بركاش	والزهــرا	مولاطـو	بلانكـو	شكالانط
لبريس	بلكاهيـا	تمـورو	بالسيــو	شننتياك
روديأس	فمـــارادا	بلانبـو	لميــرو	الرنـــدى
المراس	قوريـا	بيـــرو	فنجيـــرو	الـــدك
بيريس	باينـــا	بــرادو	كراكشو	زكيـــك
ديـــاس	داكـــا	بــونـو	كريسبـو	أزطـوط
بلامينو	بنــدورو	جبـرو	كنظـرون	غنـــام
عبــدون	القرطبــي	دعنــون	الدقــاق	قريــون
الحـــداد	مــدون	القسطالي	صيرون	القصري
مليــن	العمانــي	طيفــور	التونسي	عاشــور
اللوشي	بسيـــر	الزبــدي	المــدور	الحافــي

ويليه قائمة بأسماء العائلات بالرباط قبل فرض الاسماء العائلية وسيلاحظ القاريء الطابع المحلي الاصيل الذي يميز هذه الاسماء قبل أن تختلط مدلولات المعاني في الاذهان ، وتروج الاسماء الغريبة عنا الوافدة من سائر البقاع والاماكن الجغرافية يختارها العوام لانفسهم وبنيهم ، فهذا يحمل اسم أحمد البوسفور ، وهذا حسن غانا ، وهذا عمر أبو الهول وهذه حليمة لياقات الى غير ذلك من الاسماء التي يغيب مدلولها عن من اختارها كاسم لقيطة ، وحرباء ، وزهيدة ، وغيرها من الاسماء المزعجة

وعمت هذه الفوضى في الاسماء الى درجة التشويه وفقدان الشخصية المغربية وارتضى البعض أن يحمل الاسماء المغايرة لمعايير ملته وهذا زيادة على تذكير المؤنث تقليدا للغير فيقال الانسة المراكشي والتازي والسوسي ، وكثرت الاسماء التي تطلق على الجنسين كرجاء ، وأمل وكان النظام المغربي يحافظ على شخصية المرأة وعلى اسم أسرتها ولكنها الآن صارت تخلع عليها اسم زوجها ، واذا أطلقها وتزوجت غيره صار لها اسم جديـــــد

وهذا ناشيء في الاصل عن فرض الاسماء العائلية أيام العهد البائد حتى على من كانت لهم أسماء قديمة تنتمي الى الاعلام الجغرافية القبلية كالزعري والشاوي والسهلي واليك الاسماء المشار اليها

الادريسي	السايح	المحرزى	العرفاوي	أطوبي
البلغيثي	العوينة	البريبري	العلاوي	الحلـو
العلـوي	الكمـرا	الرايس	العتابـي	القباج
المنصوري	المواق	الشدادي	الزاكي	الصروخ
الحريشي	الايسر	الشرقاوي	السفياني	البودلالي
الناصري	الريش	العيساوي	البحراوي	البخاري
الجباري	الشادلية	العائدي	الحنصالي	التريكي
الاسماعيلي	العظمة	اللحياني	السحيمي	اليسفي

المجذوبي	أنهريم	الراشدي	الصنهاجي	الباعودي
المعموري	الرطـل	الحساني	الرفاعي	المعداني
القرقوري	الفكاك	الزواغي	البرنوسي	المزميزي
الدغري	الرغاي	المصمودي	الزنايدي	العلـج
الهواري	البليدي	الحسناوي	المعروفي	أبا خاي
الفاسي	العوفي	العكاري	السالمي	الوزانـي
الرجراجي	القجيري	الباعودي	الجيراري	القادري
البزيوي	الحاجي	السويسي	العبريدي	الغربي
التباع	العذراوي	التادلي	الصويني	الشباني
الباشا	الزياني	الحجمري	الشياظمي	الزراري
الابيض	الكراري	البطاوري	التـازي	الدليمي
العوفيـر	الزياتي	الحجوي	الفـلات	الاوديي
الكيحل	العلمي	الاوراوي	الدغيمـر	المكناسي
الخيـاط	القدميري	المريني	الـزرو	البنيوري
الفلوس	السهواني	الدبـي	التجيري	السعيدي
الازرق	الزناتي	الزعيمي	انودودي	ابن عويس
الريح	السليماني	الرجراجي	الصباحي	الغنيمي
العولة	الشلاوي	القواقجي	البخات	المستغانمي

ابن الحسنـي	ابن الراضي	ابن الخضر	ابن العربي
ابن الحوضي	ابن عبد السلام	ابن رشيق	ابن خرابـة
ابن منصـور	ابن المامـون	ابن أبو شعيب	ابن يزيد
الـجـنـاوي	ابن الغـازي	ابن ابراهيم	ابن يوسف
ابن بركـة	ابن سليمـان	ابن سعيـد	ابن عـزوز
ابن بوعـزى	ابن عثمـان	ابن هشـام	ابن عرفـة
ابـن عرفـة	ابـن عمـر	ابن علـي	ابن راجـع

ابن المهيــدي	ابن عبد الله	ابن العياشي	ابن مبارك
ابن حسايــن	ابن المعطــي	ابن موسى	ابن الكــورة
ابن عبـــو	ابن الحميــدي	ابن اليماني	ابن عسيلة
ابن فـــارس	ابن صالـــح	ابن دراعــو	ابن مسعود
ابن سلامـــة	ابن شقــرون	ابن يعيش	ابن لـــون
ابن الماجـــي	ابن الحـــاج	ابن المختار	ابن قــدور
ابن عمـــرو	ابن الطاهـــر	ابن الفقيــه	ابن العرابي

بناني	بوهادي	بريطل	ابن داوود	برق الليل
برتوق	بعيــز	بوعلام	بخــوت	ابن عامــر
بولعمان	بنيعقوب	امبيركو	بامهاود	غانـــــم
لــزارو	كريــلان	عليـوة	كريــم	جزوليـــت
والحــاج	غارة الله	والعلــو	بوهلال	بنونـــة
برحدو	بوجمعة	بوعنان	بوجندار	بورقيـــة
بوناصـرة	بودهير	بوعلاكة	بوجيدة	عمـــران
نبيــلان	خلــوق	صنــدال	فنيــش	جســوس
زذيبـــر	خشـــان	روان	سليطــان	فـــرج
حكـــم	عاشــور	جلزيــم	حراشــة	غالــــب
التومي	العنقــي	المستيري	الرويجــل	

ومعذرة لمن فاتنا ذكره أو حرفنا رسمه

ومن السكان اليهود الذين هاجروا مع من هاجر من المسلميــــن الاندلسيين وكان هذا الفريق يسكن بحومة البحيرة من الرباط ، ثــم نقلوا منها بأمر السلطان مولاي سليمان الى الملاح الجديد بوقاصة ، بعدما اشترى الارض من ماله الخاص وحبسها عليهم وكلف المعلم الحســن السوداني بتخطيط الحي الجديد الذي انتقلوا اليه في شعبان سنة 1223 .

ونذكر من بيوتات الرياسة بالرباط ممن كانت لهم شهرة منذ عهد مولاي رشيد الى العهد الحفيظي

فمنهم بيت آل مرينو ومن مشاهيرهم السيد عبد القادر مرينو قائد الرباط والقصبة في عهد السلطان مولاي رشيد ، والقائد أحمد حجي مرينو عامل الرباط في عهد مولاي اسماعيل والسيد محمد بن القاضي المهدي مرينو قاضي الرباط أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله 1188

وبيت القائد العربي المستيري من أشهر الرؤساء الرباطيين الذين تداولوا عمالة الرباط والسفارة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله 1168

وبيت أولاد مارسيل ، اشتهر منهم في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله أبو الحسن علي مارسيل قائد الرباط 1173 وسفير السلطان المذكور الى فرنسا وأرخ وفاته الضعيف بفاتح رجب 1188 ، وقال في حقه كان من أهل الهندسة والتنجيم

وبيت أولاد بركاش وأول من اشتهر منهم الامين السيد الحاج عبد الله بن الحاج علي بركاش قائد الرباط في عهد المولى سليمان أواخر القرن الثاني عشر ومن مشاهير هذا البيت النائب السلطاني الطائر الصيت الفقيه السيد محمد بركاش المتوفي ثالث المحرم عام 1304 وولده السيد الصديق بركاش باشا الرباط ، وحفيده المشهور السيد الحاج عبد الرحمان بركاش باشا الرباط

وبيت أولاد فرج ، ومن مشاهيرهم السيد المكي بن العربي فرج أحد الزعماء الرباطيين في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله ومنهم محتسب الرباط وناظره السيد الحاج عبد الخالق فرج الطائر الصيت المتوفي سنة 1332

وبيت آل الزبدي أول من اشتهر منهم الحاج محمد الزبدي العضو بمجلس النواب في عهد جمهورية أبي رقراق ، وقائد الرباط الحاج محمد بن

الطاهر الزبدي بتاريخ 1261 في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن عيـن سفيرا عن السلطان الحسن الاول الى فرنسا وانكلترا وايطاليا وبلجيكا سنــة 1293

وبيــت أولاد السويسي ، اشتهر منهم السيد الحاج محمد بن ابراهيم السويسي قائد الرباط في عهد المولى سليمان سنة 1205 ، ثم ولده الحاج محمد بن محمد السويسي قائد الرباط بتاريخ 1226 ونظارته بتاريـــخ 1239 ثم ولده الحاج محمد قائد الرباط في عهد المولى عبد الرحمان الى سنة 1261 . ثم ولده أبو محمد عبد السلام في عهد السلطان الحسن الاول ، وهو الذي عينه في سنة 1294 سفيرا الى اسبانيا ثم صنوه السيد محمد السويسي قائد الرباط عام 1302 ، ثم قائده من بعده السيد أحمد السويسي شهيــد الوقعة العزيزية عام 1326 ثم قائده من بعده في أوائل العهد الحفيظي عبد النبي بن محمد السويسي الى أوائل عهد الاحتلال

وبيت أولاد والزهرا ، ومن مشاهيرهم السيد أحمد والزهرا أحد عمال الرباط في عهد السلطان مولاي عبد الله ، وصفه ابن الحاج الفاسي فـــي تاريخه بكونه من أهل الرشاد ، والتربية والسداد

وبيت أولاد التازي اشتهر منهم الامين السيد الحاج محمد الطائــر الصيت في عهد السلطان الحسن الاول عينه سنة 1296 لوظيف أمين الامناء وأسند اليه أمر خراج المغرب ومراسيه ومستفاداتهما وفوض اليه في ذلك تفويضا تاما لعلمه بنصحه وأمانته ولما توفي أقام السلطان في وظيفه أخاه الامين الشهير الوزير السيد عبد السلام التازي

وبيت آل غنام اشتهر منهم السفير السيد الحاج بناصر بن الحاج علــي غنـــام

وبيت أولاد بنعبد الله اشتهر منهم السيد الحاج محمد بن عبــد المالك أمين الصائر في العهد الحسني

ومن البيوتات التى تداولت عمالة الرباط في عهد مولاي عبد الله آل الولتيتي وآل اللوشي وآل أبي جندار

ومن بيوتات الرياسة العلمية من تقدم ذكرهم في فصل تاريخ الحياة الفكرية كبيت العكاري والغربي ، والتادلي ، والبطاوري ، وجديرة ، وملين ، ودنيا ، وبنبراهيم ، والسرايري ، وبناني ، والرغاي ، وغيرهم الى بيوتات أخرى كثيرة اشتهرت بالثراء والاحسان ودرج فيهم موظفون مرموقون كأولاد العوفير والباشا والجراري وبنبوعزة وأضرابهم ممـــن نكتفي بالاشارة الى بعض أفرادهم ، كالرئيس عبد الله بن عائشة الرباطي سفير المولى اسماعيل الى لويس الرابع عشر ، والكاتب السيد الطاهر بناني الرباطي سفير سيدي محمد بن عبد الله الى الخليفة العثماني 1175 ، والرئيس الحاج التهامي المدور الرباطي سفيره الى بلاد السويد 1177 ، والرئيس العربي المستيري المتقدم الذكر سفيره الى انكلترا والرئيس أبي الحسن علي مارسيل الى فرنسا 1179

وتجدر الاشارة هنا الى بعض الافراد من الرؤساء الرباطيين الذيــن تداولوا رياسة البحرية والمدفعية رعيا للمكانة التي كانت تشغلهـا هـذه الرياسة من الدفاع عن حوزة الاوطان وقد جاءت أسماؤهم في تاريخ الضعيف وغيــره مثــل

الرايس المكي بن الشادلي الشرقاوي الرباطي

والرايس العربــي حكــم

والرايس محمـد العنقـــي

والرايس محمـــد عـــاشـــور

والرايس علـــي التريكـــي

والرايس ابراهيــم لباريــس

والرايس عبــد الرحمــن بركــاش

والرايس المعطــي فلــوريــس

والرايس علي بربيش الاندلسـي الرباطي

والرايس محمـد السبيـع

والرايس محمـد لبريـس

والرايس الهاشمـي المستيـري

والرايس محمـد بنمبـارك

والرايس الحسـن بنانـي

والرايس عبـد الرحمان بريطـل

وغيرهم من الرؤساء المعروفين بالمعلمين

المعلم المجاد العناية البعودي

والمعلم محمـد بن عسيلـة

والمعلم محمـد الرطـل

والمعلم محمـد سبـاطـا

والمعلم بوجندار البونياجـي

والمعلم الطاهر بـن الحسن

والمعلـم محمد بـن العبـاس

والمعلم محمـد اشديـد

وقد عنى بتاريخ الرباط جماعة من نبهاء الاعلام

منهم العلامة الراسخ المرحوم محمد بن عبد السلام السائح فـي تاريخه « الغصن المهصور في تاريخ مدينة المنصور ، والمؤرخ المرحـوم محمد بوجندار في كتابه الاغتباط بتراجم أعلام الرباط » في جزءيـن ومقدمة ، و « تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط »

والعلامة المؤرخ المرحـوم محمد بن علي دنيا في تاريخه « مجالس الانساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط ومنهـم المـؤرخ محمـد بن عبد السلام الضعيف الرباطي اشتهر هو وكتابه التاريخي باسـم « الضعيف » تحدث فيه عن الدولة العلوية منذ نشأتها الى منتصف عهد

لمولى سليمان ، ولم يترك شاذة ولا فاذة عن بلده الرباط الا سجلها

ومن المراجــع الهامــة

الاتحاف الوجيز للمؤرخ الشهير المرحوم محمد بن علي الدكالـــي السـلاوي .

ومنها تاريخ الرباط بالفرنسية للاستاذ جاك كايبي الفرنسي

وقد لعبت مدينة الرباط أدوارا مهمة منذ عهد الحماية الى الاستقلال وتأسست فيها جمعيات سرية متباينة الاهداف انبثقت عن صدور الظهير البربري ، وسبقت غيرها في التفكير والعمل على انشاء عيد العرش (1) وبها حررت وقدمت عريضة الاستقلال الغنية عن الشرح والبيان في 11 يناير 1944

وفي سنة 1921 كانت الانتفاضة التي قام بها جماعة من أبناء الرباط الحاج المعطي جوريو ، والحاج أبو بكر بن الكرة ، والحاج محمد البحراوي، والمحجوب الازرق ، ومن ساندهم حيث قاموا جبهة واحدة في وجه فرض ضريبة جديدة على الاكياب ، فكانت نتيجة وثبتهم النفي والتشريد

ثم الانتفاضة الثانية عند حفر مقابر جبل الزعفران « العلو » لمد خط السكة الحديدية الرابطة بين محاجر عكراش وشاطيء المحيط لتجهير المرفأ بواسطة نفق تحت الارض والتي شارك فيها سائر أمانات نقابات الحرف التقليدية ، ولم تهدأ حدتهم الا بصدور فتوى شرعية تجيز ذلك للمصلحة العامة وفي أبريل 1934 قدم وفد من وجهاء مدينة الرباط الى صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس عريضة كانت بردا وسلاما على قلب كل ذي غيرة على حرمة الاوقاف الاسلامية والمعاهدة الدينية وهــم السـادات.

المرحوم مولاي أحمد الرفاعي والمرحوم الحاج محمد الناصري

والمرحوم السيد محمد بن العياشي والمرحوم الحاج عمر القباج

---

1) راجع مجموعة مجلة مغرب لصالح مبسه التي كانت تصدر بالرباط .

والمرحوم عبد النبـي كراكشو ، والمرحـوم الحاج محمد فرج ، والسيـد محمـد بن احمد التـازي

وفي مايو 1934 قام وفد جمعية المحافظة على القرآن الكريم يتقدمهم الفقيه المرحوم السيد أحمد بن الغازي والمرحوم السيد خليل بناني والمرحوم السيد محمد كراكشو عريضة مهمة تضمنت مطالب اهمها اصلاح الكتاتيب القرآنية في مجموع المغرب ، وانشاء مراكز جديدة في البوادي لتعليم كتاب الله ولغة القرآن الى غير ذلك من المواقف البطولية التي تبلورت عند صدور الظهير البربري ، وعند عزم الاستعمار على ازاحة جامع السنة وهدمه بدعوى تسهيل المرور وتجميل المدينة وتعويضه ببنـاء مسجـد آخر في جهة أخـرى

وعندما انتهك الاستعمار كل مبادىء الحق والعدل باعتدائه علـــى سيادة المغرب وعلى عرشه وعلى الاسلام والعروبة في شخص المجاهد الاكبر جلالة محمد الخامس رضوان الله عليه ففي يوم الجمعة حادي عشر شتنبر 1953 ، وبعد عشرين يوما من الغطرسة والقهر ، انبثق الفجر الذي كان فاتحة عهد الانطلاق وفتحت مدينة الرباط في شخص ابنهـــا الشهيد علال بن عبد الله صفحة جديدة في تاريخ الكفاح الوطني ، كانت بمثابة تمهيد الطريق الشاق لمن يملك ارادة العمل ، وسقط علال بن عبـد الله صريعا برصاص أبالسة الباطل مزيحا بذلك ستار الخداع والزيف وفاتحا أبواب الجهاد في وجه المكافحين ضد الاستعباد ، وسجلت مدينة الرباط سبقا في ميدان الشرف لا ينازعها فيه مكان آخر

وبفضل عناية صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني فرضت مدينـــة الرباط اسمها على النطاق العالمي وعقدت فيها مؤتمرات لم يسبق لعاصمة أن حققتها كمؤتمر القمة العربي ومؤتمر القمة الافريقي ومؤتمر القمة الاسلامي الذي شهدت عاصمة بلادنا يوم 22 شتنبر 1969 افتتاح أولــى جلســـاتـــه .



وكانت حفلة افتتاح هذا المؤتمر محل اهتمام أغلب سكان العالم وان الذين عاشوا لحظات افتتاح هذا المؤتمر شعروا بالاعتزاز والافتخار اذ تمكنوا من مشاهدة ممثلي الدول الاسلامية وهي تجتمع لاول مرة على مستوى أعلى للنظر في شؤونها وبهذا المؤتمر تكون عاصمة المملكة المغربية قد احتضنت أول مؤتمر قمة اسلامي يعقد في التاريخ

وستبقى ذكرى هذا المؤتمر خالدة في تاريخ المغرب على الخصوص وفي تاريخ الاسلام على العموم ، وشارك فيه

1 ـ الباكستان 2 ـ أفغنستان 3 ـ جمهورية مصر العربية
4 ـ السينغال 5 ـ الصومال 6 ـ التشاد 7 ـ غينيا
8 ـ مالي 9 ـ موريطانيا 10 ـ ممثلو منظمة التحرير الفلسطينية
11 ـ المملكة العربية السعودية 12 ـ جنوب اليمن الشعبية
13 ـ المملكة الهاشمية الاردنية 14 ـ الكويت 15 ـ لبنان
16 ـ ليبيا 17 ـ السودان 18 ـ تونس 19 ـ مسلمو الهند
20 ـ الجزائر 21 ـ تركيا 22 ـ المملكة المغربية 23 ـ ايران
24 ـ العراق 25 ـ اندونيسيا 26 ـ ماليزيا 27 ـ النيجر
28 ـ اليمن



خـــاتـــمة



تكمن أهمية الرباط بالدرجة الاولى في كونها عاصمة المملكة وفـي موقعها الجغرافي وفي مينائها الذي كان قديما يجعل منها مركزا تجاريا هاما لناحية الغرب وزمور وبلاد تامسنا (1)

وكان هذا الموقع يعتبر نقطة استراتيجية منذ عهد الرومان الذين يقال بأنهم بنوا فيه حصنا للدفاع عن مملكة شالة ولتأمين أسطولهم

وفي أيام الموحدين كان الرباط المنطلق الاعظم للجيوش الاسلامية الذاهبة الى الاندلس وأقطار المغرب الكبير

وقد تأهلت مدينة رباط الفتح لتكون عاصمة مند أيام المنصور الذي كان شغوفا بها على أن نية الموحدين كانت متجهة الى جعلها عاصمة لهم فحينما اختط عبد المومن قصبة الرباط المهدية راعى توسطها بيـن مخلاتى الغرب والحوز ولهذه الغاية كان ينزلها اذا أراد ابرام أمر أو تجهيز جيش كما أشار الى ذلك صاحب معجم البلدان ، وأكد ذلك المنصور وثابر عليه حينما أمر بنقش صورة سيفين مصلتين رؤوسهما الـــى السماء فوق نافذة صومعة حسان المواجهة للبحر كرمـز الـى التمـركـز وارهاب العدو والاستعداد له وثبت أنه كان يقضى بها نصف السنة ويتردد عليها في جميع تنقلاته بين الشمال والجنوب لا يتجنبها أبدا

واعتبارا لموقعها الستراتيجي ومناعتها اتخذ السلطان سيدي محمـد بن عبد الله العلوي باب القصبة العظيم خزينة أموال دولته التي كانت تبلغ أحيانا 30 مليون ريال وشيد بها المساجد والقصور وانشـــأ الاوراش البحرية وعزز الجند وصارت الرباط في عهده من بين المـدن المساهمة في تطوير العلاقات مع الخارج

وقد سبق القول ان الرباط اتخذت مكانها كعاصمة ملكية في أواسط القرن التاسع عشر حيث شيد بها السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان قصره الملكي ، وصارت تعتبر العاصمة الثالثة للمملكة بعد فاس ومراكش

---

1) ما بين وادي ام الربيع ووادي أبي رقراق

واستقر بها قناصل الدول وممثلو الشركات التجارية الاجنبية

وقد أشار صاحب مقدمة الفتح الى هذا الموضوع بقوله (2)

قال صاحب كتاب المجد الطارف والتالد في التنكيت على ابن الخطيب الذي لم يفرد الرباط بمقامة وحده في مقامات البلدان انه لو أدركه زماننا هذا - يعني أواخر القرن الماضي - من جهة الحضارة ودثور المال والابنية الانيقة وكونه صار تخت الملك وايوانه السامي ومحط رجاله لافراده بالذكر » اهـ .

وفي مستهل القرن العشرين أصبحت الرباط العاصمة الرسمية للمغرب عند تتويج جلالة المغفور له مولاي يوسف بن السلطان المقدس الحسن الاول وقد أكد أستاذنا المورخ عبد الله الجراري (1) أن جعل الرباط عاصمة للمملكة المغربية لم يكن اعتباطا وبمعزل عن المخزن الشريف وبغير تدبيره وموافقته ، كلا فقد أخذت آراء خبراء من رجالات المغرب وساسته ، وكانت النتيجة الحتمية أن أدلوا بحجج فتحت المجال لصلاحية هذا البلد الامين بمعناه الصادق ، وبمصادقة المخزن ورضاه على اتخاذه قاعدة للدولة المغربية

وبطبيعة الحال كان للخبراء الاجانب الحظ الكافي لبيان شتى الاختيارات المبنية على العوامل الجغرافية والسياسية والاقتصادية التي كانت من أسباب انبعاث المدينة واعطائها ما تستحق من الصلاحية وعلو المقام

وقد صار من المتواتر أن الاندلسيين الجالين عن بلادهم الى المغرب احتملوا معهم في أيديهم صناعة الاندلس وفي صدورهم همم أهلها ونقلوا ذوق تلك البلاد الموصوف بالسلامة الى حيث القوا عصا تسيارهم فأخذت عنهم فنون وشاعت بواسطتهم صنائع وانتشرت بسببهم فوائد ، وكانوا مع رقة حالهم وتشريدهم من بلادهم يمثلون حيث ما حلّوا

---

2) صحيفة 185

1) مجلة دعوة الحق ص 130 العدد الاول السنة 13 - 1389 - 1969 .

قطعة من الاندلس ، ولا يزال على بيئاتهم وأنواع معائشهم مسحة أندلسية تمتاز بالذوق ، وتدل على الاصالة في التمدن ومن هذا القبيل ما سجله المؤرخ بوجندار في مقدمته (2) بقوله

« أهل الرباط على العموم أهل مدنية عريقة نظرا لاصلهـم الاندلسـي الاصيل في العراقة والحضارة التي نشاهد من آثارها في الرباط والرباطيين ما هو ظاهر ظهور الشمس في معارفهم وآدابهم وصنائعهم ، ولذا كـــان الرباط ولم يزل آهلا بالعلماء والادباء والكتاب والشعـراء ، الـى مـا فيـه من الصناع المجيدين ، فضلا عن اليد العاملة بكل كـد وجد » اهـ (3)

ورعيا لكون جل أنساب أهل الرباط أندلسية ، وان البيوتات النابهة فيها جلها من بقايا جالية الاندلس ، فان لنا رأيا يجب أن نجهر به فيما يتعلق بأخطر الاتهامات التي تعرضوا لها كممالاة الاسبان والتآمر معهـم ضــد المغاربة ، واختزان الاقوات واختصاص أنفسهم بها وبيعها بالاثمان المبالغ فيها تجويعا لبقية المواطنين والتعالي والانانية والكبر الى غير ذلــك مـن الاقاويـــل

والظاهر أن هذا النقد اللاذع والتشنيع الفظيع انما هو من تصورات الحاقدين من الخصوم الذين دفعتهم السياسية والتطلعات الحالمة الـى التحامل على هذه الجالية المعذبة التي فضلت الحرمان ومغادرة الاوطان احتفاظا بدينها وعروبتها وقد أثبت التاريخ أن كل خصوم الاندلسيين كانت لهم صلات مع الاجانب ومعاهدات يستمدون بواسطتها السلاح وتبادل المنافع والتعاون على تدمير الاندلسيين ومشاريعهم وهو نفس ما كان يقوم به الاندلسيون تشبثا بالدفاع عن النفس الذي هو غريزة لا تقاوم

---

2) صحيفـــة 310

3) كان بيت المؤرخ بوجندار منتدى العلماء والادباء والشعراء والوزراء والتلامذة الكبـــار والصغار مما لم يتفق لاحد ممن هو في بيئته كما ذكر ذلك صديقه ورفيقه المرحوم محمد الجزولي في تأبينه وكم كان لهذا المنتدى من نظير في تلك العهود .

وكلنا يعلم أن الفترة الحالكة من تاريخ المغرب أواخر عهد السعديين اتسمت بالفوضى والشعوذة والجذب وكثر فيها المرشحون للحكم ، وأن النهاية المحزنة للمجاهد العياشي لم تكن من تدبير الاندلسيين وانما السبب الحقيقي هو الفرصة التي سنحت للدلائيين لتأليب الناس ضد العياشيين والدعوة الى حربهم لابعادهم عن الميدان ، وما التذرع بالشفاعة في الاندلسيين والرغبة في العفو عنهم الا تبرير لقطع حبل المودة السابق بين الدلائيين والعياشيين وما هو الا سبب مفتعل لشن الحرب التي أودت في النهاية بالبطل الشعبي الكبير

والتاريخ يشهد والمؤرخون بالاتفاق أن الاندلسيين حملوا راية الجهاد بحرا وأذاقوا عدوهم مرارة المقاومة ، وانتقموا أحيانا ممن أذلهم شر انتقام الى أن ضجت الدول الغربية من عملهم الذي كانوا يعتبرونه جهادا سافرا ، ويراه غيرهم عيثا وقرصنة ولصوصية

وقد كفانا المؤرخ بوجندار مؤنة الرد على تهمة التعالي والتكبر حيث يقول في مقدمته (صحيفة 311) ومما عرف به أهل الرباط الاقدام والنجدة وطبيعة الحدة كما عرفوا أيضا بشيمة الاباء ، والهمة الشماء ، الى حد يظنه الجاهل كبرا فيهم وهم من ذلك برآء ، اللهم الاعلى أهل الكبر فنعم والتكبر على أهل الكبر عبادة »

ولعل هذه الجوانب التي سطرنا تعطي صورة واضحة لمن يهمه الاطلاع على تاريخ عاصمة المملكة ، وان كانت هذه الصورة تفتقر الى مزيد من التعمق والاستيعاب المطلوب توفرهما لدى كتابة التاريخ

وبتتبع مراحل التطور الحضاري لمدينتنا يسترعي انتباهنا ما أقدم عليه الاندلسيون من تغيير ملامح هذه المدينة عمرانيا وأخلاقيا واقتصاديا وسياسيا الشيء الذي أعطى لرباط الفتح جاذبية وأهمية لا تخفى ، كما أشار الى ذلك بعض الرحالين الذين زاروها وكتبوا عنها .

فلقد أقام الاندلسيون مدينة جديدة داخل نطاق رباط الفتح لما شيدوا السور الذي قلصوا به مدينة المنصور ، وصارت المدينة في حدودها الجديدة لا تزيد على ربع المساحة الموحدية التي انقلبت بقدرة قادر الى مجموعات من البساتين والحدائق والمزارع الفريدة التي تخول للمدينة الاكتفاء الذاتي من المحصولات الزراعية والفواكه والخضر ومواد التغذية من دهنيـــة وحيوانية وسكن المدينة عديد من الاسر الاندلسية النابهة الثرية التي كانت تتصف بالشيم الحضارية والنشاط الفياض

وتأسس برج القراصنة صقالة معززا بحامية يبلغ عدد أفرادهـا ألفا وخمسمائة مقاتل من بينهم رماة مهرة يتوفرون علـى ست وسبعيـن مدفعا من العيار الكبير

وتعزز الاسطول النظامي في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد اللـه بخمسين قطعة يقودها ضباط يشرفون على خمسة آلاف من البحارة وألفين من الرماة وجهز السلطان حامية الرباط بستين مهراسا ومائتي مدفع تلقى الرجال المكلفون بها وعددهم ألفان التداريب المتقنة بقيـادة الحـاج سليمان التركي وكانت أقوي الحاميات في حواضر المغرب

وارتفع عدد السكان عندما اهتم السلطان سيدي محمد بن عبـــد الرحمان باقامة دار المخزن وتسوير المشور ، وزاد في تعمير حي التواركة بعبيد البخاري وأهل سوس وأصبحت رباط الفتح تسير بثبات نحـو مركزها كعاصمة تحتضن الاحتفالات الملكية بأيام الاعياد في أبهة مرموقة وصار حي القناصل بالرباط يضم ممثلي تسع دول فرنسا ـ انجلترا ـ البرتغال ـ ايطاليا - النمسا ـ هنكاريا ـ الولايات المتحدة الامريكية ـ ألمانيـا ـ هـولانـدا

وفي نفس الزمان والمكان أسس الانجليز مكتبا بريديا ، تلاه تأسيس مكاتب أخرى حيث صدر ظهير شريف عام 1310 ـ 1892 لتنظيم دواوين المخزن البريدية في خطوط ثمانية كانت الرباط مقرها المركزي .

وعندما تأججت الوطنية العارمة بالغضبة الكبرى على صدور الظهير البربري الذي أوقد الشعلة التي احترق بها الاستعمار ، وتحقق الاستقلال على يد الملك المجاهد الذي خلف للمغرب ما خلفه من الامجاد التي تلقاها وارث سره تامة غير منقوصة ، واسترد المغرب سيادته وما ابتز منـــه واقتطع من أطرافه في الجنوب ، ورفع عاهله البطل راية السؤدد خفاقة في سماء الكرامة متابعا مسيرته الى تحقيق ما ينشده من استكمال الوحدة الوطنية شرقا وشمالا ، كانت الرباط في هذه الفترات كلها مسرحا للكفاح في ظلال العرش المغربي ، وبهذا السلوك القويم صارت ركيزة حضارة ، وصدى تاريخ ورمز أمجاد ، كما عبر عن ذلك ابنها البار محمد الجزولي رحمـه اللـــه

ربـــاط الفتح مـأوى الفاتحينـا بكعبتــه يطوف الناس حينـا
هــو البلــد الامين ومـن بنـــاه عظيم مـن ملوك المسلمينـا
الى المنصور نسبته وأعظـــم به نسبا يزكي الناسبينـــا
بنـــاؤه آيـــة كبرى بوضـــع يدل على اقتدار الواضعينـــا
وخلد ذكره فيهـــا بصـــرح وساباط علـى مـر السنينـا
منار قـام في الدنيا خطيبـا تفيـض ربـوعها لبنـا وشـهـدا
اذا ذكرت بلاد الغرب اضحى الـــ ـــربـــاط مدار ذكـر الذاكرينـا
ولو نصبــت مثالا لكــان منهـــا وكـان الـراس حين سما وصينـا
بــلاد لـم تكـن وطنـا لهـم ومـا برح السـرور لهـا خدينــا
الــى الآتيــن ينعـي الـذاهبينـا وتوتي أكلهـا عنبـا وتينـــا

ولا شك أيها القاريء الكريم انه قد عرضت لك اثناء تصفح الكتاب أحداث تاريخية تستلفت الانظار وهذا هو السبب الذي دفعنـي للاقـدام على ارضاء الضمير بتسجيل ما أعرفه عن هذا البلد الامين .

المصادر

أحمد الناصري – **الاستقصا لاخبار المغرب الاقصى** ـ الدار البيضاء 1954

اسماعيل بن الاحمر ـ **روضة النسرين في دولة بني مرين** ـ

المطبعة الملكية ـ المباط 1382 1962

الحميدي ـ **جذوة المقتبس نشر ابن تاويت الطنجي** ـ القاهرة 1952

ابن الآبار ـ **التكملة لكتاب الصلة نشر العطار** ـ القاهرة 1955

ابن خلكان ـ **وفيات الاعيان تحقيق محمد محيي**

الدين عبد الحميد ـ القاهرة 1367 1984

ابن أبي زرع ـ **الانيس المطرب** ـ طبعة حجرية ـ فاس

ابن صاحب الصلاة ـ **تاريخ المن بالامامة** ـ نشر

عبد الهادي التازي ـ بيروت 1964

الضعيف ـ **تاريخ الضعيف** ـ مخطوط الخزانة العامة

محمد بن علي دنية ـ **مجالس الانبساط** ـ مخطوط في حوزة ولده أحمد

محمد بن علي دنية ـ **النسمات الندية** ـ المطبعة الاقتصادية ـ المباط 1355

محمد بوجندار ـ **مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح** الرباط 1345

محمد بوجندار ـ **شالة وآثارها** الرباط 1340

مؤلف مجهول ـ **الاستبصار في عجائب الامصار** ـ

نشر سعد زغلول عبد الحميد – مصر 1958

محمد لبيب البتنوني ـ **رحلة الاندلس** مصر 1927

محمد الرشيد ملين ـ **عصر المنصور الموحدي** الرباط

محمد الصغير اليفرني ـ **روضة التعريف ـ المطبعة الملكية**

الرباط 1382 1962

محمد الموقت المراكشي ـ **الانبساط بتلخيص الاغتباط** ـ مصر 1347

عبد الواحد المراكشي ـ **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ـ

نشر العربان والعلمي ـ القاهمة 1969

عبد العزيز بنعبد الله ـ **تاريخ المغــــرب** البيضاء

عبد الحي الكتاني ـ **فهرس الفهارس والاثبات** ـ فاس 1346

عمر فروخ ـ **تــاريخ الفكر العربي** بيروت 1372 1962

عبد الرحمان بن زيدان ـ **العز والصولة** ـ المطبعة الملكية ـ الرباط 1381 1961

عبد الله عنان ـ **عصــر المرابطين والموحديــن** ـ القاهرة 1964

شكيب أرسلان ـ **الحلل السندسيــة** ـ نشر الحبابي ـ مصر 1936

ليفي بروفانصال ـ **مجموع رسائل موحدية** ـ الرباط

يوسف أشباخ ـ **تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين**

القاهرة ـ تعريب عبد الله عنان 1958

جاك كايي ـ **تاريخ الرباط** ـ بالفرنسيــة الدار البيضاء

مجلــة دعوة الحق أعــداد مختلفــة الرباط

مجلة اللسان العربــي مكتب تنسيق التعريب الرباط

نشرة عمالة الرباط الرباط

نشرة المجلس البلدي الرباط شتنبر 1974

وقد يجد القاريء مراجع أخرى أثناء الكتاب غير أننا نقلنا عنها بواسطة **كابن خلدون** مثلا **والروض المعطار والاغتباط** .

فهرس


طبع هذا على نفقة
مكتبة الطالب
207 شارع محمد الخامس
الرباط